الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام

دراسة تحليلية

عبد الحسين راشد معارج

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

١٦٥

الجهود التفسيرية

عند الإمام الحسين عليه السلام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٥ - ١٧٣٦

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم استدعاء مكتبة الكونجرس:	BP 41.7 .M3 2015
المؤلف الشخصي:	معارج، عبدالحسين راشد
العنوان:	الجهود التفسيرية عند الامام الحسين عليه السلام: دراسة تحليلية / عبدالحسين راشد معارج؛ [تقديم اللجنة العلمية. السيد محمدعلي الحلو]
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م
الوصف المادي:	[٤٦٤] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية (١٦٥)
تبصرة عامة:	الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراة قدمت الى مجلس كلية الفقه في جامعة الكوفة
تبصرة ببليوغرافية:	يحتوي على هوامش
موضوع شخصي:	الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. والقرآن
موضوع شخصي:	الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ هـ. - احاديث
موضوع شخصي:	الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. - سيرة
مصطلح شخصي:	الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ.
مصطلح موضوعي:	تفاسير مأثورة - القرن ١ هـ.
مصطلح موضوعي:	تفاسير الشيعة الامامية - القرن ١ هـ.
مؤلف اضافي:	الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧ - ، مقدم.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام

- دراسة تحليلية -

عبد الحسين راشد معارج

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلى الله عليه
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{ اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ
فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ
وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

صدق الله العلي العظيم

سورة النور، الآية ٣٥

حديث نبوي شريف

روى الصدوق بإسناده عن علي بن عاصم عن محمد بن علي الجواد عليه السلام عن أبيه علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين السجاد عليه السلام عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أُبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرحباً بك يا أبا عبد الله يازين السموات والأرضين قال له أُبي: وكيف يكون يارسول الله زين السماوات والأرضين أحدٌ غيرك قال: يا أُبي والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وإِنَّه لمكتوبٌ عن يمين عرش الله عز وجل: مصباح الهدى وسفينة النجاة وإمام خير وعزٍ وذخرٍ وإن الله عز وجل رَكب في صلبه نطفة مباركة زكية[1].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٢/٢ ح٢٩، الصراط المستقيم، العاملي علي بن يونس: ١٦١/٢و بحار الأنوار المجلسي، ٢٠٥/٣٦ باب ٣٥ ح١.

الإهداء

إلى الأرواح الطاهرة.. إلى النفوس الأبية، إلى الدماء التي سقت رمضاء كربلاء، إلى القربان المضرج بالدماء، إلى الخد التريب، إلى الجسم السليب، إلى محزوز الرأس من القفا، إلى العاري الملقى على الثرى، إلى ذبيح الله في صحراء نينوى، إلى الغريب العطشان، إلى مرضوض البدن، إلى من غيرت معالمه الشمس والمحن.

إليك يا سيد الأحرار وإلى الأباة الذين حلت أرواحهم بفنائك سيدي لا أملك لنفسي نفعاً ولاضراً سوى حبكم أهل البيت (عليكم السلام) وان هذا الحب قد أيقظه نداءك يوم عاشوراء (ألا من ناصر ينصرنا) فان لم يستجب لك بدني فها قد جئتك بـ(بضاعة مزجاة) استنصاراً لصرختك وتلبية لندائك فاستمحيك عذراً إن شَطَّ بي القلم أو أسئت الأدب فان كان لي نصيب من الثواب، فاجعله اللهم ذخراً أنال به شفاعة ابن بنت نبيك، ورحمة منك لي ولأبوي ولأسرتي إِنَّك جوادٌ كريمٌ وإحسانك قديم.

مقدمة اللجنة العلمية

لم تُعد الجهود الفكرية التي تميز بها أئمة أهل البيت عليهم السلام تقتصر على منحى فكري واحد، بل ذهبت هذه الجهود الى أبعد من ذلك، فقد تنوعت هذه الجهود بتنوع الحاجة الى إيجاد انفراج ثقافي يحاكي رغبات الجميع في فتح شفرات العلوم التي باتت لغزاً عند الكثير، ولعل التفسير القرآني قد اشغل الجميع لما لهذا الأمر من اهمية قصوى في الوغول الى المعارف الإلهية واستكناه القصود الربانية، وما ستؤول إليه الآيات القرآنية عند مغادرتها الى حيث الآراء والأهواء والأذواق.

ولم يجد أئمة أهل البيت عليهم السلام قد اقتصروا على حث شيعتهم لتعاهد القرآن في قراءته، والتمسك به في حفظه، بل أرادوا من شيعتهم حفظ القرآن بمفاهيمه، وقراءته بمعارفه، ولابد من الرجوع الى القيِّم على القرآن حيث هو عدله، والتالي للقرآن حيث هو منبع معارفه وكان للعترة الأثر

الكبير في رفد الأمة بالمعارف القرآنية دون أن تحول التوجهات السياسية بين القرآن وبين الأمة بل عملت على أن تلازمه ملازمة لا تنفك عنها بحال، وكان للإمام الحسين عليه السلام وقفته التفسيرية في ظروف غير طبيعية أخذت السياسة مأخذهامن فكر الأمة، وكادت أن تلقي بظلالها على كل جزئيات حياتها، ولم يعد القرآن في خضم هذه الأزمة السياسية سوى هدفٍ يتداوله الحاكم من أجل تنفيذ توجهاته، وكادت الأمة أن تستغرق في هذا الاتّجاه، إلاّ أن الإمام الحسين عليه السلام تصدى لكل هذا الخرق الفكري الذي استهدف القرآن الكريم، وتطلع للنهوض برقي الأمة المعرفي التفسيري الذي كشف من خلاله الإمام عليه السلام إمكانية الأمة أن تنهض بالقرآن فيما إذا أرادت السير على تعاليمه، وإمكانية إحباط كل مشاريع السلطة وإحداث التغيير وذلك من خلال مواكبة القرآن بتفسيره الدلالي الذي يتطلع بمسؤلية التغيير، ودواعي الإصلاح، فقد كانت لجهود الإمام الحسين عليه السلام التفسيرية بين العقل والنقل حيث كان يستدل بتفسيره عليه السلام على الدليل العقلي، وكان للرواية التي يرويها عن جده وعن أبيه عليه السلام دليلٌ يدعم به تفسيره كما انه عليه السلام، كان للجهد التفسيري أثره في ترسيخ المبادئ الاخلاقية والتربوية وقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام ضرورة تحفيز الامة المحافظة على علاقتها بالقرآن الكريم حيث أكد على فضل القرآن وفضل تلاوته وتعاهده، كما أن الجهد الذي بذله الإمام عليه السلام في تفسيره هو ارجاع الأحكام الشرعية الى مصدرها الرئيس وهو القرآن، فأغدق على منهجه التفسيري لوناً آخر من التفسير، كما أن المنحى العقائدي كان واضحاً في الاتجاه التفسيري، فقد ضمّن خطبه الشريفة بالآيات القرآنية ليدعم هذا

المنحى، وهكذا فقد بذل الإمام الحسين عليه السلام جهداً تأسيسياً في تفسير القرآن الكريم، وقد أجاد الأستاذ عبد الحسين راشد معارج في محاولته البحثية (الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام دراسة تحليلية) فقد استعرض جهوده عليه السلام وما قدمه من جهد في هذا المضمار، فكانت دراسة تستحق الاهتمام وجديرة بالتقدير، نسأل الله تعالى أن يوفقه للمزيد في سبيل خدمة منهج أئمة أهل البيت عليهم السلام.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل كتابه الكريم هدى للمتقين وبرهاناً للمؤمنين، وموعظة للمتعظين ورحمة للناس أجمعين، والصلاة والسلام على سيد الأنام الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله الكرام، خزان علومه، الهداة به، حجج الله الأطهار، وأوليائه الأبرار الذين قاموا لله به آناء الليل وأطراف النهار ولاسيما مولانا أبي الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وصحبه المنتجبين ومَن والاهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، وأقدس كتاب لدى المسلمين وخاتم الكتب السماوية، وبه تثبت نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبه تقوم الحجة على الناس جميعاً إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام ديناً، لأنه معجزة، ولخلود مافيه من إعجاز وهو المصدر الوحيد قطعي الثبوت، بإجماع المسلمين لم تمتد إليه يد التحريف أو الزيادة أو النقصان، وهو النور الذي ينير طريق الإنسانية، فيحيل ليل جاهليتها نهاراً مشرقاً سماوياً متألقاً.

القرآن الكريم الكتاب الذي يحوي بين دفتيه ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم وهو الدستور الخالد للمسلمين في كل زمان ومكان، يحتوي على الغاية الأسمى التي تهدف إليها الإنسانية الذي ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١) والمهيمن على جميع الكتب السماوية، قال تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (٢) لذا عكف المسلمون الأوائل على دراسته والتبحر في معانيه، وكان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يكشف لهم ما استغلق من آياته المباركة، ويوضح ما أجمل من مفاهيمه، وهذا من دواعي النبوة بوصفه المرشد الأول والأمين الأكمل على وحيه، وضوء ذلك فإنّ ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تفسير للقرآن الكريم عدّ أساساً للتفسير في نشأته الأولى، فلما التحق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى شَمَّر أهل بيته وصحابته الكرام عن ساعد السعي الحثيث والجد الدؤوب في تعليم القرآن الكريم حفظاً وعملاً على نهج نبي الأمة صلى الله عليه وآله وسلم.

أما أهل البيت عليه السلام الذين فيهم وفي بيوتهم نزل كتاب الله فهم أعلم الأمة به، وهذا مما لا يحتاج إلى توثيق أو استدلال وليس من شك في ذلك، فلقد أحتل أهل البيت مكانةً مرموقةً ومقدسةً في الذهنية الإسلامية، وموقعاً مهماً في الوجدان الإنساني برمته، لما اتصفوا بخصالٍ محمودةٍ واشتملوا على صفات قل نظيرها في النوع الإنساني، علاوة على ما امتلكوه من صفة

---

(١) الأحقاف/ ٣٠.

(٢) الشورى/ ١٣.

الإمتداد والربانية والعمق والأصالة، التي سمحت لهم بتجاوز جميع المواقع التي تدور في نطاق المسلمين العلمية والعملية معاً حتى أضحوا ترجماناً مقدساً لكل تطلعات الذين اعتنقوا هذا الدين الحنيف، وغيرهم من المحرومين الذين يقطنون سطح الكرة الأرضية.

إنَّ ذكر أهل البيت عليه السلام تماماً كالقرآن لاتبلى جدّته ولا يمل تكراره ومن لايؤمن بالقرآن والإسلام فإنّه يؤمن بالإنسانية وسيرة أهل البيت عليه السلام مصداق لكل خير وفضيلة، فالوفاء لهم واجب إنساني وعلمي بقدر ما هو واجب ديني وقرآني، كذلك إن محبتهم ومودتهم تكمن في إظهار علومهم ومعارفهم وهو من أعظم القربات عند الله تعالى، لذا تناول البحث علماً من أعلامهم سبط الأمة وسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام قرين القرآن وَثَبَتَ عَن الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي)[1]، وهذا الحديث متفق عليه عند الفريقين، ومن البديهي أنَّ الأئمة عليه السلام جميعاً نور واحد متشابهون في الخصال والميزات، فكما أنَّ علياً مع الحق والحق مع علي وعلي مع القرآن والقرآن مع علي كذلك الحسين مع القرآن والحق وهما معه والمهدي مع القرآن والحق وهما معه، وهكذا فحياة الأئمة (عليهم السلام) وسلوكهم تجسد للقرآن في حقيقته لذا تجد مولانا الحسين عليه السلام يتلو القرآن حتى وإن كان رأسه المقدس فوق رأس القنا فكان أعجب من أصحاب الكهف والرقيم، ولله در القائل:

---

(١) - ظ- أمالي الطوسي (٤٦)، بحار الأنوار: ٤٧٦/٢٢، تذكرة الخواص: ٢٨٨/١، ٢٩٠.

وإذا بقرآن النبي على القنا　　　يهدي المضل طريقه وينور

وإذا حسين عن (محمد) ناطق　　　وإذا (محمد) في حسين يظهر

فهم القرآن الناطق وهم عدل القرآن بصريح قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وانهما لن يفترقا حتى يردا عَليّ الحوض)[١]، فالقرآن الكريم معصوم من الخطأ وكذلك الأئمة معصومون من الخطأ أيضاً، وكما أنَّ القرآن هدى ورحمة للمؤمنين كذلك الأئمة المعصومون عليهم السلام.

وما أثر عنه الكثير في مختلف العلوم الشرعية وغير الشرعية، لذا اختصت هذه الدراسة بما أثر عنه عليه السلام من تفسير للقرآن، وعلى حد علمي لم تكن هناك أي دراسة أكاديمية أو بحث منشور فيما يخص الروايات التفسيرية المروية عنه عليه السلام في أية جامعة حسب ما استقصيته، سوى ماكتبه بعض الأعلام وأهل التراجم، ومنهم الشيخ باقر شريف القرشي رضي الله عنه في كتابه (حياة الحسين عليه السلام) الذي استفدت منه كثيراً، أما ما كتبه الآخرون فيغلب عليه الحديث عن منهجه البطولي والثوري عليه السلام، وأما ماكتبه الدكتور عبد الرسول الغفاري (الحسين عليه السلام من خلال القرآن الكريم)[٢] فهو تأويل للنصوص القرآنية بما يطابق المنهج الحسيني، أما ما قام به السيد محمد علي الحلو فكان جمعاً للروايات ولاسيما التفسيرية وليس جميعها، وكان هذا الجهد جهداً عظيماً يشكر الباحث عليه

---

(١) زورق الخيال، السيد بحر العلوم (قدس): ١١٧

(٢) قامت بطبعه دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦.

وقد سمى كتابه (تفسير الإمام الحسين)[1].

أما فيما يخص الدراسات الأكاديمية نذكر دراسة الماجستير للباحث إسماعيل محمود محمد عيسى الجبوري بعنوان (فقه الحسنين عليهما السلام)[2] فقد اختصت بالروايات الفقهية ذاكراً ست راويات فقهية فقط عن الحسين عليه السلام أربع مشتركات مع الإمام الحسن عليه السلام واثنتان فقط من مرويات الإمام الحسين عليه السلام وفيه من التجنّي على الإمام الحسين عليه السلام كونه عليه السلام عملاقاً في كل العلوم فضلاً عن العلوم الشرعية، وقد أحصيت عدداً كبيراً من الروايات الفقهية لتكون أوسع أطروحة فقهية تخص الإمام الحسين عليه السلام.

ومنهج هذه الدراسة على نحو عام كان الباحث موضوعياً بعيداً عن التعصب والهوى مبرزاً بشكل خاص ما للإمام الحسين عليه السلام من أثر واضح في علوم القرآن، دون التجني على جهود الآخرين، لأن هدف الجميع هو خدمة كتاب الله العزيز وبيان مراميه بإخلاص وتفانٍ قل نظيرهما في التراث الفكري، وكانت معاملتي للروايات على أساس السند والمتن، فقدمت ترجمة لرواة الإمام الحسين عليه السلام وأرجعت الروايات إلى القرآن والسنة المطهرة، وربما أقوم بتثبيت نسبة الروايات إلى الإمام الحسين عليه السلام التي قد ينكرها البعض وذلك بالرجوع إلى مصادر الحديث والرجال، وحسب القواعد المعلومة، وقد اقتضت هذه الأطروحة أن تقسم على خمسة فصول:

(١) قامت بطبعه العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٢) جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الفصل الأول: حياته ورواته، تناولت فيه الحياة الشخصية والاجتماعية والفكرية والسياسية وأسباب النهضة الحسينية ومعطيات ليلة عاشوراء ثم ترجمة لرواته عليه السلام وقد أثبت رأي علماء الرجال بكل أمانة علمية فضلاً عن رأي الباحث بعيداً عن التعصب والهوى وقد انتظم هذا الفصل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول الحياة الشخصية والاجتماعية، المبحث الثاني: الحياة السياسية، المبحث الثالث: رواته عليه السلام.

الفصل الثاني: الروايات التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام في القرآن الكريم وعلومه، وتكوّن هذا الفصل من أربعة مباحث.

الأول: القرآن الكريم وفضله، والثاني: أسباب النزول، والثالث: التأويل ومنهجه التفسيري، والمبحث الرابع: عناوين متفرقة.

الفصل الثالث: الروايات التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام في تفسير آيات العقائد، وقد انتظم هذا الفصل على ثلاثة مباحث في التوحيد والنبوة والإمامة، وهذا الفصل من أوسع الفصول.

الفصل الرابع: الروايات التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام في الفقه الإسلامي، وقد انتظم هذا الفصل على ثلاثة مباحث في العبادات والعقود والإيقاعات والأحكام، وكان هذا الفصل أقل الفصول حجماً لقلة الروايات التفسيرية الواردة فيه.

الفصل الخامس: الروايات التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام الأخلاقية والتربوية، وقد انتظم هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

صفات المؤمنين، التربية والتعليم، تهذيب النفس، وبعد ذلك خاتمة

لأهم ما توصلت إليه فضلا عن قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

وقد فصلت في جميع ما تقدم رأي الإمام الحسين عليه السلام ثم قمت بتحليل النص بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم لتوضيح الألفاظ الغريبة، واضعاً معناها في الهامش أو المتن عند الحاجة إلى ذلك، ثم الاستدلال بالقرآن الكريم والسُنة المطهرة وأقوال العلماء والفقهاء والمفكرين فإن عسر عليّ شيء استشرت واستفهمت أهل الاختصاص كأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وأساتذة الدراسات العليا في جامعة الكوفة وغيرها، لذا تنوعت مصادر البحث من مصادر ومراجع: مثل كتب علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والكلام والتاريخ والأخلاق والطب فضلاً عن كتب اللغة والمعاجم وغيرها.

أما الصعوبات التي واجهتها فلن أتحدث عنها لأن كل باحث يمر بها، وفي الختام أوجه شكري لأساتذتي المشرفين الأستاذ الدكتور صباح عباس عنوز والأستاذ المساعد الدكتور محمود محمد مجبل لما بذلاه من جهد جهيد معي.

لقد حاولت بهذا الجهد المتواضع أن أكشف عن أهم الروايات التفسيرية الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام داعياً المولى القدير لبلوغ مابه النجاة قبل الممات وبعده، وأن ينال هذا البحث رضا الله سبحانه وتعالى وأهل بيته الكرام أولاً ورضا أساتذتي الكرام ويقر عيونهم بطلبتهم فما هو إلا من ثمار جهودهم ساعياً بالشكر الوافر والامتنان الخالص داعياً من الله الحسنى وجعل عاقبتهم للتي هي أزكى والله من وراء القصد.

الباحث

الفصل الأول

حياة الإمام الحسين عليه السلام ورواته

المبحث الأول: الحياة الشخصية والاجتماعية

المبحث الثاني: الحياة السياسية

المبحث الثالث: رواته عليه السلام

المبحث الأول
الحياة الشخصية والاجتماعية والفكرية

أولاً: ولادته، صفاته، رضاعه، شهادته

ولادته

سَطَعت شمس النُبّوة، فأشرقت الأرض بنوره وتَزَيَنَتْ الجنان والحور العين باستهلاله، ففرح النبي وآل بيته وصحبه جميعاً (صلوات الله عليهم أجمعين) كيف لايكون ذلك وهم يرون البَسمة في وجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقد ولد داخل المسجد النبوي الشريف، وياها من ميزة وخصيصة فأبوه يولد داخل بيت الله الحرام[1]، وهو عليه السلام يولد داخل

(١) ظ. الإرشاد، الشيخ المفيد: ٧، كشف الغمة، الإربلي: ١/١٢٣، كشف اليقين، العلامة الحلي: ٣٢، ذخائر العقبى، الطبري: ٥٧ (....وقد أتت فاطمة بنت أسد فوقفت بإزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت: أي رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك الرسول وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتاب أنزلته وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وأنّه بنى بيتك العتيق فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه وأنا مؤمنة أنه إحدى آياتك ودلائلك لما يسرت علي ولادتي...)، ظ. الخبر بتمامه في المصادر السابقة.

المسجد النبوي الشريف[١].

ثم يباشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأداء مراسيم الولادة فيؤذن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى فإذا أمين الوحي جبرائيل يهبط باسم مختار من السماء لهذا الوليد المبارك وهذه خصيصة أخرى[٢]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بشر ابنته الطهر البتول بولادته، وفي رواية المقداد بن الأسود الكندي[٣] عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنَّه صلى الله

---

(١) التهذيب: ٦/٧٧٠ ح٧٠٣٩.

(٢) روي بإسنادين أحدهما عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) والثاني عن جابر ابن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه لما ولد الحسين (عليه السلام) أوحى الله عز وجل ذكره إلى جبرائيل (عليه السلام) فقال: (إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون، قال (عليه السلام): وما كان اسمه؟ قال: شبر، قال صلى الله عليه وآله وسلم: لساني عربي مبين، قال: فسمه الحسين، ظ. الإسناد الأول: الكافي، الكليني: ٦/١٤٤٩ ح١٠٣٦٣، والإسناد الثاني: علل الشرائع، الصدوق: ١/١٣١، كشف الغمة، الإربلي: ٢/٤٣٠، وينظر: الإمام الحسين (عليه السلام) من الميلاد إلى الاستشهاد، هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله وسلم: ٦٢، وينظر سنن النسائي: ٩/٢٩٩، مسند أبي يعلى: ٥/٣٢٤، وعلى أشهر الروايات أنّه ولد في الثالث من شعبان في السنة الثالثة من الهجرة وكان بينه وبين أخيه الحسن (عليه السلام) ستة أشهر عن عدة من أصحابنا عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام). ظ. الكافي: ١/٢٣٩ ح١٢٥٤، تذكرة الخواص: ابن الجوزي: ٢/١١٥، بحار الأنوار المجلسي: ٤٤/٢٠١، وهناك روايات أخرى: ظ. التهذيب: ٩/٧٨٠، إعلام الورى: ٢١٣.

(٣) المقداد بن الأسود الكندي: أول فارس في الإسلام ومن حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أخلص إلى بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له مكانة عظيمة ومرموقة في نفوس أئمة أهل البيت (عليه السلام).ظ. الثقات لابن حيان: ١/١٥٨، الإصابة لابن حجر: ٧/١٢، وينظر: المقداد بن الأسود، الشيخ محمد جواد مغنية.

عليه وآله وسلم لما رآها قال: (.....فإنّي أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً وذلك أنّك ستلدين حجةً لهذا الخلق...)[١].

ولما ولد عليه السلام في رواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: (إن الله سبحانه أَمَرَ خازن النيران أن يخمدها وخازن الجنان أن يزينها وكذا الحور العين، فاستعلم دردائيل عن ذلك، فقالوا: إنّه ولد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم مولود جديد ثم حمل إلى مهد الحسين عليه السلام وتوسل إلى الله به عليه السلام فرد إلى مقامه بين الملائكة فعرف بين الملائكة أنَّه: (عتيق الحسين عليه السلام أو مولى الحسين عليه السلام)[٢].

صفاته البدنية

كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل صفة ولا ريب في ذلك فهو فرع من ذلك الأصل وقد اقتسم الشبه مع أخيه الحسن عليه السلام قال عبد الرحمن بن عوف: (ألا تسألوني قبل أن تشوب الأحاديث الأباطيل فالحسن عليه السلام أشبه جده مابين الصدر إلى الرأس والحسين عليه السلام أشبه ماكان أسفل من ذلك من لدن قدميه إلى سرته)[٣].

---

(١) الخرائج والجرائح: الراوندي: ٨٤٢/٢ باب١٦، العوالم الإمام الحسين عليه السلام البحراني: ١١.

(٢) الخبر بتمامه، ظ: كمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ٢٨٢، باب٢٤، مدينة المعاجز، البحراني: ٤٣٢/٣ ح٩٥٤، بحار الأنوار: ٢٤٨/٤٣ ح٢٣ بإسنادين عن أحدهما: عن محمد بن مسلم عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري: ١٧٦/٣، مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور: ١٢٤/٣ وكلام ابن عوف يشير إلى وقوع الوضع في الحديث النبوي من قبل خصماء النبي صلى الله عليه وآله ←

وقد أعلن ذلك الشبه الإمام علي عليه السلام مراراً فقال عليه السلام: (مَن سَرَّه أن يَنْظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين عنقه وثغره فلينظر إلى الحسن عليه السلام ومَن سَرَّه أن يَنْظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كعبه خلقاً ولوناً فلينظر إلى الحسين بن علي عليه السلام)[(١)].

وهذا الشبه له سرٌ ودلالات وهو السبب الذي دَفَع أنس بن مالك إلى الرَد على عبيد الله بن زياد عندما جيئ بالرأس المقدس إلى مجلسه في الكوفة في طست لما رأى قضيب ابن زياد يعلو ثنايا أبي عبد الله عليه السلام فجعل ينكت فيها بقضيب في يده وقال في حسنه شيئاً عندها قال أنس: (كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[(٢)].

كذلك كان عليه السلام يشبه أباه في الشجاعة والإقدام وقد اشترك في كل معارك أبيه عليه السلام الجمل وصفين والنهروان وكان البطل المقدام الذي هابه الفرسان وقد صرح الإمام علي عليه السلام بذلك فقال عليه السلام (وأشبه أهلي بيَّ الحسين)[(٣)].

وسلم وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم بعدما منع من تدوينه في زمن عمر بن الخطاب: أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو ريه: ١٢٠، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث د. حسن الحكيم: ٢١٥.

(١) المعجم الكبير للطبراني بإسناده عن أبي مريم: ٣/٩٥ ح٢٧١، مختصر تاريخ دمشق: ٣/١٢٤.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٢٢ ح٣٧٤٨، مسند أحمد بن حنبل: ١/٩٩، ترجمة الإمام الحسين المطبوع لابن عساكر: ٤٨.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير: ٢/١٣، مختصر تاريخ دمشق: ٧/١٢٨.

وعن إقدامه وشدة صلابته يصفه أبيه عليه السلام: (وأما أنا وحُسين فنحنُ مِنكم وأنتم منا)[١]، وكل هذه الميزات والصلابة التي كان يمتاز بها جعلته أنموذجاً مثالياً ليكون أسوة وقدوة للأحرار ونلاحظ أنَّه تميز بميزات خاصة لم تحصل لغيره.

١.إنَّه ولد في بيت الله في مسجد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. إنَّه سميّ الله عز وجل.

٣. إنَّه يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل شيء.

إنَّه شبيه أبيه الإمام علي عليه السلام في الشجاعة والتضحية وتاريخ أبيه في الشجاعة غني عن التعريف ويكفيه أنَّه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة دليل على الشجاعة والتضحية الفانية في سبيل الدين[٢]، وقد سار الحسين عليه السلام على هذا النهج من التضحية والفداء لمحاربة من أراد مسخ الدين باسم الدين فافتضح الأدعياء ببركة تلك الدماء الزكية الطاهرة التي سقت الإسلام من جديد ليتجدد دينه ويصلب عوده.

---

(١) شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣٩٦/٣ ح١٢٧٦ الحديث عن ابن إدريس تاريخ ابن عساكر: ١٧٨/١٤ الحديث عن ابن إدريس عن المسيب بن نجية، تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٠١/٥، ترجمة الإمام الحسن لابن سعد: ٦٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨٤/٢٠.

(٢) ظ. مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) محمد بن سليمان الكوفي: ١٢٤، وينظر: سبب نزول: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } شواهد التنزيل، الحسكاني: ١٢٣/١ ح١٣٣.

رضاعه

من المؤكد إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد ارتضع لبان المعرفة والحكمة من الصديقة المباركة فاطمة الزهراء عليه السلام، كذلك أثرت روايات عديدة تفيد أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زقّه بلسانه وبإبهامه يَمِص منها ماينبت فيه من أخلاق النبوة فضلاً عن صفة أبدانها، ومن الروايات التي تفيد هذا المعنى: روى ثقة المحدثين الشيخ الكليني (طاب ثراه) وبأسانيد متعددة عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام أنَّه عليه السلام لم يرتضع من أنثى قط، قال الصادق عليه السلام: (إنّه كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضع إبهامه في فيه فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودمه ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم والحسين بن علي عليهما السلام)[١]، قال ابن شهر آشوب بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل لسانه في فيه فيغره كما يغر الطير فرخه فجعل الله له في ذلك رزقاً ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة فنبت لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢] قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها (ما كنت أحسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغذوه إلا لبناً أو عسلاً)[٣].

(١) الكافي: ٢٣٩/١، ح٤، ح٥، مدينة المعاجز، البحراني: ٤٣٩/٣ ح١٩، بحار الأنوار: ١٩٨/٤٤ ح١٤.

(٢) المناقب: ٢٠٩/٣ الرواية عن كتاب غرر أبي الفضل بن خيزانة، بحار الأنوار: ٢٥٤/٣ ح٣١.

(٣) أمالي الصدوق: ١٩٩ ح٢١٢ الرواية عن فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) روضة الواعظين الفتال النيسابوري: ١٥٥، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) البحراني: ١٣ ح٣، بحار الأنوار: ٢٤٣/٤٣ ح١٧.

وقد جمع هذه المعاني السيد بحر العلوم (قدس) في بيت شعري[1]:

لله مرتــضع لم يرتــضع أبــداً   من ثدي أنثى ومن طه مراضعه

وروي أن لَه مرضعة أخرى وهي أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلبن قثم بن العباس[2]، وذكر أهل السيرة أنَّ له أخاً من الرضاعة وهو عبد الله بن يقطر رضي الله عنه ارتضع على يد أم الفضل بلبن قثم، وقد رافق عبد الله بن يقطر الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة وأرسله إلى الكوفة فَقُبِضَ عليه واستشهد رضوان الله عليه[3].

---

(١) منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي: ٢٥٦/١، وينظر: خبر عائشة، مختصر تاريخ دمشق: ١٢٥/٧، ١٣٤، خبر السيدة أم سلمه (رض)، روضة الواعظين: ١٣٢.

(٢) سنن ابن ماجة: ١٩٣/٢ ح٢٩٢٣، المعجم الكبير: ٢٥/٢٥ مسند لبابه أم الفضل، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٧٨/٨ ترجمة أم الفضل، أمالي الصدوق: ٧٥ ح١ مجلس ١٩، وينظر: قاموس الرجال، التستري: ١٩٩/١٠، معجم رجال الحديث: ٧٩/١٥ رقم ٩٦٢٢، الاستيعاب لابن عبد البر ١٣٠٤/٣ رقم" ١٢٦٦، معرفة الثقات، العجلي: ٢١٧/٢ رقم١٥١٤، الثقات لابن حيان: ١٥٩/٢.

(٣) عبد الله بن يقطر: خرج مع الحسين عليه السلام من مكة، فأرسله عليه السلام إلى الكوفة فقبض عليه في القادسية من قبل رجال الحصين بن نمير وجيء به إلى ابن زياد فقال له: اصعد فوق القصر والعن فصعد رضي الله عنه وقال: أيها الناس إني رسول الحسين عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة الدعي، فأمر ابن زياد برميه من أعلى القصر، ثم ذبحه عبد الملك بن عمير اللخمي، قال الطبري: إن عبد الله بن يقطر رضيع الحسين عليه السلام ليس له صحة، بل كانت أم عبد الله حاضنة للحسين (عليه السلام) وكانت لدة الحسين عليه السلام. ظ: تاريخ الطبري: ٣٠٠/٤، مقتل الخوارزمي: ٢٢٨/١، الإرشاد للشيخ المفيد: ١٥٦، الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم: ٣٢/٤.

إنَّ هذه الرواية- رواية رضاع الحسين عليه السلام بلبن قثم- تعارض ما تسالم عليه المؤرخون من أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قد هاجر إلى المدينة بعد فتح مكة. بل إن بعض المؤرخين ينكرون لـ (قثم) صحبة، وربما تكون هذه الرواية من وضع العباسيين لكن يمكن القول بعد هجرة العباس إلى المدينة بعد الفتح إنّ السيدة أم الفضل عندما رأت الإمام الحسين عليه السلام أحبته فأرادت أن تعلن ولاءها له وقد ذاع خبر عند ولاته أنّه وُلِدَ ويداهُ مخضبتان بالدماء[١].

شهادته ومدفنه الشريف

وهذا مما لم يختلف عليه أحد، حيث إنَّه استشهد عليه السلام في العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة في كربلاء المقدسة، التي حولها عليه السلام بعد أن كانت صحراء إلى قبلة للأرواح هفوا إليها النفوس الطيبة وتحتضنها الملائكة نقل عليه السلام إليها خواصاً ضخمة، ووضع فيها دستوراً ومنهجاً لمن يطلب الحرية والمبدأ بعدما سقاها بالدماء الطاهرة، وقدم فيها القرابين تلو القرابين وكانت بعين الله عز وجل.

ثانياً: الكنية واللقب

كنيته عليه السلام

كنيته أبو عبد الله عليه السلام ولم تذكر له كنية أخرى في مصادر السيرة والتاريخ.

---

(١) ظ. مختصر تاريخ دمشق: ١٤٩/٧ وينظر: مقتل أبي مخنف الأزدي: ٧٨.

ألقابه عليه السلام

له ألقاب كثيرة ومنها السبط الرشيد، الرضي، الوفي، السيد، الزكي، المبارك الحبيب، مصباح الهدى، سيد شباب أهل الجنة، ريحانة رسول الله أبو الشهداء، أبو الأحرار(١)، وغيرها من الألقاب وكلٌ لقب له سبب فهو إما صادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإما دلَّت عليه سيرته عليه السلام.

١- السبط: روي بإسناد عن يعلى العامري في حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال **(حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط)**(٢).

٢- حبيب الله ورسوله: روي عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال في الحسن والحسين عليه السلام: **(اللهم إني أحبهما فأحبهما)**(٣).

٣-زين السماوات والأرض ومصباح الهدى وسفينة النجاة: من أحاديث

(١) ظ. كشف الغمة، الإربلي: ٤٣١/٢، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ١١٥/٢ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٥٧.

(٢) مسند أحمد: ٤/ ١٧٢، المصنف لأبي شيبة: ٥١٥/٧ ح٢٢، المعجم الكبير للطبراني: ٣٣ ح٢٥٨٩، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ١٧٧/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، صحيح ابن حبان: ٤٢٩/١٥ مدينة المعاجز البحراني: ١٥٥/٤ ح٢٢٢، أمالي السيد المرتضى: ١٥٧/١ بإسناد آخر.

(٣) صحيح البخاري: ٢١٦/٤ باب مناقب المهاجرين ، سنن الترمذي: ٣٢٢/٥ فضائل الصحابة، النائيني ٢٤، مسند أحمد: ٢١٠/٥ و الإرشاد، الشيخ المفيد: ٧٧ المناقب لابن شهر آشوب: ٣١٥٤، العمدة: ابن البطريق: ٤٠٦، باب مناقب الحسن والحسين (عليهما السلام).

سلسلة الذهب ومنها عن علي بن عاصم عن محمد الجواد عليه السلام عن أبيه الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أُبي بن كعب[١]، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السموات والأرضين، قال له أُبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السموات والأرضين أحد غيرك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أُبي والذي بعثني بالحق نبياً إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل: مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام خير ويُمن وعزٍ وفخرٍ وعلمٍ وذخرٍ، وإنّ الله رَكَّب في صُلبه نطفةً طيبةً مباركةً زكيةً)[٢].

٤- **ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:** روى الكليني بإسناد عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وإنّ ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين)[٣].

وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنّ رجلاً سأله عن دم البعوض، فقال: من أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: **(انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**

---

(١) أُبي بن كعب البخاري المدني من أعيان الصحابة وقضاتهم ومن قراء القرآن، شهد بيعة العقبة الثانية وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله قيل إنه توفي زمن عمر بن الخطاب بالمدينة، ظ: ترجمته الإصابة: ١/٩، أسد الغابة: ١/٤٩، طبقات ابن سعد: ٢/٣٤٠.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) الصدوق: ١/٦٢ ح٢٦، كمال الدين: ٢٦٥، فرائد السمطين للحموي: ٢/١٥٥.

(٣) الكافي: ٦/٢ ح١، وسائل الشيعة: ٢١/٣٥٨ ح١.

ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: هما ريحانتي من الدنيا[(١)])، يشير إلى الحسن والحسين (عليهما السلام).

٥- سيد شباب أهل الجنة: وهو من الألقاب الخاصة له ولأخيه الحسن (عليهما السلام) رواه الفريقان وبعدة أسانيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[(٢)].

٦-أبو الشهداء: إنَّ لهذا اللقب ميزة رسالية إنسانية تربوية، اختص به الإمام الحسين عليه السلام لم يشاركه أحد من الخلق إذ كان أباً للشهداء في كربلاء فاحتضن العبد الأسود كما احتضن ولده الأكبر، واحتضن الغلام والخادم كما احتضن أخاه العباس عليه السلام واحتضن الشهداء جميعاً وإلى هذا اليوم وكل من سار على نهجه وخطه عليه السلام [(٣)].

٧-أبو الأحرار: وهو من الألقاب الخاصة لمولانا الحسين عليه السلام فلم يطلق هذا اللقب على أحد من قبله ولا بعده وقد أثرت كلمة (الحر) من بعض أقواله المنسوبة إليه فيقول (ألا حر يدع هذه اللماظة لأهلها، ليس

---

(١) صحيح البخاري: ٢٢٢/٢ ح٣٧٥، مسند أحمد: ٤٠٢/٩ ، ٤٤٨ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٢٥ ١٥/٤٢٦.

(٢) من لايحضره الفقيه، الصدوق: ١٧٩/٤ ح٥٤٠٤، عن ابن عباس، كفاية الأثر، الخزار القمي: ٣٨ عن أبي ذر الغفاري، أمالي الشيخ المفيد: ٢١ رواه عن الإمام الصادق (عليه السلام) سنن ابن ماجة: ٤٤/١ ح١١٨ عن ابن عمر، سنن الترمذي: ٣٢١/٥ عن أبي سعيد الخدري وقال هذا حديث حسن صحيح، مسند أحمد: ٣٩١/٥ عن حذيفة اليمان، المستدرك على الصحيحين: ١٦٧/٣ رواه بعدة أسانيد وعن أبي سعيد الخدري وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٣) كتب المرحوم عباس العقاد كتاباً سماه (أبو الشهداء)طبع عدة مرات ظ ترجمته في المصادر.

لأنفسكم إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها، فإنَّه من رضي بالدنيا فقد رضي بالخسيس)[١].

فالإمام عليه السلام يبحث عن الرجل الحر الذي ينظر إلى الدنيا كأنها لماظة، ويخلص قلبه لله سبحانه وتعالى، واللماظة هي: بقايا الطعام في الأسنان والتي يخرجها المرء بعود الخلال ويرميها جانباً[٢]، فيزيد ودنياه مثل اللماظة في فكر الحسين عليه السلام في عزته وحريته يرفض الخنوع ليبقى حراً لذا قال عليه السلام: (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)[٣].

٨- **أبيّ الضيم:** هذه صفة مميزة يتميز بها الأحرار أيضاً لأنهما صفتان متلازمتان وتأخذ تلك الصفة من كلامه وسيرته عليه السلام فيقول عليه السلام: **(ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى (من الإباء) الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّه لانؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)**[٤]، فالإباء شجاعة والشجاعة من أهم صفات المصلح، ولذا يمكن أن يكون سراً من أسرار آل البيت عليه السلام **(ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي)**[٥] هذا الأفق الواسع في الحديث الشريف

(١) حياة الحسين (عليه السلام) القرشي رضي الله عنه أخرجها عن البحار، والرواية من مرويات الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة الحكمة: ٤٥٦.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، باب: ل م ظ، لسان العرب: ٦٤١/٧ باب لمظ.

(٣) شرح الأخبار المغربي: ١٤٩/٣ و المناقب لابن شهر اشوب: ٣٢٤/٣.

(٤) مقتل الخوارزمي: ٦٧/٢، اللهوف، السيد ابن طاووس: ٤٧ بحار الأنوار: ٧٤/ ١٦٢.

(٥) ظ. وسائل الشيعة ٣٤/٢٧ وينظر: الأصول العامة للفقه المقارن السيد محمد تقي الحكيم (قدس) مصادر الحديث عند الفريقين وحجيته.

يأمرنا بالتمسك برأس الذي هو خليفة الله ومن صفاته الإباء يقول الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: **(فلما رأوك ثابت الجأش غير خائف ولا خاش..)**(١)، فلم يثني أبا الضيم عن هدفه الإصلاحي كثرة الجيوش والخوف من رؤوس القوم وجماجمهم وهذا المبدأ يجب أن ننقله إلى الأجيال اللاحقة بكل دقة وأمانة فلا تراجعوا تخاذلاً عن الأهداف السامية وقد كان إباؤَهُ درساً خالداً.

والإباء صفة لاصقة لأهل البيت عليه السلام عموماً وكان الرمز الحسين عليه السلام، وتكفي كربلاء شاهداً على إبائه وعزة نفسه يقول ابن أبي الحديد: **(سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً على الدنية، أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل فاختار الموت على ذلك)**(٢)، وهذا هو الإباء العقائدي وهو هدف سام لاينهض به إلا أصحاب الهمم العالية والنفوس المطمئنة حتى يصل إلى الأجيال اللاحقة بصورة مشرقة، ومن صور الإباء التربوي والأخلاقي أنَّه ضاق عليه الأمر فركبه دين فاغتنمه معاوية فكتب إليه وأرسل مائتي دينار يريد أن يشتري بها عينة أبي نيزر(٣) التي

(١) بحار الأنوار: ٢٢/٢٦٩-٢٧٤ زيارة الناحية المقدسة، مقتل العوالم: ٣٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣/٢٤٩.

(٣) أبي نيزر: قيل إنَّه من ملوك العجم، وقيل من ولد النجاشي وهو المشهور، قال المبرد: أنه من ولد النجاشي، رغب في الإسلام صغيراً فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقي معه حتى التحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى، تحول إلى دار فاطمة الزهراء وأولادها وذكر أنه لما مات النجاشي جاء إليه أهل الحبشة ليقيموه ملكاً عليهم، فقال: ساعة أخدم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من أن أكون ملكاً عمري كله، ظ: ←

حفرها أمير المؤمنين عليه السلام بيده الشريفة وأوقفها على فقراء أهل المدينة وابن السبيل فأبى عليه السلام أن يبيعها قال المبرد قال محمد بن هشام: قال الحسين عليه السلام: **(إنَّما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه، حرَ النار ولست بائعها بشيء)**[١].

ثالثاً: النسب الشريف، أسرته

النسب الشريف

إنَّ نسب المولى (عليه السلام)خَيرُ أهل الأرض وفاءً وإباءً وشجاعةً وإقداماً وعزةً، نفوسٌ طيبةٌ وطباعٌ كريمةٌ فَنُقِشَ ذكرهُم في صفائح من ذهبٍ على جبين الدهرِ لاتمحى وإن طالَ العهد.

الأب: علي المرتضى بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ويستمر نسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام وهو عليه السلام أول هاشمي من هاشميين[٢].

الكامل: ٢٠٨/٣-٢٠٩. وخلف ولداً اسمه (نصر) بقي مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده ثم خرج مع الحسين (عليه السلام) واستشهد في الحملة الأولى: ظ: الكنى والألقاب، القمي: ١٧١/١، أبصار العين، السماوي: ٩٧، فرسان الهيجاء، المحلاتي: ١٧٢/٢، مقتل الحسين عليه السلام وأنصاره د. نجاح الطائي: ٣٠٤.

(١) الكامل للمبرد: ٢٠٨/٣، مستدرك الوسائل، النوري: ٦٢/١٤.، العينة: الحديقة والبستان، لسان العرب باب عين.

(٢) ظ. على سبيل المثال: جمهرة النسب، الكلبي: ١١٦/٣، ٢١٦، الاستيعاب: ٤٤٢/١، سير

الأم فاطمة الزهراء بنت خاتم الأنبياء ومحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويستمر نسبها الشريف إلى إبراهيم الخليل عليه السلام [(١)].

هذا من جهة الآباء أما من جِهة الجدات فجدَّته لأمه خديجة بنت خويلد عليها السلام سابقة النساء إلى الإيمان بالله ورسوله، وجدته لأبيه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها كفيلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي أول امرأة هاجرَت من مكَةَ إلى المدينة ماشية حافية -حسب قول ابن الأثير- وهي أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [(٢)]، وقد أحبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما توفيت رضي الله عنها كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقميصه ثم اضطجع في قبرها وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إنها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً إليَ بعد أبي طالب رضي الله عنهما ورحمهما) [(٣)].

ومن ثم فإنّه عليه السلام قد جمع المفاخر والمعالي من جهة الآباء والأمهات والأجداد والجدات، فلا يرتاب مسلم بعدئذ (بأن آل محمد صلى

أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/٢٨٠-٣٢١، الدر النظيم: ٥٢٥، دائرة المعارف الشيعية العامة: ٨/٢٤٤-٣٠١، وينظر: أنساب الأشراف، ١/٩٦ رقم ١٧١، السيرة الحلبية: ١/١٨٥.

(١) المصادر نفسها وينظر: تاريخ ابن عساكر ٣/٣٣٤ روايات في فضل الزهراء (عليها السلام) جمعها عن الأئمة المعصومين (عليه السلام)وإنها تتوج بتاج العز يوم القيامة كرامة لها.

(٢) أسد الغابة: ٥/٣٥، تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ١/١٥١، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٣٧، تاريخ ابن عساكر: ١/٢٢ رقم ١٠، ١١، ١٢.

(٣) الكافي: ١/٤٣٥، أمالي الصدوق: المجلس: ٥١ ح١٤، مناقب ابن المغازلي: ٧٧، رقم١٥، أنساب الأشراف: ٢/٣٥ رقم ٢٢، أسد الغابة: ٥/٥١٧، المستدرك ، الحاكم النيسابوري: ٣/١٠٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الله عليه وآله وسلم هم أشرف الخلق طراً وأعرقهم نسباً وأطهرهم رحماً وأكرمهم حسباً وأحمدهم فعلاً وأتقاهم عملاً وأرفعهم ذكراً)[١]، فأقرت لهم الإنسانية جمعاء بالشرف والفضل والخلود والمجد والكرم والشجاعة، وبما أنّ منهج البحث روائي نذكر هنا رواية واحدة في فضلهم رعاية للاختصار: عن ربيعة السدّي، قال: لما اختلف الناس في التفضيل رحلت راحلتي وأخذت زادي حتى دخلت المدينة، فدخلت على حذيفة اليماني[٢] فقال لي: ممن الرجل؟ قلت من أهل العراق، فقال: من أي العراق؟ قلت رجل من أهل الكوفة، فقال: مرحباً بكم يا أهل الكوفة، قلت: اختلف الناس في التفضيل فجئت لأسألك عن ذلك؟ فقال لي: على الخبير سقطت، إني لا أحدثك إلا بما سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي، خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأني أنظر إليه الساعة، كما أنظر إليك الساعة حامل الحسين ابن علي عليه السلام على عاتقه كأني أنظر إلى كفه الطيبة واضعها على قدمه يلصقها بصدره فقال (أيها الناس لأعرفن ما اختلفتم -يعني في الخيار- بعدي هذا الحسين بن علي خير الناس جداً وخير الناس جدّة جدّه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد النبيين وجدّته خديجة بن خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله هذا الحسين بن علي خير الناس أباً وخير الناس أماً أبوه علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) كشف الغمة: ٢/٢٩٢ مقتبس منه وينظر: الوافي بالوفيات: ١٠/٢٨٠ حديث للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) حذيفة بن اليمان حسيل بن جرد بن الحارث العبسي، وهو من نادرة النسب، من كبار الصحابة والتابعين، وصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنافقين، ظ: رجال الكشي: ٣٨، صفوة الصفوة: ١/٦١٠، شذرات الذهب: ١/٤٤.

وسلم ووزيره وابن عمه وأمه فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين، هذا الحسين بن علي خير الناس عماً وخير الناس عمة عمه جعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وعمته أم هاني بنت أبي طالب، هذا الحسين بن علي خير الناس خالاً وخير الناس خالة، خاله القاسم بن محمد بن رسول الله وخالته زينب بنت محمد رسول الله، هذا الحسين بن علي جدّه وجدّته في الجنة وأبوه وأمه في الجنة، وعَمّه وعَمَّته في الجنة وخاله وخالته في الجنة، هو وأخوه في الجنة إنّه لم يؤت من ذرية النبيين ما أوتي الحسين بن علي عليه السلام...)(١).

إنَّ ولادته في ذلك البيت الطاهر حيث الملائكة تترى صعوداً ونزولاً على جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ترفده بالوحي وأخبار السماء ولابد أنّ زغب أجنحة الملائكة قد تركت أثراً في ذلك البيت فاحتفظ أهله بذلك الزغب، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب: (كان على الحسن والحسين عليهما السلام تعويذان من زغب جناح جبرائيل)(٢)، وهذا إعلامٌ وبرهان صادق على ارتباط أهل البيت عليه السلام بأهل السماء.

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) محمد بن سليمان الكوفي: ٤٢٢، نظم در السمطين، الحنفي: ٢٠٧، ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ١٩٤، رواية حذيفة مع اختلاف الألفاظ بين المصادر.

(٢) الخصال للصدوق: ٦٧ ح٩٩، كفاية الطالب، الكنجي الشافعي: ٢٧٢، الخصائص الكبرى للنسائي: ٢/٢٥٦، نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي: ٢٢٢، شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١٠/٥٢٨ واثبت صحة الحديث بإسناد آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شرح الأخبار المغربي: ٣/٩٨ بإسناد آخر عن فاطمة الزهراء عليها السلام مدينة المعاجز البحراني: ٣/٥١٧ ح٣٣. الحديث عن أم سلمه مع اختلاف الألفاظ.

أسرته وأزواجه

اختلف في عدد أبنائه بعضهم عدهم ستة[١]، والبعض الآخر عدهم عشرة[٢]، ونذكر ماهو المشهور بين أرباب السير:

١- علي بن الحسين الأكبر عليه السلام: أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية[٣]، وهو أول شهيد من آل البيت يوم عاشوراء كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً لذا قال أبو الشهداء عليه السلام لما برز إلى القتال يوم العاشر: (برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه)[٤]. فكان مرآة الجمال النبوي والخلق المحمدي، ولم يبق بعد قول الإمام الحسين عليه السلام قول لقائل ووصفٌ لواصف، وكان يشبه آباءهُ في الشجاعة والكرم وكان يضع على سطح داره ناراً للمارة والمحتاجين فقصده الشعراء وقيل فيه:

لم تر عين نظرت مثله ... من محتف يمشي ولا ناعل

أعني ابن أبي ليلى ذا الندى والسدى ... أعني ابن بنت الحسب الفاضل

---

(١) ظ. تاريخ مواليد الأئمة (عليهم السلام)، ابن الخشاب: ١٧٧، الإرشاد، المفيد: ١٧٤ المجدي في أنساب الطالبين، العمري: ٩١، أنساب الأشراف، البلاذري: ١٤٦/٣، الشجرة المباركة، الفخر الرازي: ٧٢.

(٢) مطالب السؤول، كمال الدين ابن طلحة: ٣٠/٢، كشف الغمة، الإربلي: ٤٩٠/٢.

(٣) لباب الأنساب، ابن فندق: ٣٥٠/١، أنساب الأشراف: ١٤٦/٣، المعارف لابن قتيبة: ٢١٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٨٦، وينظر: السرائر لابن إدريس الحلي: ٦٥٤/١.

(٤) تاريخ الطبري: ٤٤٦/٥، تاريخ ابن أعثم: ١١٤/٥، الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٦.

لا يؤثر الدنيا على دينه ولا يبيع الحق بالباطل[١]

والظاهر من الروايات أنه متزوج وله ولد، حسب مارواه الشيخ الكليني والحميري بإسناد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن أبي الحسن الرضا فقال: (إنما تزوج علي بن الحسين عليه السلام ابنة الحسن عليه السلام وأم ولد لعلي ابن الحسين عليه السلام المقتول عندكم)[٢].

٢-علي بن الحسين الأوسط الإمام المعصوم عليه السلام، الملقب بالسجاد وزين العابدين وكنيته أبو الحسن عليه السلام وقد كان عليلاً يوم عاشوراء أُخذ أسيراً إلى الشام أمه شاه زنان بنت كسرى يزد جرد ملك الفرس، متزوج ومنه الذرية الطاهرة والغصن المحمدي وكان ولده محمد الباقر عليه السلام الإمام المعصوم معه يوم عاشوراء وله أربع سنوات له كتاب في الأدعية المسمى بالصحيفة السجادية، زبور آل محمد ذاع صيته وأخباره، وهو أشهر من أن تترجم له بضعة أسطر[٣].

٣-علي بن الحسين (الأصغر) المشهور بـ(عبد الله الرضيع)، وأمَّهُ الرباب بنت امرئ القيس بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب الكلبي أبيها نصراني أسلم زمن عمر بن الخطاب، فلما رآه الإمام علي عليه السلام خطبه، وقال له: (أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) إعلام الورى، الطبرسي: ٢٥، كشف الغمة، الإربلي: ٢/٤٩٢.
(٢) الكافي: ٥/٣١.، بحار الأنوار: ٤٦/١٦٤.
(٣) ظ. أنساب الأشراف: ٣/١٤٦، عمدة الطالب لابن عنبة: ١٩٢، المعارف لابن قتيبة: ٢١٣، شرح الأخبار، المغربي: ٣/١٧٧، وينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٤٦، الإمام الباقر (عليه السلام)وأثره في التفسير، د. حكمت عبيد: ٢٣.

وصهره وهذان ابناي الحسن والحسين (عليهما السلام) وقد رغبنا في صهرك فانكحنا، قال: قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرئ القيس، وأنكحتك ياحسن سلمى بنت امرئ القيس وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ ألقيس)[١].

قتل عبد الله الرضيع عليه السلام يوم العاشر، ولما فاض نحره بالدم أخذه الإمام الحسين بكفه ورمى به نحو السماء وقال: (اللهم لايكون أهون عليك من دم فصيل ناقة صالح)، قال الباقر عليه السلام: (إنَّه لم تقع من ذلك الدم قطرةٌ إلى الأرض)[٢]، وفي زيارة الناحية المقدسة: (السلام على الطفل الرضيع المرمي الصريع المتشحط دمه في السماء المذبوح بالسهم في حجر أبيه لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي)[٣].ويلاحظ على الأسماء الثلاثة الأولى كلّها باسم علي عليه السلام لأن هذا الاسم له خصوصية عند أهل البيت عليهم السلام عموماً لأنه يمثل الرمز الإلهي الأول للسلالة المعصومة.

٤- **جعفر بن الحسين:** أمهُ ملومة بنت قضاعة مات في حياة أبيه صغيراً[٤].

٥- **فاطمة بنت الحسين:** تكنى أم الحسن، أمها أم إسحاق بنت طلحة

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/١٤٦، عمدة الطالب لابن عنبة: ١٩٢، الأغاني لأبي الفرج: ١٦/١٤٠.

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٣٠، اللهوف: ١٦٩.

(٣) الإقبال، ابن طاووس: ٣/٧٣.

(٤) ظ. لباب الأنساب، ابن فندق: ١/٣٤٩، الشجرة المباركة، الفخر الرازي: ٧٣، عمدة الطالب لابن عنبه: ١٩٢.

ابن عبيد الله التميمية، التي كانت عند الحسن عليه السلام أولاً ثم تزوجها الحسين عليه السلام بوصية منه، وصفها الإمام الحسين عليه السلام لما خطب الحسن المثنى بن الحسن الزكي عليه السلام إحدى ابنتيه فاطمة أو آمنة فقال عليه السلام: (اختار لك فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار، وفي الجمال تشبه الحور العين) فتزوجها الحسن المثنى وأنجبت ثلاثة أولاد توفيت سنة ١١٧هـ[١].

٦-آمنة بنت الحسين عليه السلام: وتلقب بـ(سكينة) لَقَّبَتْها به أمُّها الرباب بنت امرئ القيس لسكينتها وهدوء في طبعها غلبت عليها[٢]، ووصفها أبيها الحسين عليه السلام بأنها (... وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل)[٣]، والكلمة الأخيرة تفيد أنّها لم تتزوج أبداً لما فيها من حالة الانقطاع إلى لله عز وجل، أما البحث في اسمها فاسمها آمنة أثبته أرباب السير والتاريخ، وروى أبو الفرج: أن رجلاً قال لعبد الله بن الحسن: (إن ابن الكلبي يقول اسمها أميمه، فقال عبد الله سل ابن الكلبي عن أمه وسلني عن أمي)[٤]. عاشت في ظل أخيها زين العباد عليه السلام، ثم في ظل ابن أخيها

(١) ظ. لباب الأنساب: ٣٥٠/١، عمدة الطالب لابن عنبة: ١٩٢، نور الأبصار، الشبلنجي: ٢٧٧، وينظر أيضاً: أعيان الشيعة: ٥٧٩/١.

(٢) ظ. المصادر السابقة وينظر: الإرشاد، الشيخ المفيد: ١٧٤، إعلام الورى، الطبرسي: ٢٥/٢، تراجم النساء من تاريخ دمشق: ١٥٦، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٢٧٦/١.

(٣) لباب الأنساب: ١ /٣٤٩، عمدة الطالب: ١٩٢.

(٤) الأغاني: ١٣٩/١٦، ١٤٧ وينظر أيضاً: المنتظم، ابن الجوزي: ١٥٧/٧

الإمام الباقر عليه السلام وتوفيت سنة ١١٧هـ[١].

هذا هو المشهور بين أرباب السير وذكر له عليه السلام أولاد آخرون هم: إبراهيم ومحمد ومحسن أو يحيى المدفون في جبل الجوشن قرب حلب وزينب ورقية[٢]، كذلك ذكر له زوجات أخريات إضافة إلى ماذكر ومنهن عائشة بنت خليفة بن عبد الله بن الحرث والتي كانت زوجة للحسن عليه السلام وتزوجها الحسين عليه السلام من بعد وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وجارية له عليه السلام اعتقها ثم تزوجها وقد عاتبه معاوية في ذلك، فأجابه الإمام عليه السلام أنّه: (ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتهى في شرف ولا غاية ولانسب ألتمس فيه ثواب الله وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وإنّما اللؤم لؤم الجاهلية)[٣].

إخوانه وأخواته

عدهم الشيخ المفيد سبعة وعشرين[٤]، وعدهم المسعودي[٥] أربعة وعشرين وعدهم آخرون أكثر من ذلك نذكر المشهور منهم:

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ١٧٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٨٨/٤، ينابيع المودة، القندوزي: ٨٨.

(٢) المصادر السابقة نفسها: وينظر: منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي: ٨١٨/١-٨١٩.

(٣) إعلام الورى، الطبرسي: ٤٧١/١، نور الأبصار: ٢٧٧، أعيان الشيعة: ٢٧٩/١ وينظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب فواز: ٢٠٣، المحبر، محمد حبيب: ١٣، حياة الحسين (عليه السلام)، الأعلمي: ٤٩.

(٤) الإرشاد: ١٣١.

(٥) مروج الذهب: ٢٦٢/٢.

١ - الحسن الزكي عليه السلام، زينب الكبرى، أم كلثوم الكبرى وأمهم فاطمة الزهراء (عليها السلام).

٢ - محمد الأكبر المكنى بـ(ابن الحنفية) نسبة إلى قبيلة أمه، وهي خوله بنت جعفر بن قيس الحنفية.

٣- العباس بن علي عليه السلام حامل لواء الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وإخوته جعفر وعبد الله وعثمان (رضوان الله عليهم أجمعين) وأمهم جميعاً فاطمة بنت حزام الكلابية وتلقب بـ(أم البنين) وقد استشهدوا جميعاً في عاشوراء مع أخيهم الحسين عليه السلام، ولا خلاف فيهم بين أرباب السير.

٤ - محمد الأوسط وأمه أُمامة.

٥ - عبد الله ومحمد الأصغر، وأمهما ليلى بنت مسعود الدارمية وعبد الله كناه بعض المؤرخين بـ(عمر)[1]، أما محمد الأصغر يكنى بأبي بكر[2]، وقد استشهدا يوم عاشوراء مع أخيهم الحسين عليه السلام.

٦ - يحيى وعون وأمهما أسماء بنت عميس.

وذكر أهل السير والتراجم له عليه السلام إخوة وأخوات آخرون[3].

---

(١) ظ. تاريخ ابن أعثم: ١١٢/٥، الإرشاد، الشيخ المفيد: ١٧٦، الدر النظيم: ٤٣٠، نفس المهموم، القمي: ٢٨٩، وقد أنكر الطبري وجود ولد لعلي عليه السلام باسم عمر، ظ: تاريخ الطبري: ٤٤/٥.

(٢) عمدة الطالب: ٣٣٩، السلسلة العلوية: ٩٦، الدر النظيم: ٤٣٠، تنقيح المقال، المامقاني: ٣٤٥/٢.

(٣) ظ. مناقب ابن شهر آشوب: ٥٠٣/٣، تذكرة الخواص: ٦٦٦/١، سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٨٧،

رابعاً: نقش خاتمه وبوابه وشاعره

١- نقش خاتمه: كان له أكثر من نقش، أي كانت له عدة خواتيم

النقش الأول: إنَّ الله بالغ أمره، وتختم فيه بعده عليه السلام الإمام علي بن الحسين والإمام الباقر والإمام الرضا عليهم السلام [(١)].

النقش الثاني: (لكل أجل كتاب) [(٢)].

النقش الثالث: (لا اله إلا الله عدةٌ للقاء الله) [(٣)].

٢- بوابه عليه السلام: أسعد الهجري [(٤)].

٣- شاعره: ذكر أصحاب السير أنّ شاعره عليه السلام هو يحيى بن الحكم.

وقد ذكر أهل السير والتراجم أنَّ للإمام الحسين عليه السلام شعراً، وأكثر الشعر المنسوب إليه عليه السلام هو وعظ وإرشاد وتذكير بالله عز وجل وباليوم الآخر [(٥)].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٣٨، أمالي الصدوق: ١١٣، روى ذلك الإمام الرضا (عليه السلام).

(٢) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ٢٥٦.

(٣) أمالي الصدوق: ١١٣.

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٧١، نور الأبصار، الشبلنجي: ٢٥٣، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ١/٥٧٩.

(٥) ظ: مطالب السؤول: محمد بن طلحة الشافعي: ٢/٥٧، كشف الغمة، الإربلي: ٢/٤٨٨، مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور: ٧/١٣٢، وينظر: الإسلام دين تمدين، طاهر حسن: ٢٤.

خامساً: إمامته وَوَصِيته

إمامته

أكدت النصوص الشريفة في القرآن والسنة المطهرة على إمامة أهل البيت عليهم السلام التي قد أثبتت أَحقيتهم وأفضليتهم وطهارهم من الدنس والآثام مثل آية التطهير كذلك آيتي القربى والمباهلة، والبحث في هذا الموضوع طويل وسيكون قسم منه في فصل العقائد مبحث الإمامة وكذلك ذُكرت نصوص كثيرة أكدت إمامة الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده عليه السلام وأنَّه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي مصادر الفريقين[1]، وسنذكر بعض النصوص الشريفة:

١- روى مسلم بإسناد عن عائشة، قالت: (خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى غداة وعليه مرط مُرَحل من شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي عليه السلام فأدخله ثم جاء الحسين بن علي عليه السلام فأدخله ثم جاءت فاطمة (عليها السلام) فأدخلها ثم جاء علي عليه السلام فادخله، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[2].

٢ـ روى مسلم تسعة أحاديث وبعدة طرق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: (إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة)، وبلفظ

---

(١) ظ. كتاب المراتب، إسماعيل بن أحمد البستي المعتزلي: ٧٥-٧٦، تذكرة الخواص، لابن الجوزي: ١/ ٧٨ غرر الأخبار، الديلمي: ٦١-٦٣، نزل الأبرار، الحافظ الحارثي: ٥٢-٥٤، الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ٣٢-٣٥.

(٢) صحيح مسلم: ٢/ ٩١٥ ح٦٢٨٨ والآية في سورة الأحزاب: ٣٣.

آخر: (كلهم من قريش)[١].

٣-روى الخزار القمي بثلاث طرق موثوقة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن فاطمة الزهراء عليه السلام (الأئمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين عليه السلام ومنهم مهدي هذه الأمة ألا إنهم مع الحق والحق معهم فانظروا كيف تخلفوني فيهم)[٢].

٤-رواية غياث بن إبراهيم عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّي مخلف الثقلين كتاب الله وعترتي، قيل من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام تاسعهم مهديهم وقائمهم لايفارقون كتاب الله ولايفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٣].

٥-رواية جابر بن عبد الله الأنصاري التي رواها الإمام الباقر عليه السلام قال: (دخلت على فاطمة (عليها السلام) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء فعددت اثني عشر وآخرهم القائم عليه السلام ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي عليهم السلام)[٤].

---

(١) صحيح مسلم: ٢/٧٠٦ ح٤٧٢٤- ٤٧٣٣.

(٢) كفاية الأثر: ١٩٨ الرواية مروية بثلاث طرق: الأول عن سهل الساعدي، قال: سألت فاطمة (عليها السلام) فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثاني: عن حذيفة بن أسيد الغفاري عن سلمان المحمدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الثالث: عن أحمد بن محمد بن المنذر عن الحسن عليه السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع اختلاف قليل من الألفاظ.ظ: سنن الترمذي: ٦/١٣٣ح٣٧٨٨بلفظ آخر

(٣) عيون أخبار الرضا: ١/٦٠، إعلام الورى: ٣٧٥، بحار الأنوار: ٣٦/٣٧٣ح٢

(٤) عيون أخبار الرضا: ١/٥٢،إثبات الوصية، العلامة الحلي، ٣٢.

وصيته

ذكرت له أكثر من وصية بعض منها خاصة والأخرى عامة:

الرواية الأولى: فمن الوصايا الخاصة روى الشيخ الكليني عن الباقر والصادق (عليهما السلام) فعن الباقر عليه السلام: (إنَّ الحسين عليه السلام لما حضره الذي حضر دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليه السلام مريضاً لا يرون أنَّه يبقى بعده، فلما قتل الحسين بن علي ورجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام ثم صار الكتاب والله إلينا) [(١)].

الرواية الثانية: مارواه الشيخ الكليني بإسناد عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنَّ الحسين عليه السلام لما سار إلى العراق استودع أم سلمة الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه) [(٢)]، والوصيتان مختصتان بمواريث الإمامة.

ومن الوصايا العامة: إحداها كتبها في المدينة وسلمها إلى محمد ابن الحنفية، وفيها حدد أهداف نهضته المباركة[(٣)]، والثانية أرسلها إلى بني هاشم وفيها: (فإنَّ من لحق بي استشهد ومن تخلف عني فإنَّه لم يبلغ الفتح)[(٤)]. وفيها دعوة بني هاشم عموماً إلى الاشتراك في النهضة المباركة.

---

(١) الكافي: ١/١٥٧، ح١، إعلام الورى، الطبرسي: ١/٤٨٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٨٣.

(٢) الكافي: ١/١٥٧ ح٣، الغيبة للطوسي: ١٩٥ ح١٥٩، إعلام الورى: ١/٤٨٣.

(٣) تاريخ ابن أعثم: ٥/٢١، الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٨.

(٤) دلائل الإمامة: الطبري: ١٨٨، كفاية الأثر: ٧٧، الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢/٧٧٣ ح٩٣، الرواية عن حمزة بن حمران.

سادساً: آثاره ومعارفه

الإمام الحسين عليه السلام شخصية إنسانية نادرة لن تتكرر على الوجود الأرضي أحبه الجنس البشري بجميع أجناسه أبيضهم وأسودهم، ولا تجد أي ديانة سماوية موجودة على الأرض إلا ونهلت من الحسين عليه السلام منهجاً وسلوكاً ومعرفة، ولم يكن هذا التقدير والإجلال سبب اتصاله نسباً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقط، وهو بلا شك يشكل مكانة مرموقة ومقدسة بل ماقدمته أخلاقه للإنسانية لما يتمتع به من فكر وعلم، فلا تجد علماً من العلوم إلا وللحسين عليه السلام فيه أثر وقد كان يجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والناس حوله حلقات للنهل من علومه الغزيرة قال معاوية لرجل من قريش (إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزراً على إنصاف ساقيه ليس من ألهزيلي شيء)[(١)].

وهذا واقع سلوك أهل البيت (عليهم السلام) عموماً لأنهم بعيدون عن المزاح والهزل وعمل اللاهين، لأنهم اختصوا بالدعوة إلى هداية البشر وإنقاذهم من الظلمات بكل معانيها، يقول العلائلي: (كان مجلسه مهوى الأفئدة ومتراوح الأملاك يشعر الجالس بين يديه أنّه ليس في حضرة إنسان من عمل الدنيا، وصنيعة الدنيا، تمتد أسبابها برهبته وجلاله وروعته، بل في حضرة طفاح بالسكنية كأن الملائكة تروح فيها وتغدو)[(٢)].

---

(١) ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ابن عساكر المطبوع: ٢١٢ ح١٩١، وينظر أيضاً: مصنف أبي شيبة الكوفي: ٢٩٧/٧، المعجم الأوسط: ١٨١/٤.

(٢) أشعة من حياة الحسين: ٩٣.

فقد كان من أعلام النهضة الفكرية والعلمية وأسهم في نشر وإشاعة المعارف والآداب الإسلامية بين المسلمين عموماً، وقد انتهل من نمير علومه عدد كبير من الصحابة والتابعين ومنهم الإمام زين العابدين عليه السلام وفاطمة بنت الحسين عليه السلام وآمنة بنت الحسين عليه السلام وحفيده الإمام الباقر عليه السلام والشعبي وعكرمة وكرز التميمي وسنان بن أبي سنان الدؤلي وعبد الله بن عمر وابن عثمان الفرزدق وزيد بن الحسن عليه السلام وطلحة العقيلي وعبيد بن حنين، والمطلب بن عبيد الله بن حنطب وقد ألف أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني كتاباً في أسماء من روى عن الحسن والحسين[١].

وكان يلقي علومه في مسجد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في الفقه والتفسير والآداب والسلوك ومختلف العلوم الشرعية والتربوية، وأول من جمع أحاديثه في مسند هو أبو بشير محمد بن أحمد الدولابي المتوفى سنة (٣٢٠هـ) وقد أدرجه في كتابه (الذرية الطاهرة)[٢].

له آثار في الفقه والأصول والتفسير والحديث الشريف وعلومه كالناسخ والمنسوخ وحفظ الحديث وغيرها من العلوم وهي خارج محل بحثنا ومن أراد الاطلاع فليراجع كتب الحديث والسيرة على السواء، ونذكر هنا نماذج روائية تشكل دروساً تربوية ومواعظ نبوية صادرة من فم العصمة المطهرة:

---

(١) ظ.حياة الإمام الحسين القرشي: ١/١٣٨ وينظر: رجال النجاشي: ٧٣.

(٢) ظ: حياة الإمام الحسين (عليه السلام) القرشي (ره): ١/١٤٠، والمسند من مخطوطات المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة في تونس، توجد منه نسخة مصورة في مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) النجف الأشرف، استنسخها العلامة السيد عزيز الطباطبائي اليزدي.

١-روى الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ)[١].

٢- روى الطبري بإسناد عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن أبيها الحسين بن علي عليه السلام عن أمه فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خياركم ألينكم مناكبه وأكرمكم لنسائه)[٢].

٣-روى عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها)[٣].

٤-عن علي بن جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عن الحسين عليه السلام قال أبي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يا معشر الخلائق غُضوُا أبصاركم ونكِّسُوا رؤوسكم حتى تمر فاطمة بنت محمد (عليها السلام)[٤].

٥- روي بإسناد عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (بينما الحسين بن علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١/٥٥٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه مسند أحمد: ١/٢٠١.

(٢) دلائل الإمامة: ٧، مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) جمع الجلالي: ٢٢١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٤٦، الجامع الصغير، السيوطي: ١/٧٥، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٨/١٨٨، ورواه الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي: ٣/٢١٠

السفا سف: الشيء الرديء، الصحاح، الجوهري: ٤/١٣٥٧، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: /٢٧٣.

(٤) مسائل علي بن جعفر: ١٨.

وآله وسلم إذ رفع رأسه فقال: يا أبت! ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بني! من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة ومن أتى أخاك زائراً فَلَهُ الجنة، ومن أتاكَ زائراً بعد موتك فله الجنة) [1].

(١) وسائل الشيعة: ١٠/٢٥٧، ح١٧، كامل الزيارات: ١٠، وروي بأربع طرق مختلفة الألفاظ والأسانيد ظ: الكافي ٤/٥٤٨ ح٤، تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦/٢١ ح٤٨ ثواب الأعمال الصدوق: ٨٨ ح٢، كامل الزيارات: ١٤ ص١٨.

المبحث الثاني

الحياة السياسية للإمام الحسين عليه السلام

قد يعد أحدٌ أنَّ البحث في الحياة السياسية للإمام الحسين عليه السلام يشكل خطراً على الوحدة الإسلامية أو مخالفة مدرسة الخلفاء فيجب توضيح بعض النقاط التي تخص الغاية من البحث العلمي المتجرد عن التعصب والهوى وخصوصاً في كلية الفقه بوصفها مركزاً إسلامياً وعلمياً قديماً وحديثاً، ويرى البحث نقاطاً مهمة لابد من الإيماءة إليها وهي:

١ - إنَّ جميع القيم التي دعا إليها الإسلام تدعو إلى الحق وحمايته والدفاع عن تلك القيم فلو تركنا إظهار الحق والدفاع عنه والذي هو من أساسيات الشريعة الإسلامية نكون في الحقيقة تركنا الإسلام وقيمه.

٢ - إنَّ الهدف الأسمى في الدراسات الإسلامية العلمية ليس تسويغاً لسلوكيات الأشخاص أو مخالفاتهم فالأشخاص لايقعون في سلّم أوليات البحث بل معرفة الحق هو أصل البحث وفي عبارة إعجازية خالدة للإمام علي عليه السلام: (إنَّ دين الله لايعرف بالرجال بل بآية الحق، فاعرف الحق

تعرف أهله)[1].

٣ - إنَّ البت في مسألة الخلافة والخلفاء وتأثيراتها في مجمل الحوادث مثل حادثة كربلاء لاتفرق المسلمين بل قد تزيد وحدة المسلمين لأن الغاية هي معرفة الحق غاية الأمر أنّ بعض النفعيين والانتهازيين والمتعصبين يحاولون الصيد في الماء العكر كما كان يفعله عمرو بن العاص قديماً، الذي أعمت بصيرته ولاية مصر فأخذ يوجه معاوية ويضع الخطط لمواجهة الإمام علي عليه السلام عبر وسيلة تعظيم الخلفاء الثلاثة الأوائل[2]، وكما تفعله القنوات الفضائية المسيسة الآن.

نعم إن هذه المرحلة من أخطر المراحل في حياة الإمام الحسين عليه السلام خصوصاً والمسلمين عموماً وقد انقسم المسلمون على ثلاث فرق:

الأولى: مع الحسين عليه السلام للدفاع عن الحق وإظهار القيم الإسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الشارع المقدس.

الثانية: مع أعداء الحسين عليه السلام الذين أعمت بصائرهم الدنيا بكل أشكالها.

الثالثة: المتخاذلون الانهزاميون الذين جعجع الجبن والخوف في قلوبهم هؤلاء هم القسم الأعظم.

---

(١) أمالي المفيد: ٥، أمالي الطوسي: ٦٢٦، مستدركات نهج البلاغة، الشيخ كاشف الغطاء: ١٥٩.

(٢) ظ. تاريخ الطبري: ١٦٠/٤، الإمامة والسياسة: ٣٤/١، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٣/٦، كنز العمال: ٩٥/٥ (أن تقوم بتعظيم أبي بكر وعمر وعثمان).

ويمكن أن نقسم الحياة السياسية للإمام الحسين عليه السلام على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الحياة السياسية في زمن النبي الأعظم وإمامة علي والحسن (صلوات الله عليهم)

لا يخفى على دارس أنَّ الإسلام في بداياته عانى كثيراً بعد نزول المعجزة النبوية الخالدة، في توجيه المجتمع القائم آنذاك نحو الإلوهية الحَقَّة والنأي عن عبادة الأوثان التي تغلغلت في نفوسهم فضلاً عن تعلقهم بالدنيا والحرص عليها، كذلك الذين دخلوا في الإسلام لم يكونوا جميعاً مسلمين بالمعنى الخاص لكلمة الإسلام قال تعالى: { قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }(١)، فهذه حقيقة قرآنية يجب أن نعترف بها وندركها، فالذين أسلموا منهم (من جاء إلى الإسلام رهبةً لا رغبةً وخوفاً وجزعاً مما قد يصيبه فلم يكن كل من عاش في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أسلم مسلماً بالحقيقة والصفاء وهذا يؤكد أنَّ الأعم الأغلب لم يكونوا كعمار بن ياسر والمقداد وأبي ذر وأقرانهم لأن هؤلاء عجنت سرائرهم الصعاب، وقادهم إلى حب الإسلام الصواب، فآمنوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفقهوا معنى الدين وشوارده وفهموا نواحيه وموارده فلم يهنوا عن قول الحق لحظة، ولم يتراجعوا عن الحقيقة خطوة)(٢)، ومن الأحداث التاريخية والإلهية التي شارك فيها الإمام الحسين عليه السلام في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مما انعكس تأثيرها على الحياة

---

(١) الحجرات/ ١٤.

(٢) نهج البلاغة، صوت الحقيقة: د. صباح عنوز: ٣.

السياسية للإمام الحسين عليه السلام بحسب التدرج التاريخي:

الحدث الأول: المباهلة

التي وقعت في المدينة المنورة بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ووفد نجران[١] الذين رفضوا إعطاء الجزية والصلح فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[٢] فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك محتضناً الحسين عليه السلام آخذاً بيد الحسن عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وعلي يمشيان خلفه صلوات الله عليهم أجمعين، فقال أسقف نجران: إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبذلوا له الجزية[٣].

---

(١) نجران: تقع جنوب السعودية، وأقرب ما تكون إلى اليمن وتبعد عن المدينة المنورة حوالي (١٣٨٦كم) فيها (٧٣) قرية عدد مقاتليها (١٢٠) ألف مقتل، وهي مدينة حضارية تاريخية، عنيت باهتمام الملوك والأمراء، فيها عدد من الكنائس والطوائف المسيحية المختلفة، ظ: معجم البلدان، الحموي: ٢/١٠٠، ٢٤٥، ٣/١١٦، معجم ما استعجم: ١/٣٩، فتوح البلدان، البلاذري: ١/٧٧.

(٢) آل عمران/ ٦١.

(٣) ظ. سيرة ابن هشام: ١/٥٧١، سيرة ابن إسحاق: ١/١٩٩، سيرة ابن كثير: ٣/١٤٦ وينظر: ظ. تفسير ابن زمنين: ٢٦٢، تفسير البغوي: ١/٣١٠، تفسير القرطبي وعقب على قوله: أبناءنا، دليل على بنوة الحسن والحسين (عليهما السلام): ٤/١٠٣، تفسير البيضاوي: ٢/٤٧ وقال: دليل على نبوته وفضل على من أتى من أهل بيته.

الحدث الثاني: بيعة الغدير

وسماها ابن عساكر (بيعة الرسول)(١) وهي البيعة التي حدثت يوم ١٨ ذي الحجة عام ١٠هـ وبويع فيها الإمام علي عليه السلام بالولاية والوصاية على الأمة الإسلامية، والبيعة تنعقد على المكلف شرعاً إلا أنَّ صاحب الرسالة قبل بيعة بعض صغار السن وفيه دلالة على أنّ عملهم بمستوى من بلغ سن التكليف وإلا نافى الحكمة من فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أخرج الهيثمي وابن عساكر وابن منظور بإسناد عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: (إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر ولم يبلغوا، ثم قال عليه السلام ولم يبايع صغيراً إلا منا)(٢)، وفيها بايع المسلمون الإمام علياً عليه السلام بالخلافة حتى قال عمر بن الخطاب: (بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)(٣).

أما الإحداث السياسية التي شارك فيها الإمام الحسين عليه السلام نذكرها حسب التدرج التاريخي، وهي:

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٨٠/١٤.

(٢) مجمع الزوائد: ٤٠/٦ قال رجاله ثقات، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام لابن عساكر: ٢١٥ مختصر تاريخ دمشق: ١٢٩/٧، البداية والنهاية: ٨٢٢٦، وينظر المعجم الكبير ١١٥/٣ ح٢٨٤٣ الحديث عن عبد العزيز الداوردي عن الصادق عن الباقر (عليهما السلام) وقال رجاله ثقات وينظر: الاختصاص المفيد: ١٠١، تحف العقول: الحراني: ٤٥٣ الحديث عن الإمام الجواد عليه السلام.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٤٩/١٢، تذكرة الخواص: ٤٩/١٢.

أولاً: زمن إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام ١١هـ - ٤٠ هـ

وبدأ منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد رأى بأم عينيه كيف بايع الناس أبيه عليه السلام يوم الغدير ثم ارتدوا بعد ذلك وقد رأى بني هاشم قد عزلوا عن تولية أي ولاية في البلدان الإسلامية واغتصبت حقوق أهل البيت (عليهم السلام) كفدك وغيرها، وشارك الإمام الحسين عليه السلام أمه الزهراء عليه السلام في الدفاع عن حقوقها وإرثها المسلوب غصباً[١]، وتولى الطلقاء مراكز الدولة الإسلامية مثل معاوية الذي تولى ولاية الشام وأطلق عليه عمر بن الخطاب لقب (كسرى العرب) [٢] ثم حذر منه مرة فيقول (....وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان)[٣]، مع العلم أنَّ معاوية أميرٌ على الشام من قبل عمر نفسه الذي أطلق له العنان وكون كسرى العرب إمبراطوريته الخاصة على وفق نظريته وأفكاره الخاصة، وقد احتج الإمام الحسين عليه السلام على عمر ثمان مرات كان يدعو فيها المسلمين ويُذكَرَهُم ببيعتهم يوم الغدير إلى أبيه عليه السلام بالولاية والخلافة[٤].

ثم تولى بعد ذلك عثمان بن عفان الخلافة بخطة الشورى المشهورة، وقد

(١) ظ. فدك في التاريخ، السيد محمد باقر الصدر (قدس): ١٤-٨٢، مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) السيوطي: ٢٦، مسند فاطمة الزهراء (عليه السلام) جمع السيد حسين التويسكاري: ١٧-٢١.

(٢) أسد الغابة: ٣٨٦/٤ تاريخ ابن عساكر: ١١٤/٥٩، وينظر الغدير، الشيخ الأميني: ١٤٦/٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٧/١.

(٤) ظ. أمالي الطوسي: ٧٠٣ ح١٥٠٤، كشف الغمة: ٤١٦/١، الرواية عن زيد بن علي.

استولى بنو أمية على كل مقاليد السلطة، وهجر الصحابة إلى الصحاري بأمر عمر نفسه وأودع بعضهم في السجون وجلد الأحرار بسياط عمر حتى الموت، وطالب المسلمون بحقوقهم والتي سلبت من قبل ولاة عثمان بن عفان مثل معاوية ومروان وغيرهم، لكن عمر لم يستجب إلى مطالبهم، وانتهى الأمر بمقتله في داره في حادثة مشهورة لامجال لذكرها[1]. وقد احتج الإمام الحسين عليه السلام على عثمان بن عفان عندما هجر أبا ذر الغفاري رضي الله عنه إلى الربذة[2].

عندها بايع المسلمون الإمام علياً عليه السلام الخلافة وهو كارهٌ لها، وكان المسلمون على شفا جرف هاو، فقامت قائمة بني أمية وأعلنت الحرب لاسترداد السلطة من جديد (لقد دلت الحقائق التاريخية أنّ الناس استأثروا بالسلطة ومالوا إلى الدنيا، فمنهم من ظلت الجاهلية كامنة في أعماقه تستيقظ

---

(١) ظ: تاريخ الطبري: ٢/٢٩٢-٢٩٧، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/٤٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣/٦٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/١٨٥، وينظر: مروج الذهب، المسعودي: ٢/٢٥٧-٢٥٩.

(٢) الكافي: ٨/٢٦٠ ح٢٥١، بحار الأنوار: ٢٢/٤٣٥، بحار الأنوار: ٢٢/٤٣٥، قال ابن أبي الحديد: قال الحسين: (يا عماه إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى والله (كل يوم هو في شأن) وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم)، وقال عمار مغضباً: (لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك أما والله لو أردت دنياهم لمنوك ولو رضيت أعمالهم لأحبوك) شرح النهج: ٥/٢٥٢، بحار الأنوار: ٢٢/٤١١، الغدير، الشيخ الأميني (طاب ثراه): ٨/٣٠١ والمشيعون لأبي ذر رضي الله عنه: الإمام علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، لم يكن غيرهم حسب قول الإمام الصادق (عليه السلام) في المحاسن: ٢/٩٤ ح٤٦ وابن عباس في شرح النهج.

متى تهيأ له المناخ)[١]، فقامت الحروب الثلاث:

الحرب الأولى: الجمل: بالنيابة عن معاوية بن أبي سفيان وكانت القيادة بيد عائشة ومعها الزبير بن العوام وطلحة بن عوف ومروان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام الإمام بواجبه الشرعي بقتال الناكثين، وعقر صنم أمية الجديد (الجمل) الذي تركبه عائشة بدل (هبل) فوقع الحق (وبطل ماكانوا يعلمون)[٢][٣].

الحرب الثانية: صفين يقودها معاوية ومعه أهل الشام والمنهزمون في معركة الجمل، وقد أتى معاوية بقميص عثمان بن عفان فيخرجه إلى أهل الشام فيضلهم ويقول لهم: إن علياً وأصحابه قتلوا عثمان، فيستعجلونه - أي أهل الشام - للنهوض لأخذ الثار ويبكون ويحرمون على أنفسهم النساء والطيب، فإذا سكتوا عن البكاء يقول عمرو بن العاص لمعاوية: (حرك لها تحن) أي اخرج لهم قميص عثمان مجدداً حتى يشتعل الحقد في قلوبهم)[٤].

الحرب الثالثة: معركة النهروان مع الخوارج ومن خدع بخدعة المصاحف، والنفعيين والانتهازيين[٥].

---

(١) نهج البلاغة، صوت الحقيقة، د. صباح عنوز: ٣.

(٢) الأعراف/ ١١٨.

(٣) ظ: دوره (عليه السلام) في تلك المعركة: حياة الحسين (عليه السلام) القرشي: ٢/٤٠.

(٤) ظ: وقعة صفين، المنقري: ٢٩، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/٩٩.

(٥) ظ: الجمل وصفين والنهروان لأبي مخنف، المعارك الثلاث، وينظر: ١٦٢ اعتراف مروان بقتل طلحة وكلام عبد الملك بن مروان بقتل عشيرة طلحة بن تميم، الجمل، الشيخ المفيد: ١٧٨، نهاية الأرب: ٢/٨٧، العقد الفريد: ٣/١٠٠، مروج الذهب: ٢/١٦٨.

ولا نريد أن نطيل البحث في تلك الحقبة السوداء من تاريخ المسلمين التي انتهت بمقتل مئات الآلاف الأمر الذي سبب نكسة إنسانية على المجتمع الإسلامي، وقد كان للإمام الحسين عليه السلام دور فعال في تلك الحروب إذ كان يتولى قيادة الكتائب للدفاع عن الإسلام المتمثل بشخص الإمام علي عليه السلام وماهي إلا أيام حتى تم تدبير خطة اشترك فيها الأمويون والخوارج فاغتيل الإمام علي عليه السلام داخل مسجد الكوفة ليلة التاسع عشر من شهر رمضان عام (٤٠) للهجرة فاستشهد عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من الشهر والسنة نفسها[١].

ثانياً: زمن الإمام الحسن عليه السلام ٤٠ هـ - ٤٩ هـ

إنَّ هذه الفترة أشد مرارةً من الأولى إذ كانت الأمة تموج بالفتن والدسائس التي افتعلها الخارجون على جادة السماء أمثال معاوية وعمرو بن العاص والأشعث بن قيس ومروان الطريد وغيرهم، وشاع السلب والنهب والقتل بين البلدان والأمصار الإسلامية بسبب أولئك المجرمين الذين سودوا التاريخ الإسلامي بأبشع صورة ولازالت آثارها إلى اليوم نعيشها، وما التفجيرات والإرهاب وقتل الأبرياء ألا هي من سنخ أولئك المجرمين.

لقد تسلم الإمام الحسن عليه السلام الخلافة بعد استشهاد أبيه عليه السلام وشكل بما يعرف (غرفة عمليات) لمواجهة الفتن مع أخيه الحسين عليه السلام وثلة من الغيارى على الدين الحنيف أمثال قيس بن سعد بن عبادة

(١) كشف الغمة: ١٠٣/٢، عبقرية الإمام علي (عليه السلام) العقاد: ١١٥، وينظر: حياة الحسين (عليه السلام) القرشي: ٤٠/٢ وما بعدها دور الإمام الحسين في المعارك الثلاث بالتفصيل.

الأنصاري[(١)] وحجر بن عدي الكندي[(٢)] وعدي بن حاتم الطائي[(٣)] لإدارة الدولة ومواجهة الأزمات التي حلت بجيش الكوفة حيث بدأت تعصف بهم الفتن والأهواء[(٤)].

يقول الدكتور الصغير: (كان الإمام الحسن عليه السلام جريئاً دون تسرع ومبادراً دون تهور حكيماً في أناة ومصلحاً في نزو ولا يخدع ولا ينخدع، اتخذ العقل ميزاناً لمتابعة الإحداث، واعتمد الحكم حليفاً في تهدئة

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام اعترض على بيعة أبي بكر، كان من أجواد الناس وكان أبوه من النقباء الاثني عشر: ظ. ترجمته رجال البرقي: ٣٢، رجال ابن داود: ١٥٠، الإصابة: ٤٦٤/١، الاستيعاب: ١٧١/١، تهذيب الكمال للمزي: ٥٧٠/٢١، رجال حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)خالد محمد خالد: ٨٤/١.

(٢) حجر بن عدي الكندي: من فضلاء الصحابة ومن أصحاب علي (عليه السلام)، كان عالماً فقيهاً مستجاب الدعوة، قال الصفدي (كان من الوافدين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزا الشام وافتتحوا عذراء التي قتل فيها كان عابداً لم يحدث قط إلا توضأ، ولم يهرق ماء إلا توضأ وما توضأ إلا صلى.. وكان سبب قتله كونه من أصحاب علي عليه السلام ، الوافي بالوفيات: ٩٤/٤، ظ: ترجمته رجال الكشي: ٩٤، الإصابة: ٦٢٤/٤، تهذيب الكمال: ٧٩/٩.

(٣) عدي بن حاتم الطائي: من الصحابة الأجلاء ومن كرماء العرب، ثابت العقيدة من الموالين لأهل البيت استشهد أولاده الثلاثة طريفاً وطارفاً وطرفة في صفين بين يدي مولاهم علي (عليه السلام) توفي الكوفة سنة ٦٨هـ كان عمره مئة وعشرين سنة، ظ: ترجمته وأخباره ومواقفه رجال الطوسي: ٢١، تهذيب الأسماء، النوري: ٤٥٧/١، العبر في خبر من غبر، الذهبي: ١٣/١، الوافي الوفيات، الصفدي: ٤٦٦/٣، الاستيعاب: ٣٢٦/١، وينظر: تاريخ الطبري: ٣٧٥/٢، مروج الذهب: ٤/٣ أخباره مع معاوية.

(٤) الإرشاد، المفيد: ١٣٣، منتهى الآمال، القمي: ٤٣٠/١، حياة الحسين عليه السلام القرشي: ١٠٠/٢.

العواصف)[١]، ودعا الإمام الحسن عليه السلام إلى وحدة الصف وجهاد العدو المتمثل بمعاوية وأعوانه وسير جيشاً بقيادة عبيد الله بن العباس بن المطلب مع اثني عشر ألف مقاتل، وما انبلج الصبح إلا وعبيد الله بن العباس في عسكر معاوية مع ثمانية آلاف من جنوده ولقد غره معاوية بدنيا زائفة فانحاز إلى عدو الإسلام الذي قتل أولاده الأربعة في اليمن، وقام بذبحهم بسر ابن أرطأة -كما يفعل اليوم الإرهابيون- بأمر من معاوية، وبث المنافقون الدعايات المغرضة ومنها: أن الإمام الحسن عليه السلام صالح معاوية، وفي الجيش من قتل أبوه أو أخوه أو ابنه فهجم الجيش على ثقل الحسن عليه السلام ومتاعه فنهبوه وطعنه أحدهم برمحه، واتفق الأشعث بن قيس الكندي وشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وأعوانهم على تسليم الحسن عليه السلام أسيراً إلى معاوية وانتشرت الفوضى في جيش الإمام الحسن عليه السلام[٢].

ماذا يفعل الإمام الحسن عليه السلام إمام هذه الفوضى التي حدثت في جيش الكوفة إلا أن يفكر بالمحافظة على الرموز الفكرية والقادة المتمسكين بمنهج الحق فإنّ التفريط بهم يعد تفريطاً بالإسلام فإذا كان القادة والمفكرون في أمان ولو بنسبة معينة يعد انتصاراً فالنصر ليس محصوراً في هزيمة جيش العدو فالتاريخ يخبرنا أن بعض القادة فقدوا الانتصار بعد أن فقدوا الأنصار، وقد رأى الإمام الحسن عليه السلام أنَّ رموز أهل الكوفة وشيوخهم قد

(١) الإمام الحسن (عليه السلام) رائد التخطيط الرسالي: ٨٤.

(٢) ظ. الإرشاد الشيخ المفيد: ١٣٤، منتهى الآمال، القمي: ٤٢٧/١، حياة الإمام الحسن (عليه السلام) القرشي: ٥٠/١، الإمام الحسن (عليه السلام) د. الصغير: ٨٨ وما بعدها، قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام، الشمري: ١٣٥.

ملئت غرائرهم بدراهم الذهب ودنانيره فباعوا دينهم وعزهم بالحظ الأدنى فكان سبب ذلهم بعد أيام قليلة ثم مأساة كربلاء واستمرت تلك المأساة ولازلنا نحصد آثارها إلى هذا اليوم وصف صعصعة بن صوحان العبدي[(١)] أهل الكوفة بأنَّهم: (فتية الإسلام وذروة الكلام ومضان ذوي الأعلام إلا أنَّ بها أجلافاً تمنع ذوي الأمر والطاعة وتخرجهم من الجماعة)[(٢)]. ماذا يفعل الإمام عليه السلام إلا أن يفكر بالمصلحة العليا للإسلام ويعقد الصلح بالشروط التي وضعها نذكر منها:

١ - تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بالكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الصالحين.

٢ - أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده ومن بعد الحسن عليه السلام للحسين عليه السلام وليس لمعاوية العهد به لأحد.

٣ - ترك سب الإمام علي عليه السلام وأن لايذكر علياً عليه السلام إلا بخير.

---

(١) صعصعة بن صوحان العبدي: من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) قال له الإمام علي (عليه السلام): (ما علمتك إلا خفيف المؤونة حسن المعونة، فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ماعلمتك إلا بالله عليماً وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً)، رجال الكشي: ٦٤، معجم رجال الحديث: ٩/٣ رقم ٢١ طلب منه معاوية أن يلعن الإمام علياً عليه السلام ، فصعد المنبر، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب عليه السلام فالعنوا من لعن بن أبي طالب، فضجوا بآمين، فأخرجه معاوية من الشام، ظ: رجال الكشي: ٦٥، معجم رجال الحديث: ١٥٨/١٩، الثقات لابن حبان: ٢٩٤/٤ ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣١٥/٢، تهذيب التهذيب: ٣٧٠/٤، وينظر الوافي بالوفيات لابن خلكان: ٢٤٧/٥، طبقات ابن سعد: ١١٠/٧.

(٢) مروج الذهب، المسعودي: ٣٧/٣.

٤ - استثناء مافي بيت مال الكوفة فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل للحسين عليه السلام كل عام ألفي درهم وأن يفضل بني هاشم على بني عبد شمس في العطاء وأن يفرق في أولاد من قتل مع علي (عليه السلام) يوم الجمل وصفين مليون درهم.

٥ - الأمان لأصحاب علي عليه السلام وشيعته وأن لايبغي معاوية لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وبعد أن وقع معاوية على الشروط، فصعد المنبر وقال: (والله ماقاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولالتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم ألا وإنّي كنت منيت الحسن أشياء وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها) (٢).

فانكشفت خديعة معاوية للمغرر بهم والمخدوعين والمتخاذلين وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول (ألا إنَّ أخوف الفتن عندي فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء ومظلمة، عمت خطبتها وخصت بليتها)(٣)، وانتصر الإمام الحسن عليه السلام عقائدياً وأخلاقياً وانهزم معاوية وأتباعه وما هي إلا أيام ويقتل الحسن عليه السلام مسموماً على يد جعده بنت الأشعث بعد أن مناها معاوية بالزواج من يزيد ولم يف لها(٤)، وكانت صفحة مليئة بالآهات وكان

(١) ظ. صلح الحسن (عليه السلام)، محمد حسين آل ياسين: ٢٥٩-٢٦١، ٣٠٦ وما بعدها.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد: ١٨٥، الإمامة والسياسية: ١/١٨٦، العقد الفريد، ٥/١٠٦، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٤٥.

(٣) جمهرة خطب العرب: ٢/٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٤٤،

(٤) المشهور أنَّ تاريخ استشهاده في السابع من صفر سنة ٤٧هـ وقيل سنة (٥٠هـ) ظ. كشف ←

الإمام الحسين عليه السلام مطيعاً لأخيه الحسن في كل ما يأمر وينهى، هذا هو الظرف السياسي الذي عاشه الحسين عليه السلام بصورة مختصرة.

ثالثاً: زمن إمامته عليه السلام ٤٩ هـ -٦١ هـ

لانستطيع أن نصف الموقف السياسي الذي عاشه الإمام الحسين (عليه السلام) زمن إمامته إلا بقول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف (..والأمة مصرة على مقته مجتمعةٌ على قطيعةِ رحمه واقصاء وُلده إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم)[1]. وقد يسأل أحدٌ ما هو السبب في تردي الخلافة الإسلامية؟ والجواب على ذلك:

الأمر الأول: من المسائل المتفق عليها أن الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة ليس فيها خلل أو نقص بشهادة القرآن الكريم {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}[2].

الأمر الثاني: أنَّ التغيير والانحراف لم يكن بيد قوى خارجية لأن تلك القوى الرومانية والفارسية أصبحت ليس لها أي وزن على الساحة الإسلامية ويكون الجواب: إنَّ الانحراف والانحطاط والتردي حدث بسبب قوى داخلية ومعادية للإسلام، دخلت في الإسلام خوفاً وتغلغلوا فيه بوساطة الأجهزة الحكومية التي سيطرت على مقاليد الدولة الإسلامية بعد رحيل الرسول صلى

← الغمة: ٢/٤١٥ منتهى الآمال: ١/٤٣٩ ويرى الشيخ الكليني أنه استشهد في آخر صفر سنة ٤٩هـ، الكافي: ١/١٥٦-١٥٧ ح٣.

(١) بحار الأنوار: ٩٩/١٠٤ دعاء الندبة.

(٢) المائدة/٣.

الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ومن هنا ندرك قول الإمام علي عليه السلام: (إنّهم ما أسلموا ولكن استسلموا)[١].

هناك قاعدة في البناء الهندسي أنّ أساس البناء إذا وضع مائلاً فإن البناء كلما ارتفع يكثر ميله إلى أن يسقط بأكمله، وقد أسس لهذه القاعدة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: (ما دلت أمة أمرهم رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا)[٢]، أي من يريد أن يبني أمة فيجب أن يكون بناؤه متيناً وإلا مصيره السقوط عندها تكون المأساة.

ومن هنا ندرك قول ابن عباس حبر الأمة: (الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣] وذلك بعد أن وصف أحدهم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (ليهجر)؟ ولعمري كأن القائل لم يقرأ القرآن، ولم يسمع قوله تعالى: { وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى }[٤]. من هنا ندرك حقيقة تفسير (الشجرة الملعونة) ببني أمية وأنها نزلت في ذم بني أمية[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١/٤، ١١٤/١٥، ولما بويع عثمان بن عفان بالخلافة، قال أبو سفيان: (تلقفوها بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان مامن جنة ولانار ولاحساب)، ظ: شرح النهج: ٤٤/٢.

(٢) الغدير، الشيخ الأميني: ١٩٨/١.

(٣) صحيح البخاري: ١٣٨/٥ باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٠/٧ كتاب المرضى ١٦١/٨، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحيح مسلم: ٧٦/٥، سنن النسائي: ٤٣٣/٣، مسند أحمد: ٣٢٥/١، صحيح ابن حبان: ٥٦٣/١٤.

(٤) النجم/ ٣-٥. وينظر المصادر السابقة.

(٥) ظ. البحر المحيط، الغرناطي: ٣٦٩/٧ قال: بنو أمية لايعبر عنهم إلا بالشجرة الملعونة، وروي ←

كان معاوية يدعو إلى دفن الإسلام ومحو النبوة وإعادة الجاهلية بوجه آخر فيقول: (وإن ابن أبي كبشة - ويعني به خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم قبح الله مقالته - ليصاح كل يوم خمس مرت أشهد أن محمداً رسول الله، فأي عمل بقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك لا والله إلا دفناً دفنا)[1].

لقد صَبَّ معاوية جام غضبه على أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم ولاحقهم أينما كانوا وقد صرح الإمام علي عليه السلام برغبة معاوية تلك فقال عليه السلام وهو يحذر الحسن والحسين (عليهما السلام) وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر والعباس بن ربيعة وأتباعه (والله ود معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخ خرمة إلا طعن في بطنه إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[2].

ولا يمكن تدوين ما ارتكبه معاوية من الجرائم ضد المسلمين جميعاً وبلا استثناء ونشير إلى ذلك باختصار.

١ - كان معاوية يأمر بجز الرؤوس وقطع الأطراف وسمل العيون وحرق الأبدان، فقتل من الصحابة حجر بن عدي الكندي وأصحابه والصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي، والصحابي أوفي بن حصين الكوفي وجويريه بن مسهر العبدي، وعبد الله الحضرمي، ذكر أنّ معاوية قتل أربعين ألفاً من

عن عائشة أنها قالت لمروان: سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك: إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن، ظ. الدر المنثور: السيوطي: ٦/٢٩٥، تفسير الآلوسي: ١١/٥، فتح القدير: ٤/٣٢٨.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٥/١٣٠.

(٢) ظ. كتاب الجمل وصفين والنهروان لأبي مخنف: ٣٦٣.

المهاجرين والأنصار وأولادهم(١)، وقتل عامله سمرة بن جندب على البصرة ثمانية آلاف من البصرة في غضون أيام قليلة(٢).

٢ - سبى نساء بني همدان في اليمن وغيرهم وعرضهن في الأسواق للبيع فكن أول مسلمات للبيع(٣).

٣ - قام عمال معاوية بأمر منه بتهجير خمسين ألفاً من الكوفة وأنزلهم في خراسان(٤).

٤ - مصادرة الممتلكات المالية وإغراق الأراضي الزراعية وقطع الأرزاق والمرتبات عمن له أدنى علاقة بأهل البيت عليهم السلام أو إسقاط شهادته(٥).

٥ - قام بإفساد الفكر الإسلامي عن طريق الذمم البائسة التي اشترى ضمائرها، فقاموا بوضع الأحاديث فيه والقصص والخرافات وإشاعة الفكر الديني المنحرف فمعاوية يقول: (الأرض لله وأنا خليفة الله في الأرض فما آخذ فمن مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزاً لي)(٦)، أي عصيان

(١) ظ. تاريخ الطبري: ١٣٢/٦-١٧٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٨٣/٣. مروج الذهب للمسعودي: ٣٥/٣ الاستيعاب لابن عبد البر: ١٦٥/١، ٥٧١/٢، رجال الكشي: ٤٦، ٦٦، ٧١، حياة الحسين (عليه السلام) القرشي: ١٧٠/٢

(٢) ظ. تاريخ الطبري: ١٣٢/٦.

(٣) الاستيعاب: ١٦٥/١.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان: ١٢٨/١ حياة الإمام الحسين (عليه السلام) د.الصغير: ١٤٢.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤/١١، وقد فصلها الدكتور الصغير في حياة الحسين: ١٣٩-١٤٠.

(٦) مروج الذهب: ٤٣/٣، كان القصاصة يضعون الأخبار في ذم أهل العراق وأنها موطن إبليس: ←

معاوية خروج عن جادة الشريعة، أي عدم معارضة معاوية على جرائمه لأنه قضاء الله فيهم. ويقول: إن أمر يزيد كان قضاءً من القضاءً المقدر ليس للعباد خيرة من أمرهم)[1] أي إنَّ العباد مجبورون على القبول بخلافة يزيد لأنه أمرٌ من الله، وعلى هذا الأساس أنشأ الأمويون الفكر المنحرف بالقول: بـ(الجبر والتفويض)[2].

٦ - البراءة من علي وأهل بيته (عليهم السلام) وعدم ذكر فضائلهم وعدم تسمية الأولاد بأسمائهم ومن هنا ندرك تسمية الإمام الحسين عليه السلام أولاده الثلاثة باسم علي عليه السلام لأنه رمز الإمامة الإلهية، وندرك قوله عليه السلام: (لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمي أحداً منهم إلا علي عليه السلام[3] وقوله لأحدهم لما سمعه يستغفر له ولأمه الزهراء (عليها السلام) ويترك أباه علياً عليه السلام: (آذيتنا منذ اليوم تستغفر لي ولأمي وتترك أبي وأبي خير مني ومن أمي)[4].

وقد استنكر الإمام الحسين عليه السلام هذه الجرائم مرة بإرسال

ظ. كنز العمال: ١٤/١٧٣ ح٣٨٢٨٠ وينظر: حياة الإمام الحسين القرشي: ٢/٥٧، أضواء على السنة المحمدية أبو ريه: ٢٢٤-٢٢٥ الوضع في الحديث، مذاهب الإسلاميين، د.الحكيم: ٢٦٥-٢٨٢، أسباب الوضع.

(١) الإمامة والسياسة بن قتيبة: ١/٢٠.

(٢) ظ. أصول العقيدة السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) بطلان القول بالجبر والتفويض: ٤١١-٤١٣، معالم العقيدة الإسلامية: ٩٩.

(٣) الكافي، الكليني: ٦/١٩ ح٧٩، وسائل الشيعة: ٥/١٥ ح١٢٨ الرواية عن علي بن الحسين (عليه السلام).

(٤) ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر: ٨٦ الرواية عن مولى حذيفة اليمان.

الخطابات إلى معاوية، ومرة بالتهديد والوعيد ومرة بإقامة التجمعات الكبيرة فقد احتج على معاوية لقتله حجر وأصحابه وعمرو بن الحمق الخزاعي وأعماله الإجرامية الأخرى برسائل شديدة اللهجة وتوعده فيها بالحساب الشديد من قبل الله عز وجل[(١)]، فالحسين عليه السلام لم يقف مكتوف الأيدي بل قد تصدى للخطط الشيطانية التي كان يفتعلها معاوية على وفق الإمكانات المتاحة إليه وآخرها المؤتمر الإسلامي الكبير الذي عقده داخل مكة المكرمة وفي العاشر من ذي الحجة سنة (٥٩هـ) أي قبل أن يهلك معاوية سنة (٦٠هـ) وقد جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبناءهم من المهاجرين والأنصار والفقهاء والعلماء وقد ضم كل فئات المسلمين وأخبرهم بما فعل معاوية من التزوير والتحريف حتى قيل إنه: (ما ترك شيئاً مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره ولا شيئاً مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه وكل ذلك يقول أصحابه: اللهم نعم...)[(٢)].

ومن فوائد هذا المؤتمر وآثاره:

١ - إنَّه استفتاء شعبي وتظاهرة كبيرة جمعت أصحاب الرأي من أهل الحل والعقد، وأهل الشهرة والوجهاء المعروفين بين الأمة بحيث لايمكن إغفال أثره.

---

(١) ظ. تاريخ الطبري: ١٥٥/٦، الكامل في التاريخ: ١٩٥/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٣/١١، رجال الكشي: ٣٢٢ وغيرها من الصفحات حياة الحسين (عليه السلام) القرشي: ١٦٧/٢ وينظر: التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ٧٦/٤.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢٠٦، تحف العقول، الحراني: ١٦٨-١٧٠، الاحتجاج، الطبرسي: ١٩/٢.

٢ - التوقيت الذي تم به المؤتمر والمكان المناسب في منى ترك أثراً عميقاً في نفوس المسلمين.

٣ - إنَّ هذا المؤتمر أقوى معارضة علنية أقدم عليها الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة السلطة الأموية والتي قامت على القبلية.

٤ - عدَّ رجال الدولة الأموية أنَّ هذا المؤتمر ثورة معلنة تريد نسف الفكر الأموي الذي جهد معاوية وأتباعه على إنشائه بالسيف والقهر والغلبة.

٥ - من ثمار هذا المؤتمر أن أقبلت على الإمام الحسين عليه السلام الوفود من الأمصار الإسلامية وقالوا: (قد علمنا رأيك ورأي أخيك عليه السلام فقال عليه السلام: إنِّي أرجوا أن يعطي الله أخي على نيته في حبه الكف، وأن يعطيني على نيتي في جهاد الظالمين)[١].

وانتهت تلك الفترة الزمنية التي هي أسوأ الأزمان على شيعة أهل البيت عليه السلام خصوصاً والمعارضين للسلطة الأموية عموماً كما وصفها الإمام الباقر عليه السلام[٢] إذ قُتِلَ المسلمون تحت كل حجر ومدر، وانتهت تلك الفترة بهلاك معاوية سنة ستين للهجرة وبويع يزيد من قبل الأمويين ليكون حاكماً على المسلمين، عندها أعلن الإمام الحسين عليه السلام معارضته ورفضه البيعة ليزيد حيث قال عليه السلام: (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وبنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٢٠٥/١٤، تاريخ الإسلام، الذهبي: ٦/٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٤٧/٨، تهذيب الكمال للمزي: ٤١٤/٦، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ١٦٨/٢٧.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ١٨/٢، بحار الأنوار: ٨١٨/٣٤ وينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤/١.

المحرمة، معلن بالفسق ومثلي لايبايع مثله)[١]، فأعلن عليه السلام أنّه مقتول هو وأنصاره في كلمته التي قال فيها: (الحمد لله وما شاء الله ولاحول ولا قوة إلا الله صلى الله على رسوله وسلم، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخيرلي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأشربة سغباً لامحيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبرعلى بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، وهي مجموعة له في حضرة القدس تقر به عينه ويتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل فإني راحل)[٢]، وأشار إلى مكان قتله وصفات أنصاره فهو عليه السلام يريد أنصاراً يرخصون أرواحهم فهو عليه السلام يريد مزيداً من الدماء ومن مختلف الجنس البشري لما له من أثر لاحق، ولا يقبل بغير ذلك، ولابد من بيان أمرين هنا:

أولا: أهداف النهضة الحسينية

يمكن أن نبين أهم أهداف النهضة الحسينية من قوله عليه السلام: (إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر المعروف وأنهى عن المنكر وأسير

---

(١) تاريخ ابن أعثم: ١٤/٥، قال الصدوق: قال الحسين: ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان، وكيف أبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله هذا)، الأمالي: ١٣٠، بحار الأنوار: ٣١٢/٤٤.

(٢) كشف الغمة، الإربلي: ٤٧٣/٢، وينظر: نثر الدرر، الآبي: ٣٣٣/١، وسيأتي تفسير الكلمات الغريبة في فصل الفقه باب الجهاد.

بسيرة جدي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق)[١]. وقال: (اللهم إنَّك تعلم أنَّه لم يكن ماكان منَّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك فإنكم إلا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير)[٢].

فالإمام عليه السلام بين أنَّ المسؤولية الشرعية ملقاة على عاتقه عليه السلام وعلى عاتق جميع المسلمين للقيام بوجه المغتصبين والظالمين المستبدين، وأنَّ غاية نهضته المباركة هي الإصلاح هذه الكلمة التي تكرر استعمالها في القرآن الكريم على لسان الأنبياء جميعاً[٣] والتنبيه غاية عظمى في إرسال الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وقد قيد الإمام عليه السلام دعوته بالإصلاح بأقوى أدوات الحصر إنما[٤] فالإصلاح الحسيني إصلاح شامل فهو:

---

(١) تاريخ ابن أعثم: ٢١/٥ مع زيادة وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، الأخبار الطوال: ٢٢٨.

(٢) تحف العقول، الحراني: ١٧٠، ١٢٠، الأنوار: ٧٩/١٠٠ ح٣٧، قال العقاد في تعقيبه على هذه الرواية: المسلم الذي ينصر الحسين لنسبه الشريف أولى أن ينصره غاية نصره وهو بين أهله وعشيرته، وإلا فما هو بناصره على الإطلاق فتنقلب الآية في حالة الخذلان، فينال المنتصر من البغضاء والنقمة على قدر انتصاره الذي يوشك أن ينقلب عليه، أبو الشهداء: ١٥٠.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ﴾ هود/٨٨، وينظر سورة الحجرات الآيات: ٩/١٠ سورة يونس الآية: ٨١ بمفهوم يقابل الفساد.

(٤) ظ. شرح ابن عقيل: ٥٩٧/١.

أولا- إصلاح عقائدي

وذلك بالقضاء على الفكر الديني المنحرف كدعوى المرجئة وفحواها عدم شجب الظالمين والمجرمين على أفعالهم وتركهم إلى الحاكم المطلق الذي هو الله لأنه يقول: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾[(١)]، فلا يصلح الإنسان أن يقيم الموازين لأنها من اختصاص الحاكم المطلق، وعلى ضوء هذا الفكر تسقط فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٢)].

والدعوى الأخرى المجبرة التي ظاهرها القداسة وباطنها الخباثة وفحواها: أنَّ كل مايحدث هو طبق إرادته، وأنّ كل عمل صالحاً كان أو شراً فهو مظهر من مشيئته[(٣)]، وعلى أساس هذا الفكر لايجوز الاعتراض على معاوية أو يزيد وكل المستبدين ونترك الأحرار يموتون في صحراء الربذة وفي مرج عذراء وفي كل مكان ولا يبقى لدين الله سبحانه ناطق، فكان الحسين عليه السلام القرآن الناطق والمحرر الفاتح[(٤)].

ثانياً-إصلاح اقتصادي

كانت الأموال والكنوز تجبى إلى قصور الظالمين والمغتصبين للحقوق وتصب في جيوبهم أما عامة المسلمين يتلظون من الجوع والحصار الاقتصادي

---

(١) التوبة/ ١٠٦.

(٢) ظ. بحوث عقائدية، السيد الخوئي: ٢٣٥، معالم العقيدة الإسلامية: ٢٤٧، دين ضد دين، د.علي شريعتي: ٤٧.

(٣) المصادر نفسها، وينظر: علي شريعتي: ٣٥.

(٤) ظ. إسلام أبي ذر وإسلام أبي سفيان في كتاب الحسين (عليه السلام) وارث آدم د.علي شريعتي: ٢٥٤.

بمنع العطاء عنهم قال عليه السلام (ألا إن هؤلاء... استأثروا بالفيء)[١]، أي خصوا أنفسهم بالغنيمة والخراج.

ثالثاً: الإصلاح الأخلاقي والتربوي

كان بنو أمية يفعلون المنكرات والقبائح والرذائل وأشاعوها بين المدن الإسلامية يقول عليه السلام (ألا إنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود)[٢]، ولذا نجده عليه السلام يقول: (على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد)[٣].

رابعاً: إحياء السنة النبوية الشريفة

والتي أُميتت على يد العابثين والنفعيين بقوله: (وأسير بسيرة جدي وأبي) عملوا على إفساد الحالة الاجتماعية لدى الناس فادعى معاوية أنَّ زياداً ابن سمية هو أخوه لسبب قبيح يعف القلم عن ذكره، وهو مخالف للشرع الإسلامي الذي قاعدته: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)[٤]، وإذا رأى يزيد

(١) تاريخ ابن أعثم: ١٨/٥، تاريخ الطبري: ٤٠٣/٥.

(٢) المصدر نفسه، وينظر: تذكرة الخواص ١٤٠/٢ بلفظ آخر.

(٣) تاريخ ابن أعثم: ١٩/٥، مقتل الخوارزمي: ١٨٤/١.

(٤) قال الحسن البصري: أربع خصال في معاوية لو لم تكن إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجر، ظ: الكامل في التاريخ: ٤٨٧/٣، سنن ابن ماجة: باب الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقال: إسناده صحيح: ٦٤٦/١ باب (٥٩) سنن النسائي: ١٨٠/٦، سنن ابن داود: ٥٠٧/١ ح٢٢٧٣، ←

امرأة جميلة فعليهم أن يهبوها إلى يزيد لأنه الحاكم المطلق، وماقصة أرينب بعيد[١]، فمن يقف بوجه يزيد ومعه المال والسلاح والجنود ووعاظ سلاطين السوء، فكان الحسين عليه السلام وأصحابه النبلاء النجباء الذين ندر وجودهم، وكأنهم خلقوا لذاك الزمان، وكأنهم جميعاً يقولون على لسان إمامهم عليه السلام: (هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[٢] لأنه عليه السلام يرى (الموت سعادة والحياة مع الظالمين برما. أما الذين لم ينصروه فهم. عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون)[٣].

نعم إنَّ الحسين عليه السلام هو عنصر التمييز بين الحق والباطل فمن مال إليه مال إلى الحق ومن حاد عنه تردى في هواه فالحسين عليه السلام هو الحق نفسه لذا رسخ المبادئ في نفوس الأحرار والأباة وطلاب الحق {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ وَكَفى بِاللهِ حَسِيباً}[٤]، فكان تعبيره عن رفض الظلم دماً طاهراً يراق على أرض كربلاء لأنه أراده خالداً، فإذا كان يزيد قد ملك أربع سنين، فقد ملك الحسين عليه السلام قرون الدهر وملك الأرواح والقلوب وكل ماخلق الله، فخلد خلود

وينظر: الكافي، الكليني بعدة أسانيد عن الصادق: ٤٩١/٥، ح٢، ح٣.

(١) الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي الشافعي: ٢٠١، أبو الشهداء، عباس العقاد، ١٧٧.

(٢) تحف العقول: ١٧٣.

(٣) تحف العقول: ١٧٤، المناقب لابن شهر اشوب: ٧٦/٤، مقتل الخوارزمي: ٢٣٧/١.

(٤) الأحزاب: ٣٩.

السموات والأرض ولم يكن استنصاره لأحد إلا بذل المزيد من الدم فرخص دمه الطاهر وأهل بيته وأصحابه بل حتى طفله الرضيع لتبقى تربة كربلاء حمراء بلون الدم بل إنّه عليه السلام صبغ وجهه ورأسه ولحيته المقدسة بالدم - روحي له الفداء -) (هكذا ألقى الله مخضباً بدمي مغصوباً علي حقي)[١]، لأن اللون الأحمر أكثر ثباتاً في النفوس وأعمق تأثيراً في القلوب، وليدل على رخص الدم مقابل العقيدة، وانتصر الدم وانتصر الحسين عليه السلام فسلامٌ عليه يومَ وُلدَ ويوم َاستشهدَ ويومَ يبعثُ حياً.

وهناك أهداف أخرى لنهضة الإمام الحسين عليه السلام لايمكن الإحاطة بها في هذه الوريقات فليراجعها في مصادرها[٢].

ثانياً: من عطاء الهجرة الحسينية إلى كربلاء وليلة عاشوراء

١-إنَّ هجرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء تماثل تماماً هجرات الأنبياء عليهم السلام لإعلان التوحيد وإقامة العدل ورفع الظلم عن المستضعفين في الأرض كما في هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام من أور جنوب العراق[٣]، مروراً بمصر وفلسطين ثم إلى مكة المكرمة وتجديد البيت العتيق ليكون منطلقاً لتوحيد الله عز وجل وعبادته[٤].

---

(١) اللهوف، السيد ابن طاووس (قدس): ٣٦.

(٢) ظ. لمزيد من التوسع، ظ: نهضة سيد الشهداء السيد الطباطبائي (قدس) ٢٥ وما بعدها أضواء على الثورة الحسينية السيد محمد صادق الصدر (قدس): ٢٧-٨٨، بارقة من سماء كربلاء اليزدي: ٢٥ وما بعدها.

(٣) أور، مدينة تاريخية جنوب ذي قار على بعد مسافة تقدر بعشرة كيلومترات.

(٤) ظ. قصص الأنبياء، إعداد عبد الواحد الأمين: ١/١٢٤ وما بعدها.

كذلك هجرة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة إلى يثرب لإقامة أول دولة إسلامية تدعو إلى توحيد الله ونبذ الشرك والظلم وإقامة العدل وإنصاف المظلومين كذلك هجرة الحسين عليه السلام من يثرب المدينة المنورة - ليلة الثالث من شعبان سنة ستين للهجرة إلى مكة المكرمة فخرج عليه السلام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١]، فلما دخل مكة تلا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٢]. ثم هاجر من مكة إلى كربلاء يوم الثلاثاء يوم التروية من ذي الحجة سنة ستين للهجرة وتبرأ فيها عليه السلام من المفسدين على الأمة حياتها فخاطبهم قائلاً وتأول قول الله عز وجل: (لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون)[٣]، حتى وصل إلى كربلاء في أول محرم الحرام سنة إحدى وستين للهجرة والتي قطع فيها الإمام مسافة تقدر بـ(١٥٠٠كم) وكانت المدة الزمنية تقدر بـ (١٥٠) يوماً حتى قبل استشهاده وكانت الغاية من تلك الهجرة أن يجعل من كربلاء منطلقاً فكرياً وعقائدياً لإكمال رسالات الأنبياء عموماً ورسالة جده صلى الله عليه وآله وسلم خصوصاً وتطبيق الشريعة الإسلامية كما نزلت على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ورد الحقوق المغصوبة إلى أهلها فتحولت كربلاء إلى قاعدة ينتهل منها الأحرار ويغترف منها الأباة

---

(١) القصص/ ٢١.

(٢) القصص/٢٢.

(٣) يونس/٥، وينظر: جوابه عليه السلام لرسل عمر بن سعيد بن العاص عامل يزيد على مكة. تاريخ الطبري: ٣/٢٩٦.

أصول الحرية الإنسانية[١].

٢-أراد ترسيخ عقيدة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم السماوية والتأصيل لمدرسته التي هي امتداد لمدرسة جدّه وأبيه فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدر ثلاثمائة وسبعة عشر ولديه فرسان فقط[٢]، وأصحاب الحسين أقل من ذلك، فمبدأ القلة والكثرة أصل قرآني قال تعالى: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾[٣]، فالكثرة لا يعبأ بها الصالحون إنَّما الأصل هو ترسيخ عقيدة الله في أرضه، ومنهج أبيه عليه السلام كذلك (لايزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة)[٤].

٣-إنَّ ليلة العاشر من محرم ليلة التمييز بين الحق والباطل ليلة الفصل بين مبدأ الله في أرضه ومبدأ الشياطين وأهل الضلال لذا كان يقرأ عليه السلام في هذه الليلة وقد أحاط به الأعداء وهم يسمعونه يتلو ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ* ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[٥][٦].

وفي هذه الليلة التحق بمعسكر الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون فارساً

---

(١) ظ. ذلك مفصلاً مع الركب الحسيني بأجزائه الستة، مجموعة من الباحثين.

(٢) ظ، حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد حسين هيكل: ٣٧٠ وما بعدها.

(٣) البقرة/ ٢٤٩.

(٤) نهج البلاغة: ح٣٦، نهج السعادة: ٢٥٨/٦ من جواب له (عليه السلام) إلى أخيه عقيل.

(٥) آل عمران/ ١٧٩.

(٦) الإرشاد، الشيخ المفيد: ١٧٦، تاريخ ابن أعثم: ١١٢/٥، البداية والنهاية: ٢٠٣/٨. الرواية عن أبي مخنف عن عبد الله بن عاصم عن الضحاك عبد الله المشرقي.

من معسكر بني أمية وهذا العدد قليل جداً، وهي ظاهرة توحي بالظلم الشديد من قبل بني أمية على المجتمع الإسلامي، كذلك الفكر المنحرف الذي أفسد عقول الناس وعقيدهم ورضوا بالذل والهوان فخارت قواهم وانهزم المجتمع نفسياً حتى شاع بينهم:

فان تأتوا برملة أو بهندٍ نبايعها أميرة المؤمنينا

أما أصحاب الرسالة فقد وطنوا أنفسهم على أدائها بالشكل الأمثل لذا تميزوا عن غيرهم وحتى يومنا هذا، ولو دقق القارئ الكريم النظر لوجد الذين لم يلتحقوا بالحسين عليه السلام هم:

١ - بني أمية عموماً.

٢-آل العباس بن عبد المطلب عموماً.

٣-سلالة الخلفاء الثلاثة الأوائل بلا استثناء.

٤-آل أبي لهب بن عبد المطلب عموماً.

إنَّ الذين اشتركوا في الجهاد هم أولاد أبي طالب رضوان الله عليهم فقط، فقد كان أبوهم (أبو طالب) حامي الإسلام يوم ظهوره واليوم أولاده رضوان الله عليهم أجمعين.

٤-لقد وهب الإمام الحسين عليه السلام القرابين في تلك الهجرة وقد كانوا نخبة العالم وقادة الفكر الفقهاء والقراء والمفسرين وعلماء الحديث وأساتذة العرفان وفرسان المصر ووجهاء المجتمع الإسلامي فالثمار يجب أن تكون بمستوى العطاء فالحسين عليه السلام وأصحابه أرادوا أن يضعوا جذوراً مشتعلة وإلى آخر يوم في الدنيا يتأسى بها أحرار العالم للنهج من منهجهم وهو

منهج الأنبياء لذا كان يقول عليه السلام: (إنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)[١].

٥- كان الحسين عليه السلام واثقاً كل الثقة بالله وبنفسه خاصة كجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم المباهلة، نقل الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّ الإمام الحسين عليه السلام أخبر أهل بيته وأصحابه وقال: (ها هنا تقتل الرجال وترمل النساء وهاهنا محل قبورنا ومحشرنا وبهذا أخبرني جدي صلى الله عليه وآله وسلم)[٢]. وقال عليه السلام لأصحابه وأهل بيته ليلة العاشر: (اللهم أني لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون وأنتم في حلٍ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سواده فإنّ القوم إنما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري)[٣]، فأجابوا بأجمعهم: لا أبقانا الله بعدك، وقال الحضرمي رضي الله عنه بعد أن أذن له الإمام إذناً خاصاً: (أكلتني السباع حياً إن فارقتك)[٤]. فلم يمنيهم الإمام عليه السلام بشعارات براقة أو ملك ممهد بل مناهم بالشهادة فتنافس الأصحاب وأهل البيت (عليهم السلام) في السباق إلى الشهادة، فكانوا بمستوى المسؤولية حتى باتوا تلك الليلة لهم دوي كدوي النحل بين قائم

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ٣/١١٥ ح٢٨٤٢، ذخائر العقبى، الطبري: ١٥٠.
(٢) إثبات الهداة، الحر العاملي: ٥/٢٠٢، تفسير كنز الدقائق، المشهداني: ٨/٥٨، ينابيع المودة، القندوزي: ٤٠٦ مع اختلاف في الألفاظ.
(٣) أمالي الصدوق: ١٣٣، بحار الأنوار: ٤٤/٣١٥، الخرائج والجرائح: ٢/٨٤٧ ح٦٢.
(٤) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤/٣٩٤.

وقاعد وراكع وساجد يتلون القرآن المجيد، ويستلهمون معانيه والقرآن يدفع عباد الله إلى العطاء.

٦-عطاء المرأة: لم يتوقف العطاء على الرجال قط، بل كان للمرأة الدور البارز بعد أن كانت العرب ترى أن المرأة غير مهيأة للجهاد، بل همها البيت والأسرة فقط، لكن الفكر الحسيني وضع للمرأة منهجاً جهادياً وقيادياً أيضاً، وما دور زينب (عليها السلام) وأخواتها وبنات عمومتها، وأم وهب النصرانية أول شهيدة من النساء[1]، وغيرها إلا أنموذجا خالداً لعطاء المرأة فتخاطب زينب (عليها السلام) أهل الكوفة (يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر..)[2]، فتزلزل الكوفة بتلك الخطب الرنانة والتي كانت أمضى من سنان السيوف وطعن الرماح على أهل الكوفة وتدخل زينب الشام، فتحقر يزيد في ملكه في كلمة خالدة لها (عليها السلام) فتخاطبه قائلةً (...ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك فإنّي لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك واستكبر توبيخك.. ألا فالعجب كل العجب بقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فتلك الأيدي تنطف من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها الذئاب..فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوا الله لاتمحو ذكرنا، ولاتميت وحينا)[3].

---

(١) أم وهب بنت عبد الله بن النمر بن قاسط الكلابي زوجة عبد الله بن عمير الكلبي استشهدت هي وزوجها ظ. تاريخ الطبري: ٤٢٩/٥، ٤٣٦، إبصار العين، السماوي: ١٠٦.

(٢) تاريخ ابن أعثم: ١٤٠/٥، اللهوف للسيد ابن طاووس: ٢٠٠، تهذيب الكمال للمزي: ٤٢٩/٦، سيرة أعلام النبلاء الذهبي: ٣٠٩/٣ مع الركب الحسيني: ١٢٤/٥ وما بعدها.

(٣) بحار الأنوار: ١٣٣/٤٥ وينظر: مع الركب الحسيني، مجموعة باحثين: ١٥٣/٦ وما بعدها.

لقد كان التخطيط الحسيني في عاشوراء أن يكون للكلمة أثر كما للسيف أثر وكانت الكلمات والخطابات لها الدور الإعلامي المهم في إبراز جرائم الأمويين على الأمة، والتي أدت فيما بعد إلى سقوط الحكومة السفيانية ثم الأموية برمتها. في ختام هذا المبحث أقول: لا يمكن الإحاطة بحياة الإمام الحسين عليه السلام في وريقات معدودة فهي حياة واسعة تحمل الكثير من الصفات وتتشعب إلى معان شتى، كذلك لا يمكن الإحاطة بأبعاد النهضة الحسينية وأهدافها فقد كتبت الموسوعات الكبيرة ولم تنته منها فلا يمكن الإحاطة بتلك الشخصية العظيمة التي يكن لها التقديس والإجلال كل أجناس النوع البشري باختلاف تنوعاتهم الفكرية والعقائدية ونكتفي بهذا القدر من التمهيد في حياة السبط الشهيد عليه السلام ونعتذر عن التقصير والخلل إلى الله سبحانه وتعالى أولاً وإلى الرسول الأكرم وال بيته (عليهم السلام) ثانياً وإلى السادة القراء ومن أراد التوسع فليراجع حياة الحسين عليه السلام باقر شريف القرشي رضي الله عنه.

المبحث الثالث

رواة الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ ثمرة هذا البحث تعتمد على من تم توثيقه من علماء الجرح والتعديل، وأعامل روايته على هذا الأساس، وأما المختلف فيه أخضعت روايته لمعايير نقد المتن، ولقد روى عن الإمام الحسين عليه السلام عدد كبير من الصحابة والتابعين وأتباعهم، كذلك الأئمة المعصومين من ذريته (عليهم السلام) أجمعين وذرياهم، وقد أوصل أحد الباحثين المعاصرين من روى عنه عليه السلام إلى (٢٦٦) وفي مختلف العلوم القرآنية والتفسيرية والحديثية والفقهية[١]، وقد اخترت منهم من روى عنه عليه السلام في علوم القرآن وتفسيره فقط، وهم:

١- أبو سعيد

دينار يكنى أبا سعيد التميمي الكوفي ولقبه (عقيصا)، ولقب بذلك لشعر قاله من أصحاب علي والحسين (عليهما السلام)[٢].

---

(١) مسند الإمام الحسين (عليه السلام)، العطاردي: ٣/٣١٤-٣١٨.

(٢) رجال الطوسي: ١٩، ٣٣، معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٥٢/٨.

قال البرقي: أبو سعيد عقيصان من بني تيم الله بن ثعلبة، وعده من خواص علي والحسين (عليهما السلام)[١].

ذكر المنقري: أنَّه من أصحاب علي عليه السلام، ومن الذين قاتلوا معه في صفين، وروى له رواية الصخرة عندما عطش جيش الإمام عليه السلام[٢] وثقه غلام رضا عرفانيان[٣]، عده ابن معين من أصحاب علي عليه السلام وكذلك البخاري ووصف حديثه بالحسن، قال حدثنا قدامة قال حدثنا علي بن جبلة قال حدثنا سالم بن أبي مريم عن أبي سعيد عقيصا يسمى دينار رأيت حسناً وحسيناً يتكلمون فيه[٤].

وثَقَّه ابن حبان، ووثقه الحاكم في المستدرك، وقال: ثقة مأمون، وروى له: (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)[٥].

أقول: له روايات كثيرة عن علي عليه السلام والحسين عليه السلام في باب التوحيد والإمامة وغيرها وهو ثقة لايوجد له أي تجريح وتكون روايته عن الحسين عليه السلام مسندة.

---

(١) رجال البرقي: ٣/١، وينظر: رجال ابن داود: ٢١٢/١، قاموس الرجال، التستري: ٣٤٧/١١، رجال الشيعة في أسانيد السنة، الطبسي: ٤٦١.

(٢) وقعة صفين: ١٤٦.

(٣) مشايخ الثقاة: ١٥٠ وينظر رجال الخاقاني: ١٤٤/١، أضبط المقال في أسماء الرجال، التفريشي: ١٥/٥.

(٤) تاريخ ابن معين: ٣٦٤/١، التاريخ الكبير: ٤٥/١.

(٥) الثقات: ٢٨٧/٥، المستدرك على الصحيحين: ١٢٤/٣، وينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي: ٨٨/٣.

٢ - أبو سعيد الخدري

سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي الصحابي الجليل، ولد سنة عشر قبل الهجرة، وتوفي بالمدينة سنة (٧٤هـ)[١].

وثَقَّهُ الكشي في رواية له عن حمدويه قال: حدثنا أيوب عن عبد الله بن المغيرة قال: حدثني ذريح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أبو سعيد الخدري فقال عليه السلام: (كان من أصحاب رسول الله وكان مستقيماً)[٢].

أقول أبو سعيد الخدري ثقة، ولم أجد له تجريحاً وهو من الحفاظ للحديث روى رواية بحق الحسين عليه السلام بأنَّه أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، وتكون روايته عن الحسين عليه السلام مسندة.

٣ - أبي المقدام

قال النجاشي: عمرو بن أبي المقدام ثابت بن هرمز الحداد مولى بن عجل روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله (عليهم السلام) له كتاب لطيف أخبرنا به الحسين بن عبيد الله عن عمرو بن ثابت[٣].

وثَقَّه الشيخ الكشي في رواية شريفة قال: حدثني حمدويه بن نصير قال:

---

(١) ينظر ترجمته: الإصابة لابن حجر: ٣٥/٢، أسد الغابة لابن الأثير: ٢٨٩/٢ وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤٧٩/٣.

(٢) رجال الكشي: ٤١.

(٣) رجال النجاشي: ٢٩٠ وينظر السند، وينظر: رجال الطوسي: ١٤١، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٤٢٩، معجم رجال الحديث: ٣٠٥/٤ ترجمة ثابت بن هرمز.

حدثني محمد بن الحسين عن أحمد بن الحسين الميثمي عن أبي العرندس الكندي عن رجل من قريش، قال: كنا بفناء الكعبة وأبو عبد الله عليه السلام قاعد فقيل له: ما أكثر الحاج فقال عليه السلام: ما أقل الحاج، فمر عمرو بن أبي المقدام، فقال عليه السلام هذا من الحاج[١].

وثَقَّه ابن حبان في الثقات[٢]، قال ابن معين: كوفي ليس بشيء[٣]، قال أحمد بن حنبل: سمعت ابن المبارك يقول: لاتحدثوا عن عمرو بن ثابت فإنَّه يسب السلف[٤]، قال البخاري: ليس بالقوي، قال العجلي: شديد التشيع غال فيه، واهي الحديث[٥]، قال ابن حجر: ضعيف رمي بالرفض[٦]، وقال: قال عبد الله بن أحمد عن أبيه كان يشتم عثمان، وقال الساجي: يقدم علياً على الشيخين، وقال البزاز كان يتشيع ولم يترك[٧].

قال الذهبي بعد أن نقل الأقوال السابقة: قال الآجري: رافضي خبيث قال: (لما مات النبي عليه السلام كفر الناس إلا خمسة)، وقال الذهبي: قال ابن الإعرابي لكنه كان صدوقاً في حديثه، قال الذهبي: وروى معاوية بن صالح عن يحيى، قال عمرو بن ثابت: لايكذب في حديثه[٨].

(١) رجال الكشي: ٣٣٥، ٣٣٦ رواية أخرى عن علي بن الحسين (عليهما السلام).

(٢) الثقات: ٣٢٨/٧.

(٣) تاريخ ابن معين: ١٥١.

(٤) العلل: ٤٨٦/٣.

(٥) التاريخ الصغير، البخاري: ٨٧، معرفة الثقات: ١٧٣/٢.

(٦) تقريب التهذيب: ٧٣٠/١.

(٧) تهذيب التهذيب: ٩/٨، وينظر: الكامل، ابن عدي: ١٢٠/٥.

(٨) ميزان الاعتدال: ٢٤٩/٣.

أقول: إنَّ هذا الرجل قد وثَّقه علماء الإمامية، وَوَثَّقه ابن حبان ووصفه الذهبي بالصدوق في حديثه وأنَّه لايكذب، ويكون منشأ تضعيفه لأنَّه يوالي الإمام علياً عليه السلام ويقدمه على بقية الصحابة وهذا لايدخل في ميزان جرح الراوي فهو ثقة أدرك الإمام الحسين عليه السلام وروى عن أبنائه (عليهم السلام).

٤ - الأصبغ بن نباتة

المجاشعي، من خاصة الإمام علي عليه السلام وعمر بعده، روى عنه عليه السلام عهد الأشتر ووصيته إلى محمد ابنه[١]، قال ابن حجر: من أصحاب علي عليه السلام وكان ممن شهد له في الرحبة (من كنت مولاه فعلي مولاه)[٢]، عده ابن حبان في الثقات، وقال: قد فُتِنَ بِحُبِّ علي عليه السلام[٣]، وهذا يدل على شدة موالاته لأهل البيت عليهم السلام قال البخاري: فيه نظر، وقال يحيى: لايحل لأحد أن يروي عنه، لأنه يروي الأحاديث العجيبة عن علي عليه السلام[٤]، وثقة الحاكم في المستدرك وروى له حديث (من يبايعني على الموت) في صفين وذكر قصة أُويس القرني رضي الله عنه[٥] ذكر ابن أعثم الكوفي أنَّ أول من تقدم إلى الحرب - يوم صفين-

---

(١) رجال النجاشي: ٥، رجال الطوسي: ٣٨، معجم رجال الحديث: ٤/٩٤، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦/٢٢٥ عَدَّهُ من أصحاب علي عليه السلام وكان صاحب شرطته وكان شيعياً.

(٢) الإصابة: ١/٣٤٧، قال العلامة الحلي: وهو مشكور عندنا، الخلاصة: ٧٧.

(٣) الثقات: ٦/٦.

(٤) ميزان الاعتدال: ١/٢٧١.

(٥) المستدرك: ٣/٤٠٣.

الأصبغ بن نباته وكان من أصحاب علي عليه السلام وفي يده راية صفراء)[1].

عدَّه المزي من أصحاب علي عليه السلام وقال: قال أبو الحسن الدار قطني: الأصبغ بن نباته يروي عن علي عليه السلام [2]، أقول إنَّ الأصبغ من أصحاب علي والحسن والحسين (عليهم السلام) وعاش بعد الحسين عليه السلام فترة زمنية وقد وثقه الفريقان، أما من قال بتضعيفه لأنه يروي الأحاديث العجيبة في علي وال بيته (عليهم السلام) فمنشأ تضعيفه شدة موالاته لأهل البيت (عليهم السلام).

٥ - أسلم بن زيد بن المبارك

روى عنه ابنه زيد واسلم يمني من حضرموت من بني جذام، قال ابن العديم: شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام واستشهد فيها والظاهر إنَّه صحابي[3]، ولعله غيره لأنَّ هذا الاسم مشترك والله اعلم.

٦ - إسماعيل بن عبد الله

وهو اسم مشترك بين جماعة من الرواة، لكن عند التدقيق فيهم وجدت

---

(١) تاريخ ابن أعثم: ٣/٩٥.

(٢) تهذيب الكمال: ٩/١٨٦ قال الرازي فيه وعقيصا السابق: من بابتهم أي: من صنف واحد من موالي أهل البيت (عليهم السلام): الجرح والتعديل: ٢/٣٢٠.

(٣) بغية الطلب: ٦/٢٨١٧ وينظر في إثبات نسبه واشتراكه مع الإمام علي (عليه السلام) أيضاً: الأنساب، السمعاني: ٢/٣٣، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير: ١/٢٦٥، كمال الكمال لابن ماكولا: ١/٥٥٨، معجم قبائل العرب، عمر كحالة: ٢/ ٦٣٧.

أنَّ الأسماء المشتركة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام [(١)].

ولعله: إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب –كما ترجم له الشيخ الطوسي- وهو تابعي سمع أباه وروى عنه من أصحاب السجاد عليه السلام [(٢)].

وثَقَّه ابن حبان[(٣)]، وقال ابن حجر: قال الدار قطني: ثقة وعَدَّه من الطبقة الخامسة توفي سنة (١٤٥هـ) وقد قارب التسعين من عمره[(٤)]، أي كان عمره - وحسب رأي ابن حجر- ست سنوات عند استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ولعله سمع الرواية عن الإمام مباشرة، باعتبار السيدة زينب (عليها السلام) أخت الحسين عليه السلام زوجة أبيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فهما جميعاً من عائلة واحدة ترجع إلى أبي طالب رضي الله عنه.

٧- أم بكر بنت المسور بن مخرمة الزهري

أبوها المسور من الصحابة ومن المحتجين على سياسة عثمان بن عفان لتقريبه بني أمية، كذلك احتج على مروان وزير عثمان، وله كتاب كتبه المُسَوَّر إلى الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة وكان من الناصحين فجزاه الحسين عليه السلام خيراً ثم اشترك مع ابن الزبير في قتال جيش يزيد الذي رمى الكعبة بالمنجنيق وأصابه حجر وتوفي على أثرها سنة أربع وستين[(٥)].

---

(١) ظ.. رجال النجاشي: ٥٧، معجم رجال الحديث: ٥١/١ و٤/٤.

(٢) رجال الطوسي: ٩٦، معجم رجال الحديث: ٤٥/٤ رقم ١٣٨٤.

(٣) الثقات: ١٥/٤، تهذيب الكمال، المزي: ١١٢/٣.

(٤) تهذيب التهذيب: ٢٦٨/١ رقم ٥٦٢.

(٥) ظ. ترجمة المسور: الغدير، الأميني: ٢٥٩/٨، أنساب الأشراف: ٢٨/٥، الإصابة: ٩٥/٦، ←

وثقها -أم بكر-: الطبراني وابن سعد[١]، ووثقها مالك[٢].

قال ابن حجر: أم بكر بنت المسور بن مخرمة - التي روت عن أبيها- مقبولة من الرابعة[٣]، روى عنها السيد المرتضى أحاديث شريفة في الإمامة[٤] ويظهر من جميع المواقف أنَّ المسور وابنته كانا إلى جنب الحسين عليه السلام في كثير من المواقف[٥].

٨- أم الفضل لبابه بنت الحارث

زوجة العباس بن عبد المطلب، صحابية جليلة، عمرت طويلاً وثقها علماء الرجال من الفريقين، وقد روت عن الإمام الحسين عليه السلام أكثر من رواية في العقائد وغيرها[٦].

٩- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي

أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عشر، وقيل ثمان سنين، وتوفي سنة

تعجيل المنفعة لابن حجر: ١٧٧، السيرة الحلبية: ٢/٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٦٧، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر: ٢٠٢.

(١) المعجم الكبير: ٢٠/٢٦، طبقات ابن سعد: ٤/١٩٣.

(٢) المدونة الكبرى: ٢٨/١٠٨.

(٣) تقريب التهذيب: ٢/٦٦٥ وينظر تهذيب التهذيب: ١٢/٤٠٩ رقم ٩٠٥٨.

(٤) الشافي في الإمامة: ٤/٢٧٦.

(٥) ظ. مجلة تراثنا: ١٠/١٥٠ و١١/١٧٧، ١٨٣.

(٦) ظ: رجال الطوسي: ١٤، جامع الرواة الأردبيلي: ٢/٤٥٦، معجم رجال الحديث: ٢٤/٢٠٦، التاريخ الكبير: ٧/١٩٤، الثقات لابن حبان: ٢/١٤١، لسان الميزان، ابن حجر: ٣/٣٢١.

إحدى وتسعين وقيل اثنتين وقيل ثلاث وقيل إنّه آخر من توفي بالبصرة من الصحابة(١).

أقول هو يروي مباشرة عن الحسين عليه السلام وله رواية في فصل الأخلاق وله موقف مع عبيد الله بن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام(٢).

١٠ - بشر بن غالب الأسدي الكوفي

أبو صادق عَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الحسين وعلي بن الحسين عليهما السلام وعَدَّهُ البرقي من أصحاب أمير المؤمنين والحسنين والسجاد عليهم السلام(٣).

قال البخاري: سمع حسين بن علي عليه السلام قوله وروى عنه عبد الله بن شريك وبن آشوع وهو أخو بشير بن غالب حديثه في الكوفيين، وعَدَّهُ ابن حبان في الثقاة(٤).

قال ابن حجر: ذكره أبو عمرو الكشي في رجال الشيعة وقال: عالم فاضل جليل القدر وروى عن الحسين بن علي وابنه زين العابدين عليهم السلام(٥).

---

(١) الإصابة: ١/٧١، أسد الغابة: ١/١٢٧، تهذيب التهذيب: ١/٣٧٦.

(٢) قال أنس لابن زياد (كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ظ. صحيح البخاري: ٢/٢٢٢ ح٣٧٤٨، مسند أحمد بن حنبل: ١/٩٩.

(٣) رجال الطوسي: ٣٦، نقد الرجال: ١/٢٨٨٨، رجال البرقي: ١/٥٠٤.

(٤) التاريخ الكبير: ٢/٨١، الثقات لابن حبان: ٤/٦٩ و٦/١٠١.

(٥) لسان الميزان: ٢/٢٨ رقم ١٠٣، ولم أجد كلامه في رجال الكشي، وربما فقد هذا الوصف أو تلف كما فقدت غيرها من الآثار.

أقول: بشر بن غالب وثَّقه علماء الإمامية، وابن حبان وابن حجر، له روايات عن أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين (عليهم السلام) وله روايات كثيرة عن الإمام الحسين عليه السلام ومنها دعاء عرفة المشهور.

١١ - الإمام جعفر الصادق عليه السلام

ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليهم السلام أبو عبد الله: الإمام المعصوم السادس عليه السلام، فهو من سادات أهل البيت (عليهم السلام) وأئمتهم، وهو أعلم وأفضل وأفقه أهل زمانه، ولد المدينة سنة ثمانين للهجرة وتوفي فيها سنة ثمان وأربعين ومائة، ودفن بالبقيع[(١)]، ورواية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن آبائهم تعتبر مسندة.

١٢ - جعيد الهمداني الكوفي

من اليمن من قبيلة همدان عدَّه الشيخ الطوسي وغيره من أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام)[(٢)].

أشار السيد الخوئي (قدس) أنَّ له إدراكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا يكون صحابياً وجعيد همدان يراد بهم الخواص فعلى هذا يكون من خواص الإمام علي عليه السلام وأبنائه (عليهم السلام)

---

(١) ظ. ترجمته عليه السلام: تهذيب التهذيب، ١٠٣/٢، صفوة الصفوة لابن الجوزي: ١٦٨/٢.

(٢) رجال الطوسي: ٥٩، ٩٣، ١٠٠، نقد الرجال: ٣٧٦/١ بإضافة علي بن الحسين عليهما السلام.

وأصفيائهم[(١)]، وعده الرازي من أصحاب الحسين عليه السلام [(٢)].

روى الصفار وغيره عن محمد خالد البرقي عن محمد بن سنان أو غيره عن بشير الدهان عن حمران بن أعين عن جعيد الهمداني، وكان جعيد ممن خرج مع الحسين بن علي عليهما السلام فقتل بكربلاء قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام بأي شيء تحكمون؟ قال عليه السلام: (ياجعيد بحكم آل داود فإذا أعيانا عن شيء تلقانا به روح القدس)[(٣)].

١٣ - الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الكوفي

قال الذهبي هو العلامة الإمام أبو زهير، الحارث بن عبد الله بن كعب ابن أسد الهمداني الكوفي صاحب علي عليه السلام وابن مسعود وكان فقيهاً كثير العلم، قال أبو بكر بن أبي داود: كان الحارث أفقه الناس وأحسب الناس تعلم الفرائض من علي عليه السلام قال محمد بن سيرين: أدركت أهل الكوفة وهم يقدمون خمسة من بدأ بالحارث الأعور ثنى بعبيدة السلماني، ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث، ثم علقمة ثم مسروق ثم شريح، قلت - أي الذهبي-: قد كان الحارث من أوعية العلم، ومن الشيعة الأُول. كان يقول: تعلمت القرآن في سنتين والوحي في ثلاث سنين، فأما قول الشعبي: الحارث كذاب،

---

(١) معجم رجال الحديث: ١١/٥ وينظر: جامع الرواة، الأردبيلي: ١٦٤/١، تنقيح المقال: ٢٠٣/١.

(٢) الجرح والتعديل: ٥٢٧/٢ رقم: ٢١٩٠.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٥٢ ح٧، مختصر البصائر، الحسن بن سليمان الحلي: ٦١، الكافي عن علي بن الحسين عليهما السلام: ٣٩٨/١ ح٤ مع اختلاف الألفاظ، وهنا يكون إشكال في استشهاده.

فمحمول على أنّه عنى بالكذب الخطأ، لا التعمد، وإلا فلماذا يروي عنه ويعتقده بتعمد الكذب في الدين وكذا قول غيره)[١].

أقول: إنَّ الحارث الهمداني وثَقَّه علماء الإمامية بالإجماع، وكتب له أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً خاصاً مهماً وهذا يدل على جلالة قدره، وهو المخاطب بالقول المشهور عن الإمام عليه السلام (ياحار همدان من يمت يرني) توفي (٦٣هـ أو ٦٥ أو ٦٧هـ)[٢].

١٤- ربيعة بن شيبان

السعدي عَدَّهُ البخاري من أصحاب الحسين عليه السلام من أهل البصرة[٣]، وعَدَّهُ العجلي كوفياً تابعياً ثقة[٤]، وثَقَّه بن حبان وقال ابن حجر: ثقةٌ من الثالثة[٥].

وثَقَّه المزي وعده من طبقة شهر بن حوشب وعبد الله بن عبد الله، وأبي

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٥٢/٤ رقم (٥٤) تذكر الحفاظ: ٨٠/١، وينظر: الإصابة: ٥٨/١، الثقات لابن حبان ١٣٠/٥، من له رواية في الكتب الستة: ٣٠٣/١ رقم ٨٥٩.

(٢) رجال الكشي: ٨١، وثقة في رواية شريفة، رجال الطوسي: ٣١، رجال البرقي: ٣٣ معجم رجال الحديث: ١٧٣/٥ رقم ٢٤٩١، وينظر: الطبقات الكبرى: ١٦٨/٦ وثقة برواية عن الإمام علي (عليه السلام) قوله (يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل)، تاريخ أسماء الثقات، ابن شاهين: ٧٢ رقم ٢٨٢.

(٣) التاريخ الكبير: ٢٨٢/٣، تصحيفات المحدثين، العسكري: ٢٢/١ أثبته أنَّه من أهل البصرة، كمال الكمال لابن ماكولا: ١٦٦/٢، الإصابة: ٦١/٢ ترجمة الحسن (عليه السلام).

(٤) معرفة الثقات: ٣٥٨/١.

(٥) الثقات: ٢٢٩/٤، صحيح ابن حبان: ٢٢٢٦/٣، تقرب التهذيب: ٢٩٦/١.

موسى الأشعري وعدي بن أرطأة ومحمد بن علي المعروف بابن الحنفية[١].

وعَدَّهُ السيد الأمين من أصحاب الحسن والحسين (عليهما السلام) وكذلك الشاهرودي[٢].

أقول: إنَّ ربيعة بن شيبان السعدي أبو الحوراء بصري لأنَّ قومه يسكنون البصرة وقد نصَّ عليه علماء الرجال بالإجماع باستثناء العجلي، وروايته عن الحسين عليه السلام مسندة بلا إرسال، وروى له الشيخ المفيد رضي الله عنه حديثاً يدل على جلالته، وأنَّهُ من موالي أهل البيت (عليهم السلام)[٣].

١٥ - سعيد الهمداني الكوفي

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والظاهر أنَّه صحابي حسب قول ابن الأثير[٤]، له عقب كثير، أشهرهم ابن عقدة[٥].

ومن أبنائه: الأسود بن سعيد الهمداني، روى عن أبيه: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة)[٦]، وابنه مسافر بن سعيد الهمداني ممن اشترك مع المختار

(١) تهذيب الكمال: ٥٢/٤ و١١٧/٩، الجرح والتعديل، الرازي: ١٩/٣.

(٢) أعيان الشيعة: ٤٦٢/٦، مستدركات علم رجال الحديث: ٣٩٣.

(٣) أمالي المفيد: ٣٣٤ ح٣، وقد روت له كتب الصحاح والسنن وأحمد بن حنبل.

(٤) ظ. نقد الرجال، التفريشي: ٣٥١/٥، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، الأبطحي: ٤٩٠، وينظر: أسد الغابة: ١٣٠/٢ و١٤٧/٤.

(٥) رجال الطوسي: ١٨١، نقد الرجال: ٢٧/٢، معرفة الثقات، العجلي: ١٩٣/٢، الثقات لابن حبان: ١٧٤/٩ وهو رجل جليل القدر عظيم المنزلة أمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر.

(٦) التاريخ الكبير للبخاري: ٤٦٦/١، روى الحديث، الثقات، ابن حبان: ٣٣/٤، الجرح والتعديل: ٢٩٢/٢، ورواه الطبرسي عنه في إعلام الورى: ١٦٢/٢.

الثقفي رضي الله عنه في القصاص من قتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وقد سيره المختار يوماً إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه حاملاً معه رأسي عمر بن سعد وابنه حفص مع ثلاثين ألف دينار(١).

أقول: إنَّ سعيد الهمداني من أصحاب الإمام علي عليه السلام وخيارهم، وكان معه في الجمل وصفين، وقد وبخ الإمام عليه السلام ابنه قيس لتخلفه عن الجمل(٢)، وروايته عن الحسين عليه السلام مسندة ولم أجد له تضعيفاً والله أعلم.

١٦ -السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليهم السلام)

مرة ترجمتها في أسرته

١٧ - عبد الله بن عباس

أبو العباس الهاشمي، الصحابي الجليل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبر هذه الأمة وأحد العبادلة الأربعة ولد سنة ثلاث قبل الهجرة، وتوفي في الطائف سنة ثمان وستين، وقيل سنة سبعين(٣).

١٨ - عبد الرحمن بن سليط

عدَّه ابن عبد البر من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وروى قصة عثمان بن مضعون الصحابي، وروى عن ابن عباس

---

(١) ظ. تاريخ بن أعثم: ٦/٢٤٧.

(٢) أنساب الأشراف: ١/٢٧٥.

(٣) ظ. ترجمته: الإصابة: ٢/٣٠٣، أسد الغابة: ٣/١٩٢، تهذيب التهذيب: ٥/٢٧٦، طبقات ابن سعد: ٢/٥٦٥، صفوة الصفوة: ١/٧٤٦.

وغيره من الصحابة[١].

روى عنه الصدوق والطبرسي وابن عياش الجوهري أحاديث البشارة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عن مولانا الحسين عليه السلام ولم أجد له غير ذلك[٢].

١٩ - عبد الملك بن عمير الكوفي

من الذين أدركوا أمير المؤمنين عليه السلام وكان معه في الجمل وروى بعض الأحاديث في معركة الجمل، وروى عن قبيصة الأسدي الكوفي أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قصصاً أخرى[٣]، وثقه الذهبي، وقال: لكنه طال عمره وساء حفظه، وقال ابن حجر مقبول[٤]، وصفه الأوزاعي بأنَّهُ كان حافظاً للحديث، وقال وكيع: ماكان أحفظه للطوال توفي بالكوفة[٥].

إنَّ عبد الملك بن عمير من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، روى الكليني والشيخ الطوسي أحاديث عنه في الكافي والتهذيب، وأدرك الإمام الحسين عليه السلام وروايته عنه مسندة[٦].

---

(١) الاستيعاب: ٣/٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/٦٩ ح٣٦، إعلام الورى: ٢/١٩٤، مقتضب الأثر: ٢٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ٦/١٤٥، أسد الغابة: ٤/١٩١ عده صحابياً، معجم رجال الحديث: ١٤/٧٢ عن تنقيح المقال للمامقاني، ضمن ترجمة قبيصة بن المخارق.

(٤) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ١/٢١٨، تقريب التهذيب: ١/٦١٨.

(٥) العبر في خبر من غبر، الذهبي: ١/٥٩، سير أعلام النبلاء: ٦/١٥٦.

(٦) معجم رجال الحديث: ١٢/١٧م٧٣٢٢ و٢٤/١٢٩، وينظر: مسند الإمام الحسين عليه السلام، العطاردي: ٣/٣٧٧.

٢٠ - عصام بن المصطلق

وهو رجل من أهل الشام له رواية عن الإمام الحسين عليه السلام وقد ذكرت في فصل الأخلاق رواها القرطبي والبغوي وأخرجها ابن عساكر عن طريق آخر لم أجد له ترجمة[١].

٢١ - الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب السجاد (عليهم السلام)

مرت ترجمته في أسرته، وهو عند المسلمين من سادات أهل البيت (عليهم السلام) رابع الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، عالي القدر، رفيع المقام، ولد بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك، وهو أشهر من أن يترجم له ببعض أسطر[٢].

٢٢ - السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام

مرت ترجمتها في أسرة الحسين عليه السلام.

٢٣ - الإمام محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر الباقر عليهم السلام

وهو الإمام المعصوم الخامس في سلالة أهل البيت عليه السلام وأشهر من أن يترجم، كان عمره في عاشوراء أربع سنين، وهو عند المسلمين: من

(١) تفسر القرطبي: ٣٥٠/٧، البحر المحيط: ٤٦٦/٤، تاريخ ابن عساكر: ٢٢٤/٤٣، ح٥٠٧٨ ضمن ترجمة الحوطي، مستدركات علم رجال الحديث، الشاهرودي: ٢٣٧ عده من المجهولين.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣٠٦/٧و الطبقات الكبرى: ٢١١/٥، صفوة الصفوة: ٩٣/٢، تذكرة الحفاظ: ١١٧/١، صفوة الصفوة: ١٠٨/٢، وفيات الأعيان: ١٧٤/٤، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ١٤٩/١.

سادات أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، ولد سنة ست وخمسين، وتوفي سنة أربع عشر ومائة وقيل غير ذلك[١].

٢٤ - مسروق الأجدع

أبو عائشة الهمداني الوادعي الكوفي الفقيه أحد الأعلام وكان أبوه فارس اليمن في زمانه، ومسروق ابن أخت عمر بن معدي كرب، أدرك عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكنه لم يلقه، تابعي ثقة في الحديث، فقيه عابد ورع، وإليه انتهت رئاسة العلم في الكوفة شهد حروب علي عليه السلام - باستثناء صفين – وكان أعلم بالفتيا من شريح[٢].

روى ابن الأثير عن ابن عمر قال: أي مسروق- ما آسى على شيء إلا أنّي لم أقاتل مع علي بن أبي طالب عليه السلام الفئة الباغية، وقال الشعبي: ما مات مسروق حتى تاب إلى الله تعالى من تخلفه عن القتال مع علي عليه السلام[٣].

روى السيد المرتضى (قدس) بإسناد عن مسروق قال: دخلت على عائشة، فقالت: من قتل الخوارج؟ قلت: قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: سمعت رسول الله يقول: (هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير

---

(١) ظ. ترجمته (عليه السلام): تهذيب التهذيب: ٩/٣٥٠، تذكرة الحفاظ: ١/١١٧، صفوة الصفوة: ٢/١٠٨، وفيات الأعيان: ٤/١٧٤، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ١/١٤٩.

(٢) رجال الطوسي: ١٠٠، معالم العلماء لابن شهر آشوب: ١٦٤، خلاصة الأقوال: ١٤٤ نقد الرجال: ٢/٥٧، تاريخ ابن معين: ١/٢٣٤، التاريخ الصغير للبخاري: ١/٦٣ العلل لابن حنبل: ٣/٣٨، الثقات لابن حبان: ٩/٥، تذكرة الحفاظ: ١/٤٩، الأعلام، الزركلي: ٧/٢١٥، سيرة أعلام النبلاء: ٤/٥٠ فهو عندهم جميعاً: تابعي ثقة.

(٣) أسد الغابة: ٤/٣٣، وقال: تابعي ثقة.

الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة.. قالت: من قتل ذا الثدية؟ قلت: علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنَّه كتب إليّ يخبرني أنَّه قتله بالإسكندرية، إلا أنَّه لايمنعني مافي نفسي أن أقول ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه سمعته يقول: (يقتلهم خير أمتي بعدي)[١].

روى الشيخ الطوسي بإسناد عن أبي إسحاق السبيعي، قال: دخلنا على مسروق الأجدع، فإذا عنده ضيف له لانعرفه وهما يطعمان من طعام لهما، فقال الضيف: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحنين[٢] فلما قالها عرفنا أنَّه كان له صحبة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: فجاءت صفية بنت حيي بن أخطب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إني لست كأحد من نسائك، قتلت الأب والأخ والعم، فإن حدث بك شيء فإلى من؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إلى هذا وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

مما تقدم يتضح أنَّ مسروقاً ثقة عند الفريقين قيل إنه توفي سنة اثنتين وستين وقيل ثلاث وقال خليفة سنة ثلاث وسبعين، وروايته عن الحسين عليه السلام مسندة[٤].

---

(١) تنزيه الأنبياء: ٢٠٢ وينظر: ص٢٠٧، روايات بحق الحسين عليه السلام.

(٢) حنين: وفي نسخة أخرى: خيبر.

(٣) أمالي الطوسي: ٣٤ ح٣٤ وينظر وسط الحديث: حديث آخر عن الحارث الهمداني ذات دلالة عظيمة رواه مسروق. وينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/١٩٦ ح١٠.

(٤) سيرة أعلام النبلاء: ٤/٥٠، طبقات خليفة: ٢٥٠، وذكر نسبه الآتي مسروق بن الأجدع بن مالك من ولد عبد الله بن وادعة.

٢٥ - موسى بن عقبة بن أبي عياش المدني

تابعي مدني، عَدَّهُ الشيخ الطوسي وغيره من أصحاب الصادق عليه السلام [١].

وثقَّه ابن معين والبخاري والعجلي وابن حبان وابن شاهين وغيرهم [٢]. كان مؤرخاً حافظاً فقيهاً، متقناً، مؤلفاً، له كتاب مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان مالك بن أنس: إذا قيل له مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة [٣].

ولد بالمدينة وتوفي فيها سنة (١٤١هـ) أو (١٤٢هـ) أو (١٤٥هـ) له رواية عن الإمام الحسين عليه السلام في الاحتجاجات [٤].

٢٦ - النضر بن مالك

لم أجد له ترجمة في كتب الرجال، روى له الصدوق والبحراني عن الحسين عليه السلام (هذان خصمان اختصموا في ربهم) [٥].

---

(١) رجال الطوسي: ٣٠ نقد الرجال: ٤/٤٣٧، جامع الرواة، الأردبيلي: ٢/٢٧٨، طرائف المقال، البروجردي: ١/٦١٥، معجم رجال الحديث: ٥٣/١٩.

(٢) تاريخ ابن معين: ٢٠٣، معرفة الثقات: ٢/٣٠٥، الثقات لابن حبان: ١٢٥/٧٠، تاريخ أسماء الثقاة: ٢٢١، ميزان الاعتدال: ٤/٢١٤، اللباب: ٣/٢٢٥ ، تهذيب الأسماء واللغات، الساري: ٢/١١٧،

(٣) الجرح والتعديل: ٤/١، طبقات المحدثين، عبد الله بن حبان: ٣/ ٤١٢، معجم المطبوعات العربية، الياس كوركيس: ٢/١٨١٦ له كتاب مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) الوافي بالوفيات: الصفدي: ٢/١٣٧، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق (عليه السلام): ٣/٣٢٥.

(٥) الخصال: ٤٣ ح٣٥، غاية المرام: ٤/٢٧٨ باب ١٧٢، ورواه مسلم في صحيحه بطريق آخر ←

روى ابن شيبة بإسناد عن ولد أنس بن مالك قال: كان النضر بن مالك يقيم هنا بمكة، لما حمل رأسه خرج فاعتمر[١].

الظاهر من كلام ابن شيبه أنه تابعي وربما يكون صحابياً، ذلك أنّ لهُ ولداً اسمه زياد بن النضر بن مالك كان على مقدمة جيش الإمام علي عليه السلام إلى صفين وعدّه ابن حبان في الثقات[٢].

٢٧- يحيى بن يعمن

كذا ورد في سند الحديث، وربما هو يحيى بن يعمر فصحفه الناسخون وكما هو موجود في الكتب الروائية المحققة: فهو يحيى بن يعمر العدوي البصري أبو سليمان أخذ علوم القرآن واللغة من أبي الأسود الدوؤلي فهو تلميذه، وأخذها الدوؤلي عن الإمام علي عليه السلام، عمل قاضياً في مرو، قال الذهبي: متفق على حديثه وثقته[٣]، وقال: قال أبو زرعه وأبو حاتم والنسائي ثقة[٤].

وثقه البخاري وابن حبان ووصفه بالورع الشديد[٥]، أراد الحجاج الثقفي الأموي قتله لقوله -أي يحيى- إن الحسن والحسين (عليهما السلام)

بلفظ آخر بنفس المعنى عن طريق أبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ٤٢٢/٢.

(١) المصنف: ١٩٩/٤ ح٥، حمل رأسه أي بان شعره.

(٢) الثقات: ٢٨٨/٢.

(٣) تذكرة الحفاظ: ٧٥/١، سيرة أعلام النبلاء: ٨٣/٤، أعيان الشيعة: ١٦٣/١، مجلة تراثنا: ٥٦/١٣، وينظر: فهرست ابن النديم: ٤٦.

(٤) ميزان الاعتدال: ٤١٦/٤ رقم ٩٦٦٠ تعجيل المنفعة: ٣٣٤.

(٥) التاريخ الكبير: ٣١١/٨، الثقات: ٥٢٣/٥.

ابنا رسول الله فتخلص منه باستنباط من آي القرآن ثم نفاه إلى خراسان[١]، وعلى هذا يكون تابعياً أدرك الإمام الحسين عليه السلام وروايته عنه عليه السلام مسندة، وهو ثقة.

٢٨- يزيد بن رويان، يزيد بن رومان، بريد بن هارون

هكذا في مصدر الرواية، أما الأول عن العياشي، والثاني عن المجلسي، والثالث عن الحويزي[٢]، وهي كلها مُصَحَّفَة ليس لها ذكر في كتب الرجال ولعل الاسم هو: يزيد بن هارون الواسطي -كما سمَّاه العطاردي- وهو من رواة كتب الفريقين: عدَّه الإمامية من أصحاب الصادق عليه السلام [٣].

وهو واسطي عند الجميع باستثناء ابن معين قال بصري، وهو ثقة عند كل من ترجم من حفاظ الحديث الثقات، ولم أجد له تضعيفاً[٤].

(١) وفيات الأعيان: ١٧٣/٦، الوافي بالوفيات: ٣٠٨/٥، الطبقات الكبرى: ٣٦٨/٧ إمتاع الأسماع: ٢١٣/٩، طبقات خليفة: ٥٩٥/١.

(٢) تفسير العياشي: ٣٦٣/٢ ح٦٤، بحار الأنوار: ٢٢/٣٣ ح٦٣١، نور الثقلين: ٣١٨/٤ ح١٨٩.

(٣) معجم رجال الحديث: ١٢٩/٢١ رقم ١٣٧١٢، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق (عليه السلام): ٢٧٣، قال التستري: خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن واستشهد، قاموس الرجال، التستري: ١١٧/١١، مقاتل الطالبين: ٢٣٨، وينظر: مسند الإمام الحسين (عليه السلام)، العطاردي: ٤١٧/٣، ت (٢٦٥).

(٤) تاريخ ابن معين: ٨٠/٢، معرفة الثقات: ٤٤/١، العلل، أحمد بن حنبل: ٣٣/٢، الثقات لابن حبان: ٣/٩، الإعلام للزركلي: ١٩٠/٨، تعجيل المنفعة: ٢٠٤، تذكرة الحفاظ: ٧٩٠/٣.

٢٩ - يزيد السمان

روى عنه ابنه إبراهيم، ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال له أو لابنه إبراهيم، ووجدت له روايات عن الحسين عليه السلام منها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام في غزوة تبوك (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[١].

ووجدت ابن حبان يروي عن خالد بن يزيد السمان عن أخيه عن أبيهما وذكرهما في الثقات وكذلك البخاري وثق خالداً فقط[٢].

(١) كفاية الأثر: ١٩٥ والرواية مروية عن سهل بن سعد وعبد الله بن عباس غيرهم بنفس اللفظ.
(٢) الثقات لابن حبان: ٦/٢٦٦و التاريخ الكبير: ٣/١٨١، مستدركات الرجال: ٢٢٩.

الفصل الثاني

الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام في علوم القرآن

تمهيد

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على الرسول الكريم والخاتم الأمين صلى الله عليه وآله وسلم باللفظ والمعنى الموجود بين دفتي المصاحف بالكتابة المنقولة عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالتواتر، ولاتأتي أهمية القرآن من كونه كتاب الله فحسب بل، لأنَّه كتاب هداية وتشريع وتنظيم للمسلمين على مختلف الصعد المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية وغيرها، ومادام القرآن يتسم بهذه الأهمية فلابد من تفسيره وبيان تأويله واستنباط أحكامه التي تفيدنا في تنظيم حياتنا الدينية والدنيوية، الفردية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي تتعلق بالكتاب المبارك، وانطلاقاً من هذا السعي المبارك دأب أئمة المسلمين وعلماؤهم على دراسة القرآن الكريم منذ الصدر الأول من الإسلام، ولاخلاف بين المسلمين إذ إنَّ لأهل البيت عليه السلام السبق والمكانة الأولى في الحفاظ على القرآن الكريم وتفسيره واستخراج غوامضه واستنباط مكنوناته وتعليمه للمسلمين بلا تَمييز بين أحد منهم وكان هذا رأيهم جميعاً، ولاسيما أنَّ القرآن رِسالة السَماء في الأَرض(١).

(١) - ظ- القرآن والإسلام، السيد الطباطبائي (قدس): ٧-١٠.

وَثَبتَ عَن الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي)[١]، وهذا الحديث متفق عليه عند الفريقين، ومن البديهي أن الأئمة عليه السلام جميعاً نور واحد متشابهون في الخصال والمميزات، فكما أنَّ علياً مع الحق والحق مع علي وعلياً مع القرآن والقرآن مع علي كذلك الحسين مع القرآن والحق وهما معه والمهدي مع القرآن والحق وهما معه، وهكذا فحياة الأئمة (عليهم السلام) وسلوكهم تجسد للقرآن في حقيقته، فهم القرآن الناطق وهم عدل القرآن بصريح قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وانهما لن يفترقا حتى يردا عَليّ الحوض)[٢]، فالقرآن الكريم معصوم من الخطأ وكذلك الأئمة معصومون من الخطأ أيضاً، وكما أن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين كذلك الأئمة المعصومون عليهم السلام.

وعلى الرغم من صعوبات الزمن ومرارته التي كانت تحيط بالإمام الحسين عليه السلام ومنعه وأتباعه من تفسير القرآن، ونقل العلوم الشرعية إلى المسلمين وقد رأوا حلقة دَرسِهِ وكان المسلمُون يحوطون به مِن كل صوبٍ في مسجد النَّبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان مجلسه مجلس علم ووقار ازدان بأهل العلم والمعرفة من الصحابة، يأخذون عنه الأدب والحكمة ويسجلون عنه مايرويه في شتى المعارف الإسلامية، يقول المؤرخون: (إنَّ الناس كانوا يجتمعون إليه ويحتفون به، وكأنَّ على رؤوسهم الطير

(١) - ظ- أمالي الطوسي (٤٦)، بحار الأنوار: ٢٢/٤٧٦، تذكرة الخواص: ١/٢٨٨، ٢٩٠.
(٢) - بصائر الدرجات الصفار: ٤٣٥.

يسمعون منه العلم الواسع والحديث الصادق)[١].

وقد وصف حلقة أبي عبد الله الحسين عليه السلام معاوية بن أبي سفيان لأحد أتباعه عندما سأله عن الحسين عليه السلام فقال له: (إذا دخلت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله)[٢] وهذا وغيره مما حدى بمعاوية أن يصدر مرسوماً يقضي بـ:

١- عدم تفسير القرآن بالآثار الموروثة عن المصطفى الخاتم ووصيه علي صلوات الله عليهما.

٢- حجب أتباع أهل البيت وخاصة أهل العراق من لقاء الإمام الحسين عليه السلام روى البلاذري عن العتبي: (حجب الوليد بن عتبة أهل العراق عن الحسين عليه السلام فقال الحسين عليه السلام: ياظالماً لنفسه عاصياً لربه عَلامَ تَحول بيني وبين قومٍ عَرفوا مِن حَقي ماجهلته أنت وعَمك؟!)[٣].

والسبب: لأن القرآن والحسين عليه السلام يخيفان الأعداء، فالقرآن والحسين عليه السلام منهج واحد، هدف واحد وقد نزلت السور والآيات

(١) - الحقائق في الجوامع والفوارق: ١٠٥، حياة الحسين (عليه السلام) القرشي رضي الله عنه: ١٣٧/١.

(٢) - سنن الترمذي، كتاب مناقب أهل النبي (عليه السلام): ٦٦٣/٥ رقم (٣٧٨٨) وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة: ٢٥٠/٤ رقم (٤٧١١) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) - أنساب الأشراف: ١٥٦/٣ وينظر: موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) الشريفي: ٣٠٧ ومابعدها.

بحق الإمام الحسين عليه السلام -سوف يأتي بيانها في هذا الفصل-، فإذا التف الناس حول الإمام الحسين عليه السلام حيث كان مجلسه يأخذ بمجامع القلوب وانصاع المسلمون إلى كلامه والذي هو امتداد لكلام الرسول، كان الخطر الذي يهدد بقاء الحكم الأموي الجائر.

أقول على الرغم من مرارة الزمن وشدته والمنع من الالتقاء بالإمام الحسين عليه السلام والرواية منه والأخذ عنه، مما حدا بالأئمة المعصومين (عليهم السلام) بالرواية عن جدهم الحسين عليه السلام وهو منهج مميز. إذ وصلت إلينا روايات شريفة عن الإمام الحسين عليه السلام في شتى علوم القرآن ومعارفه وقد ثبتت عند الفريقين، ويبدو من الروايات المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام: أنَّ علوم القرآن عند أهل البيت خاصة وكانت تنحاز باهتمام أهل العلم، فقد جاء عن الأصبغ بن نباتة، قال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: أسألك عن شيء أنا به موقن وانَّه من سر الله وأنت المسرور إليه ذلك السر، فقال عليه السلام: (يا أصبغ إن سليمان بن داود أعطي الريح غدوها شهر وروحها شهر، وأنا قد أعطيت أكثر مما أعطي سليمان، فقلت: صدقت والله يابن رسول الله، فقال: يا أصبغ نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان مافيه، وليس لأحد من خلقه ماعندنا لأنا أهل سِرُّ الله... ثم قال: نحن آل الله وورثة رسوله، فقلت: الحمد لله رب العالمين)(١).

وفيما يلي نماذج روائية في شتى علوم القرآن عن السبط الشهيد عليه السلام نرجو أن تكون كاشفة عن آثاره في هذا العلم.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٨١/٢.

المبحث الأول

القرآن الكريم وفضله

أولاً: التصديق به وبيان نزوله

هناك روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تُجمع على أنَّ هذا القرآن تام ليس فيه نقص أو زيادة فعلى الجميع الإيمان به، وهذا الرأي هو رأي جميع المسلمين ومنهم الإمامية[1].

١ -روى الطبرسي وغيره بإسناد عن موسى بن عقبة عن الإمام الحسين عليه السلام قال: (كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيء لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه والمعول علينا تفسيره لايبطئنا تأويله بل نتبع حقائقه)[2]. وهذه الرواية فيها مجموعة من الدلالات ومنها:

---

(١) ظ: البيان في تفسير القرآن السيد الخوئي (قدس) ٢١٦ ومابعدها، إعجاز القرآن للرافعي: ٤١.

(٢) الاحتجاج: ٢٩٩/١، المناقب: ٦٧/٤، العوالم، البحراني: ٨٣/١٧ ح١٠، وسائل الشيعة ١٤٤/١٨ ح٤٥.

أ - إنّ القرآن الكريم الذي بين يدي المسلمين اليوم تام غير ناقص ولايمكن تحريفه ومن المعللات لذلك أنّ الله تعالى قد تعهد بحفظه، قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ }[1]، وقد فسر الذكر بكتاب الله المجيد وأهل الذكر هم: أهل البيت (عليهم السلام)[2].

ب - إنَّ من يريد أن يفسر القرآن عليه أن يرجع إلى نظراء القرآن وعدله الذين نزل في بيوتهم، فهم أعلم الناس بالقرآن، كما يعرفون تفسيره يعلمون تأويله لأن علم الكتاب عندهم خاصة وإلى ذلك أشارت رواية أبان ابن تغلب السابقة في التمهيد.

ج - إنَّ الإمام عليه السلام فرَّقَ بين التفسير والتأويل وهنا دلالة على أنَّ رأي الإمام عليه السلام: أنَّ التفسير غير التأويل.

٢- روى الطبرسي وأكّده السبزواري وغيرهما عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: (كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)[3]. وهذه الرواية تحمل عدة دلالات:

أ - العبارة للعوام، أي أنَّ قسماً من آيات الذكر الحكيم يفهمها عوام الناس لما فيها من الظهور.

ب - الإشارة للخواص: وهم خواص البشر الذين تفقهوا وتدارسوا علوم القرآن الكريم وربما ظهر التفسير الإشاري نسبة إلى ذلك وهو العرفاني وهذا خاص

(١) الحجر/ ٩.

(٢) ظ: تفسير العياشي: ٢/٢٨١ عن الباقر والرضا عليهما السلام، غاية المرام: ٢٤٠.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ١/٥، جامع الأخبار: ١١٦، بحار الأنوار، المجلسي، ٩٢/٢٠ح ١٨.

بالعرفاء من البشر الذي وصلوا إلى مرتبة عالية من القرب لله عز وجل (الذين ابتهجت أذهانهم بكشف الأسرار الربوبية واستنتاج أفكارهم بمشاهدة الأنوار الملكوتية وهم الذين قطعوا منازل الطلب ووصلوا إلى المطلوب)[١].

ج - اللطائف: وهي من اختصاص الأولياء الذين وصلوا إلى مرتبة يقينية توازي مرتبة الأنبياء (عليهم السلام) كالأئمة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) (وهذه الحالة تكون مدركات الإنسان عين الحق ولاتحصل الاّ للكمل من الأولياء)[٢] وعند بعض العرفاء (اللطائف سبعة والناس فيما يعشقون مذاهب)[٣].

د - الحقائق فهي مختصة بالأنبياء سلام الله عليهم أجمعين ولاتقبل النقض[٤].

ثانياً: فضل تلاوة القرآن الكريم

القرآن هو الناموس الإلهي المقدس والذي تكفل بإصلاح حياة الإنسان دنيوياً وأخروياً، فكل آية من آياته منبع فياض بالهداية ومنزل من منازل

(١) ظ: شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني: ٢/٥٨.
(٢) المصدر نفسه: ١/٦٦.
(٣) المصدر نفسه: ١/٦٧.
(٤) ظ: من كتب في العناوين السابقة: الحكمة المتعالية، صدر المتألهين الشيرازي: ٧/١٨ و٨٧، رياض الصالحين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام)، السيد علي خان المدني: ٥/٣٨، عون المعبود، العظيم آبادي: ٢/٣٢٢، نيل الأوطار، الشوكاني: ٢/٢٠١ وينظر الكتب المؤلفة باللطائف: الذريعة، أغا بزرك الطهراني: ٤/١١٥، معجم المطبوعات العربية، الياس سركيس، ١/١٨، كشف الظنون، حاجي خليفة: ١/١٤.

الرحمة، فمن يروق السعادة في الحياتين عليه أن يتعاهد كتاب الله الحكيم آناء الليل وأطراف النهار، ومن ثمَّ تكون لآياته الأثر الكبير على الإنسان المسلم فتكون مزاج تفكيره ومحط ذاكرته، وما أكثر الأحاديث الموروثة عن النبي وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين في الحث على تلاوته حيث كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحث المسلمين على قراءة القرآن وحفظه وتدارسه وتعليمه، فنشطت حركة القراءة والحفظ والتعليم واشتدت العناية بكتاب الله عز وجل، فكان في جيل من الصحابة من يحفظ القرآن حفظاً كاملاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بن كعب وأبو الدرداء وسعد بن عبيد بن النعمان وثابت بن زيد بن النعمان ومعاذ بن جبل وغيرهم(١)، وإذا دخل رجل في الإسلام وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفعه إلى رجل من صحابة المسلمين يعلمه القرآن، وكان يسمع من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضجة لتلاوتهم القرآن الكريم حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا(٢).

ومَرَّ الإمام علي عليه السلام بالمسجد فسمع جماعة يقرأون القرآن، فقال عليه السلام: (طوبى لهؤلاء)(٣)، وروى مسلم عن عبيدة عن عبد الله، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اقرأ عليّ القرآن قلت

---

(١) ظ: الفهرست لابن النديم: ٣٠.

(٢) ظ: مناهل العرفان، الزرقاني: ٢/٣٠٨، جامع البيان في الأحاديث المشتركة، الأسدي: ١٨٩.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي: ٢/٢٨٨ ح٤٠٢٨، المعجم الأوسط: ٤/٢١٧ رقم٧٣٠٨ وفيه: طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يارسول الله أقرأ عليك وعليك نزل؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنِّي أشتهي أن أسمعه من غيري، فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي، فرأيت دموعه تسيل)[١]، وهذا نابع من التأثير عند سماع كلام الله، ودعوة إلى الانقطاع إلى الله عز وجل في أثناء التلاوة فإذا أراد الإنسان أن يتحدث مع الله جل جلاله فليقرأ كلام الله عز وجل.

وقد أُثرت روايات عن الإمام الحسين عليه السلام تؤكد اهتمام السبط عليه السلام بتلاوة القرآن منها:

١- كان الحسين عليه السلام معلماً ومرشداً ومفسراً للقرآن، فكان القراؤون يحيطون به أينما حل ونزل، وقد روى مسروق أنّه قال: (دخلت يوم عرفة على الحسين بن علي عليه السلام فرأيت أقداح السويق إمامه وإمام أصحابه والى جنبهم القرائيين)[٢].

٢- عن زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تعلموا القرآن وتفقهوا به وعلموه الناس ولاتستأكلوهم به فإنَّه سيأتي قوم من بعدي يقرؤونه ويتفقهون به، يسألون الناس

---

(١) صحيح البخاري: ٥٤/٦ ح٤٥٨٢ كتاب التفسير، صحيح مسلم: ٢٧٨/٢ ح١٨٧٧ باب فضل استماع القرآن.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٧٥/٤، بحار الأنوار، المجلسي: ١٨٨/٤٤

أقداح السويق: وهو شراب لذيذ، قال ابن شاهين: وهو حسن دليل على طاعة الله في السفر، الإشارات في علم العبارات: ٦٨/١ ويعمل من اللحم والماء أو من التمر والماء أو زبدة خلاصة اللبن مع الماء والتمر: ظ أساس البلاغة: ٥٦/١، المحيط في اللغة: ٢٩٣/٢.

لاخلاق لهم عند الله عز وجل)[١]، وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من قرأ القرآن يأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه)[٢] والرواية لاتحتاج إلى بيان.

٣- عن زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من قرأ القرآن وحفظ فظن أنّ أحداً أوتي مثل ما أوتي فقد عظم ماحقَّر الله وحقَّر ماعظم الله تعالى)[٣]، وبلاشك أنَّ أعظم شيء هو قراءة القرآن والتدبر في معانيه.

٤- روى الكليني بإسناده عن بشر بن غالب الأسدي، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: (من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات وان استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة وان ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي وكانت له دعوة مجابة وكان خيراً له مما بين السماء والأرض قلت هذا لمن قرأ القرآن، فمن لم يقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: (يا أخا بني أسد! إنّ الله جواد ماجد كريم، إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك)[٤].

---

(١) مسند زيد بن علي (عليهما السلام): ٣٨٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٦/١٨٣ ح٧٦٨٢ الرواية عن السكوني.

(٣) مسند زيد بن علي: ٣٨٧.

(٤) الكافي: ٢/٥٧٤ ح٣٥٠٢، وسائل الشيعة: ٤/٨٤١ ح٥. وينظر رواية أخرى رواها الصدوق بإسناد عن سعد بن طريف عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن أبيه عن جده الحسين (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمالي الصدوق: ٣٦.

والروايات السابقة تؤكد جملة من المعاني منها: إن من أعظم الأعمال قربة لله عز وجل هي قراءة القرآن ولايجوز النظر إليها بازدراء أو التصغير من ثوابها كذلك تنهى الأحاديث الشريفة عن استغلال النوع الإنساني من أجل تعليمهم قراءة القرآن فيأخذون أموالهم ويستغلون شغفهم بالقرآن وإن الله عز وجل يثيب الإنسان على قدر معرفته ونيته وفطرته السليمة.

ثالثاً: فضل القرآن على حملته

القرآن كتاب الهداية ونور الحقيقة، يعد دليل الباحثين عن الحقيقة (ولاشك أنّ العرب بهروا به وبهتت إمام عظمته قرائحهم فركنوا الشعر وظلوا يتحاورون بنصوصه)[١]، لذلك اتجهوا إلى قراءته وحفظه، وقد حثهم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك، فهذا الأمر جعل حفظته يتبوؤن مكانة سامية عند الناس، فاحترموهم ووقروهم، وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام في هذا الجانب نصوصٌ تؤكد ماذهب البحث إليه:

١-روى الطبراني وابن كثير والهيثمي بإسنادهم عن فائد مولى عبد الله ابن رافع عن سكينة بنت الحسين عن أبيها عليه السلام أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة)[٢].

٢- روى العاملي بسند يتصل بالحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام عن أبيه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حملة القرآن المخصوصون برحمة الله الملبسون نور الله، المعلمون

(١) الأداء البياني في لغة القرآن الكريم، د. صباح عباس عنوز: ١١-١٢.

(٢) المعجم الكبير: ٣/١٣٢، تفسير ابن كثير: ١/٩٦، مجمع الزوائد: ٧/١٦١.

كلام الله المقربون عند الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم قد عادى الله)[١].

وتدل الروايات على عظم منزلة حاملي القرآن، وهم الذين انصاعوا لأوامره وتدبروا في معانيه فكان القرآن دستورهم في حياتهم، فجعلهم الله عرفاء أهل الجنة والعريف هو رئيس مجموعة من الناس وعريف القوم أي شاهد القوم وضمينهم[٢]، فأغدق الله عز وجل على حملة القرآن أن جعلهم عرفاء أهل الجنة وقد خصهم الله برحمته وكساهم من نوره عز وجل لتعليمهم كلام الله عز وجل فقربهم الله إليه، وقد يكون المعني به هم أهل البيت (عليهم السلام) خاصة حسب التفسير الموروث عنهم في تفسير: (وعلى الأعراف رجالٌ): هم الأئمة، فروي عن سعد بن طريف عن أبي جعفر في هذه الآية: قال عليه السلام: (يا سعد هم آل محمد عليهم السلام لايدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولايدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه)[٣]، وبدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم (من والاهم فقد وإلى الله) فهذا الكلام مخصوص بهم[٤]، وقد يكون المعني به علماء القرآن المخلصين لله عز وجل عامة.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٧٥/٦ ح٧٦٦٦.

(٢) ظ. المزهر، السيوطي: ١٦/١، جمهرة اللغة لابن دريد: ٤٢٩/١، مختار الصحاح للرازي: ٣٢٠/١.

(٣) تفسير العياشي: ٢٢/٢ ح٤٥، البرهان للبحراني: ٢٠/٢، تفسير الصافي: ٥٧٩/١ وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي عن الصادق عليه السلام: ١٨١ والآية في سورة الأعراف/ ٤٨.

(٤) تذكرة الخواص لابن الجوزي وغيره حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه: ٢٥٦/١، ٢٦١، ٢٦٥.

المبحث الثاني

أسباب النزول

يتميز القرآن الكريم بآفاقه اللامتناهية، كما عبر عن ذلك خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: (ظاهره أنيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم، لاتحصى عجائبه ولاتبلى غرائبه)[1]، ويقول الإمام علي عليه السلام: (وسراجاً لايخبو توقده وبحراً لايدرك قعره... وبحراً لايترفه المسترفون وعيون لاينضبها الماتحون ومناهل لايغيضها الواردون)[2].

فالقرآن الكريم مرجع الأجيال وملجأ البشرية في كل زمان وهو معجزة كل العصور فكلامه سبحانه أزلي خالد (بوصفه معجزة عقلية ملائمة لكل زمان ومكان، ومراعية حال المخاطب في كل عصر فقد تميز بالتكثيف الدلالي والحضور البلاغي، والقصدية التي لاتنفصل عن السامع)[3]، لذا عني عناية خاصة في كل زمان منذ نزوله وإلى هذا اليوم، فالدراسات قائمة في البحث

(١) الكافي للشيخ الكليني (رض): ٢/٢٣٨، تفسير العياشي، ٣/١، بحار الأنوار: ١٣٣/٧٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

(٣) الأداء البياني في لغة القرآن بين النظرية والتطبيق، د.صباح عنوز: ٩.

والتعقيب عن مكنوناته ومعارفه ومن هذه العلوم علم أسباب النزول.

وقيل إنَّ أول من كتب فيه علي بن المديني شيخ البخاري ثم جاءت بعد ذلك المؤلفات[١]، ولكن عند الرجوع إلى مرويات أهل البيت (عليهم السلام) والتي كانوا فيها حريصين كل الحرص على إرشاد أتباعهم أو غيرهم إلى معرفة أسباب النزول تتجلى بوضوح حقيقة أنَّ أول من كتب أسباب النزول ودرسها هم تلاميذ الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وعلماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)[٢] وتقسم آيات القرآن من حيث أسباب النزول على مجموعتين:

الأولى: الآيات التي نزلت من غير سبب خاص، وغاية نزولها لإرشاد وهداية عامة الناس وتندرج هذه المجموعة بالأسباب العامة للنزول.

الثانية: الآيات التي نزلت لسبب خاص، فالقرآن الكريم نزل نجوماً عبر ثلاثة وعشرين عاماً إجابة لسؤال أو تنديداً لحادثة أو تمجيداً لعمل جماعة إلى غير ذلك من الأسباب فالوقوف على تلك الأسباب له دور مهم في فهم الآية بحدها ورفع الإبهام عنها[٣].

وقد أكد أهمية معرفة أسباب النزول كثير من علماء المسلمين واتفقت كلمتهم بوصفها كقرينة دالة على بيان المعنى المراد من الآية الكريمة يقول الزركشي: (إنَّ معرفة أسباب النزول توجب الوقوف على المعنى ونقل عن القشيري، أنّه قال: بيان سبب نزول الآية طريق قوي في فهم الكتاب

---

(١) ظ: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١/ ٩٨ النوع٩، مناهل العرفان، الزرقاني: ١/ ٧٢.

(٢) ظ: الشيعة وفنون الإسلام، السيد حسن الصدر (قده): ٦٣ ومابعدها.

(٣) مناهل العرفان: ١/ ٧٢، علوم القرآن، حسين جوان آراسته: ٨٣-٨٤.

العزيز)[١].

ويرى السيد الطباطبائي (قدس): (أنَّ الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة لاتحتاج كثيراً أو لاتحتاج أبداً إلى أسباب النزول)[٢]، لكنه (قدس) لاينكر أنَّ العلم بسبب النزول يساعد شيئاً في معرفة مورد نزول الآية ومافيها من المعاني فيصرح قائلاً: (إن معرفة هذه الأسباب يساعد إلى حد كبير في معرفة الآيات المباركة ومافيها من الأسرار أو المعاني)[٣].

ولأسباب النزول فوائد أخرى مهمة:

١ - حصول العلم بالحكمة الباعثة على التشريع (فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[٤].

٢ - الوقوف على أن أحكام الله إنما وضعت رعاية للمصالح العامة.

٣ - معرفة منازل الصالحين والمؤمنين ومناقبهم وفضائلهم أو معرفة أفعال المنافقين المنكرة وصفاتهم في القرآن الكريم عن طريق أسباب النزول، وقد أكد الإمام علي عليه السلام على ماروي عنه عليه السلام في أسباب النزول: (مانزلت في القرآن آية إلا وقد علمت أين نزلت وفيمن نزلت وفي أي شيء نزلت وفي سهل نزلت أم في جبل)[٥]، فلو لم يكن لهذا العلم أثر مهم لكان

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٢/١.

(٢) القرآن في الإسلام: ١١٨، تفسير الميزان: ٣٣٩/٥ رأي آخر وينظر: علوم القرآن عند السيد الطباطبائي (قدس) السيد ليث عباس الموسوي: ١٦٤.

(٣) القرآن في الإسلام: ١٢٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٣٨/١.

(٥) بحار الأنوار: ٧٩/٩٢، ٨٧.

كلام المولى عليه السلام لغواً وحاشاه من ذلك.

٤ - رفع الإشكال أو الغموض أو التضاد، فالإحاطة بمعاني الألفاظ والجمل لايكفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، إذ أثبت الرمي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي الوقت نفسه ينفي عنه وهما متضادان، ولايمكن الإحاطة بالأدب العربي ومعاني المفردات في قوله سبحانه وتعالى: (شهد الله أنّه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم)[2]، حيث اتحد الشاهد والمشهود ومع ذلك كيف يشهد على وحدانيته وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[3]، فإنّ اللفظ يقتضي جواز الصلاة دون استقبال القبلة في كل حال[4].

ففي هذه الآيات لامحيص للمفسر من أن يرجع إلى أحد الثقلين الذين أمر الله التمسك بهما والأخذ عنهما القرآن والعترة أي بما أثر عن أهل البيت عليهم السلام، لقد خاطب الإمام الحسين عليه السلام الأصبغ بن نباتة: (نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان مافيه وليس لأحد من خلقه ماعندنا)[5]، فإن لم نفعل ذلك تبقى الآية على إجمالها والمرور عليها والعياذ بالله لقلقة لسان،

---

(١) الأنفال/١٧.

(٢) آل عمران/ ١٨.

(٣) البقرة/١١٥.

(٤) ظ: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني: ٤٠، علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم (قدس): ٣٩ وينظر: المدرسة القرآنية السيد محمد باقر الصدر (قدس): ٢٢٩، علوم القرآن، آراسته: ٨٤.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/١٨١.

إضافة إلى تضييع الحقوق الشرعية والتشريعية التي جاء بها الشارع المقدس.

وقد ذكر العلماء وأهل الاختصاص مجموعة من القواعد الفرعية المرتبطة بأسباب النزول مثل (قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) و(تحديد الحكم) و(جواز حصر المصداق) و(تقدم المناسبة على سبب النزول) و(الجمع بين الأسباب المتعددة لو أمكن)[١].

وفيما يأتي نماذج من الروايات التفسيرية المأثورة عن السبط الشهيد عليه السلام في بيان أسباب النزول وقد تكون مروية عن الأئمة المعصومين إذ رواها الإمام عن أبيه أو جده النبي الأعظم (صلوات الله عليهم) أو من عنده عليه السلام. ونجد هذه الروايات مروية أكثر من طريق وفي كتب المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٢] روى زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام عن جده الحسين عليه السلام قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ قال أبي عليه السلام: كان عليها أصنام فتحرج المسلمون من الطواف بينهما لأجل الأصنام، فأنزل الله عز وجل لئلا يكون عليهم حرج في الطواف من أجل الأصنام)[٣].

(١) ظ: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: محمد فاكر الميبدي: ٣٨٤-٣٩٠، حول القرآن، الشيخ محمد علي التسخيري: ٤٤-٤٧.

(٢) البقرة/١٥٨.

(٣) مسند زيد بن علي (عليهما السلام): ٢٢٩، وينظر: تفسير القمي: ٣١، ورواها العياشي عن الصادقين الباقر والصادق عليهما السلام باللفظ نفسه وبألفاظ أخرى، ظ: تفسير العياشي: ١/٨٩.

كشف عليه السلام الإشكال الواقع من تحرج المسلمين من عدم الطواف والسعي بين الصفا والمروة وهذه الآية الكريمة نزلت في السنة السابعة من الهجرة بعد عقد صلح الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل مكة، ورواها المفسرون بالإجماع بنفس المعنى مع تعدد الطرق[١].

٢- قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾[٢].

روى الحسكاني بإسناده عن أبان بن تغلب[٣] عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه الحسين ابن علي عليه السلام أنه قال: (قال أبي عليه السلام: لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ دعا رسول الله فاطمة (عليها السلام) فأعطاها فدكاً)[٤]، ورواها بسبعة طرق أخرى بالمتن نفسه.

تحليل النص الشريف:

قضية فدك وهبتها إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأمر من الباري عز وجل من القضايا المشهورة في كتب التراجم والتفسير والتاريخ على السواء،

(١) ظ: الدر المنثور: ١/١٩٥، تاريخ الإسلام، الذهبي: ٧/٧٠٢، أصول السرخي: ١/٧٠٠، نقض فتاوى الوهابية، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قده): ٣٥.

(٢) الإسراء/ ٢٦.

(٣) أبان بن تغلب: روى الكشي عن جميل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ذكرنا أبان بن تغلب عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: (رحمه الله أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان)، ظ: رجال الكشي: ٢٨٠ تسلسل ١٥٦ وهذا نص من معصوم يدل على جلالة قدره وعظم منزلته.

(٤) شواهد التنزيل: ١/٣٤١ ح٤٧٣ و١/٢٣١-٣٤١.

إذ لاينكرها أحد فقد نزلت هذه الآية الكريمة بعد أن فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيبر وعلى يد الإمام علي عليه السلام واستسلمت القرى المجاورة لها ومنها فدك، فنزل جبرائيل عليه السلام بالآية الكريمة أعلاه، فدفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدكاً والعوالي إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام) امتثالاً لأمر الله عز وجل فهي هبة السماء إلى فاطمة (عليها السلام) ولم ينزل نص من السماء أو الأرض يأمر باستردادها، ومن المعلوم في الفقه الإسلامي أنَّ الهبة من الإنسان إلى الإنسان لاتسترد بعد القبض إلا بشروط، وليس هناك من شروط في هبة فدك، فبقيت فدك مع الزهراء (عليها السلام) حتى وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ثم اغتصبت من قبل القوم مما أغضب الزهراء (عليها السلام)[١]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها)[٢]، ويقول الإمام علي عليه السلام (بلى كانت فدك في أيدينا من كل ما أظلته السماء فشحَّت عليها نفوس قوم وسخَت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله)[٣].

---

(١) ظ: المنتظم لابن الجوزي حوادث سنة ١١هـ: ٣٥/٤، كتاب الخراج لأبي يوسف: ٢٤، كتاب الأموال لأبي عبيد: ٣٣٢، تفسير الطبري: ٦/١٠، أحكام القرآن، الجصاص: ٦٢/٣، سنن البيهقي: ٣٤٢/٦، وفاء الوفاء: ٩٩٩/٣، معالم المدرستين للسيد العسكري (قدس): ١٤ وحدود فدك بنظر الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، كشف الغطاء (ط.ق)، الشيخ جعفر كاشف الغطاء رضي الله عنه: ١٧/١، وينظر الوثائق الرسمية والمصور من مئات الكتب التراثية عند الفريقين بشأن فدك في كتاب نهاية التحقيق للسيد محمد الخرسان (دام ظله): ٩٩.

(٢) صحيح البخاري: ٢٦/٥، ٤٧/٧، صحيح مسلم: ١٩٢/٤، قال ابن الأثير، البضعة: القطعة من اللحم وقد تكسر، أي أنها جزء مني كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم، النهاية في غريب الحديث: ١٣٣/١.

(٣) شرح نهج البلاغة، محمد عبدة: ٧٩/٢ رقم٤٥ وفي شرح د. صبحي الصالح: ٤١٧، وفي ←

٣-قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[(١)].

(ثلاث روايات في تفسير الآية) روى البلاذري والحسكاني بإسنادهما عن أم بكر بنت المسور عن أبيها عن الحسين بن علي عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾: (إنَّ القرابة التي أمر الله بصلتها وعظم حقها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت (عليهم السلام) الذي أوجب حقنا على كل مسلم)[(٢)].

وروى البحراني والمجلسي والإسترآبادي بإسنادهم عن عبد الملك بن عمير عن الإمام الحسين عليه السلام قال... عليه السلام[(٣)].

وروى فرات الكوفي بإسناده عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين عليه السلام: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث وأحتج به على الناس، قالت: نعم، أخبرني أبي [الحسين بن علي عليهما السلام]: (أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان نازلاً بالمدينة وأنَّ من أتاه من المهاجرين حرصوا أن يفرضوا لرسول الله فريضة يستعين بها على من أتاه فأتوا رسول الله وقالوا: قد رأينا ماينوبك من النوائب وإنا أتيناك لتفرض من أموالنا فريضة تستعين بها على من أتاك، فأطرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر بشيء وإن أمرت به أعلمتكم قال فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: يامحمد إن

شرح ابي الحديد: ١٦/٢٠٨، تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبي: ٣٤٣.

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٢/٧٥٤، شواهد التنزيل ٢/١٤٣.

(٣) البرهان: ٤/١٢٤ ح١٢، بحار الأنوار: ٢٣/٢٥١، ح٢٧، تأويل الآيات الظاهرة: ٥٣١، كنز الدقائق، المشهداني: ٩/٢٦٢.

ربك قد سمع مقالة قومك وماعرضوا عليك وقد أنزل الله عليهم فريضة: { قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى } قال: فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن تذل له الأشياء، وتخضع له الرقاب، مادامت السموات والأرض لبني عبد المطلب، قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن مالهن من تأويل؟ فقال الله ورسوله أعلم! ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويل لقريش من تأويلهن ثلاث مرات ثم قال: ياعلي انطلق فأخبرهم: أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء ثم أنا وأنت مولى المؤمنين وأنا وأنت أبوا المؤمنين ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس إنّ علياً أولكم إيمانا بالله وأقومكم بأمر الله وأوفاكم بعهد الله وأعلمكم بالقضية وأقومكم بالسوية وأرحمكم بالرعية وأفضلكم عند الله مزية..)[1].

قال البخاري: قال سعيد بن جبير رضي الله عنه في (إلا المودة في القربى): قربى آل محمد[2].

وقد احتج الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام بتلك الآية الكريمة عندما جيءَ به أسيراً مع سبايا آل محمد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فقام رجل من الشام فقال: (الحمد لله الذي قتلكم

---

(١)تفسير فرات الكوفي: ٣٩٣، ورواه الحويزي عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن الإمام الحسين (عليه السلام) نور الثقلين: ٨/٧.

(٢) ظ: صحيح البخاري: ٢/٥٠٣ ح٤٨١٨.

واستأصلكم وقطع قرن الفتنة!! فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم، قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال عليه السلام: أما قرأت {قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى} ؟ قال: وإنكم لا أنتم هم؟ قال: نعم..)[١].

لقد أثبت الباري عز وجل في هذه الآية الكريمة فريضة بعد أن جاء بأقوى أدوات الحصر وأنَّ الأجر العظيم هو مودة أهل البيت (عليهم السلام) وعدم التفريط بهم، لكن الأشرار وبكل أسف طاردوهم وشردوهم في الأرض وقتلوهم تحت كل حجر ومدر.

روى الحسكاني وابن عساكر بإسنادهم عن أبي أمامة الباهلي[٢]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه في

---

(١) ظ: تفسير الطبري: ٢٥/٢٥، غاية المرام: ٣٠٦، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٠١ وينظر في أسد الغابة: ٣٦٧/٥: وقد قام يزيد عليه اللعنة بعد إطلاع الرجل الشامي أنَّ هؤلاء ليسوا بخوارج، إنما هم أهل بيت الرحمة (عليهم السلام) بقتل ذاك الرجل.

(٢) أبو أمامة الباهلي: من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل إنه آخر من توفي من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ظ: الاستيعاب: ٧٣٦/٢، التمهيد لابن عبد البر: ٢٣١/١، تهذيب المقال: السيد محمد علي الابطحي: ٩٥/٥، طرائق المقال: السيد علي البروجردي.

النار ثم قرأ {قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى}[١].

وروى ابن حنبل والحسكاني وابن حجر والمتقي الهندي باسنادهم جميعاً عن زاذان[٢] عن الإمام علي عليه السلام قال: (فينا في (آل حم) آية لايحفظ مودتنا إلا كل مؤمن، ثم قرأ {قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى}[٣]. وإلى هذا أشار الكميت الأسدي في قوله:

وجدنا لكم في (آل حم) تأولها منا تقي ومعرب[٤]

نستنتج من الأحاديث السابقة في تفسير الآية الكريمة: أنَّ شرط القرب إلى الله والمحبة والتودد هو مودة أهل البيت (عليهم السلام) وهذه المودة لاتتحقق إلا باتباعهم والسير على منهجهم وفكرهم لأن شروط محبة الله اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مؤكد بالقرآن الكريم، قال تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[٥]، وشروط اتباع

---

(١) ظ: شواهد التنزيل: ١٤١/٢، تاريخ ابن عساكر: ٤٣/٣٧، مجمع البيان: ٢٩/٩ بحذف السند عن السيد أبي الحمد عن الحسكاني وفيها (ثم تلا).

(٢) زاذان: يكنى أبا عمرة الفارسي من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وخواصه، ظ: رجال الطوسي: ٦٤ خلاصة الأقوال: ٤٦٧، معجم رجال الحديث: ٢٢٠/٨ رقم ٤٦٤٩ وذكر له ثلاث كنى، روى المقريزي له أحاديث عظيمة الشأن في سلمان وأبي ذر (رض) الإكمال في أسماء الرجال: ٦٠، قال غلام رضا عرفانيان: ثقة ثقة،مشايخ الثقات: ١٣٢، قال ابن سعد: سألت عن زاذان، قال: أكثرو الحديث عنه، ثم قال توفي بالكوفة بعد الجماجم وكان ثقة قليل الحديث، الطبقات: ٨٦/٤، ١٧٨/٦، تذكرة الحفاظ: ٩٦١/٣، سيرة أعلام النبلاء: ١٩٥/٣.

(٣) فضائل أهل البيت (فضائل الخمسة): ١٧٩، شواهد التنزيل: ١٤٣/٢، الصواعق المحرقة: ١٠١، كنز العمال: ٢٠٨/١.

(٤) ديوان الكميت الأسدي: ٨٥.

(٥) آل عمران: ٣١.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو مودة أهل البيت (عليهم السلام) وهذا وغيره بيان وجه العلة من كونهم على لسان الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم (سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وكباب حطة بني إسرائيل من دخله كان آمناً)[١]، فأصبح لزاماً اتباعهم وإلا غرق في بحر الضلالة، يقول المناوي: (وجه التشبيه أنّ النجاة تثبت لأهل السفينة.. فأثبت المصطفى لأمته التمسك بأهل بيته النجاة وجعلهم وصلة إليه.. والأخذ بهدى علمائهم فمن أخذ بذلك نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر الكفر وهلك في معادن الطغيان)[٢].

٥- قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٣]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤].

روى القندوزي بإسناد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي كل يوم باب فاطمة (عليها السلام) عند صلاة الفجر فيقول: الصلاة ياأهل بيت النبوة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ تسعة أشهر بعدما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، روى هذا

---

(١) الجامع الصغير، للسيوطي: ١/٣٧٤ ح: ٢٤٤٢، المستدرك على الصحيحين، النيسابوري: ٢/٣٤٣، المعجم الأوسط للطبراني: ٥/٣٥٥، الغدير للشيخ الأميني رضي الله عنه ٢/٣٠١.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٥/٦٦٠.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

الخبر عن ثلاثمائة من الصحابة(١).

روى ابن أعثم الكوفي والطبري وابن قتيبة: أنَّهُ طلب مروان من الحسين عليه السلام أن يبايع يزيداً وقد ألح عليه، فقال عليه السلام: (إليك عني ياعدو الله فإنا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحق فينا وبالحق تنطلق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء فإذا رأيتم معاوية على منبري فأفقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبرجدي فلم يفعلوا ما أمروا به قاتلهم الله بابنه يزيد!- ولقد تحقق ذلك يوم الحرة، زاده الله في النار عذاباً- قال: فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين عليه السلام ثم قال: والله لاتفارقني أو تبايعني ليزيد بن معاوية صاغراً فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاماً واشربتم بغض آل أبي سفيان وحق عليكم أن تبغضوهم وحق عليهم أن يبغضوكم، قال: فقال له الحسين عليه السلام ويلك يامروان!! إليك عني فإنّك رجس وانا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} قال: فنكس مروان رأسه لاينطق بشيء، فقال له الحسين عليه السلام: أبشر يابن الزرقاء بكل ماتكره من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم يقدم على ربك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد)(٢).

تحليل النص: أكَّد عليه السلام في بيان سبب نزولها-الآية- أنَّها نزلت

---

(١) ظ: ينابيع المودة: ٢٠٤.

(٢) ظ: تاريخ ابن أعثم: ١٧/٥، تاريخ الطبري: ٥/ ٣٤١، الإمامة والسياسة: ٢٢٦/١ افقروا بطنه: شقوا بطنه.

بحقهم وفيهم، وبين صفات أهل الطهارة وصفات غيرهم من أعدائهم، تقول أم سلمه رضي الله عنها: (نزلت هذه الآية: (إنما يريد الله) في بيتي وفي البيت سبعة: جبرائيل وميكائيل ورسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) قالت: وأنا على باب البيت، فقلت: يارسول الله ألست من أهل بيتك؟! قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّك على خير إنَّك من أزواج النبي وماقال إنَّك من أهل البيت)[١]، وكلام أم سلمه رضي الله عنها ردٌ على من ادعى أنَّ نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل البيت (عليهم السلام) لأنَّ بعض نساء النبي قد خاصمت النبي وتظاهرت عليه وبعضهن قد حاربت إمام زمانها وقادت الجيوش ضد من كان نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهناك مايؤكد ذلك بدليل آية المباهلة وغيرها وقد أمر الله تعالى نساء النبي بالبقاء في بيوتهن وعدم الخروج منها، قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ والقر من القرار والقرار السكون، وعدم الخروج[٢].

تقول أم سلمه رضي الله عنها وهي تتحدث عن المباهلة: (فجعل الحسين عليه السلام إلى جنبه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنَّه حميد مجيد) وكان موعد المباهلة[٣].

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ١٢٠/٧ هكذا ضبطت الحديث، روى عنها الحسين (عليه السلام) أنها نزلت في بيت أم سلمه وفسر الآية وحديث الكساء: البرهان: ٣١٢/٣ و١٤.

(٢) ظ: كتاب العين، الفراهيدي: ٢٠٨/٥، الفروق اللغوية لأبي هلال: ٢٨١، كشف القناع، البهوتي: ٣٢٨/٦، كشف الغطاء: ١٩ وينظر: المراجعات، شرف الدين الموسوي: ٣٤٤ وينظر: أحكام النساء، الشيخ المفيد رضي الله عنه: ٥٦، معالم المدرستين السيد العسكري (قدس): ٨٣/٢ والآية في سورة الأحزاب/٣٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ١٢٣/٧ والآية في سورة هود/٧٣.

وقد سلك الإمام علي الرضا عليه السلام مسلكاً آخر في بيان معنى أهل البيت (عليهم السلام) عن طريق التفسير البياني في الصفات الموجودة في أهل البيت (عليهم السلام) وفي غيره، وهذه المحاولات لم تقف عند زمن معين في محاولة اعتبار نساء النبي بل حتى غيرهم أنَّهم من أهل البيت (عليهم السلام)، جمع المأمون العباسي العلماء من الحجاز وخراسان والعراق من أهل التفسير والحديث والكلام في مجلس واحد وكان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام جالساً فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ماذا تقول ياأبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة، فقال المأمون وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الإمام عليه السلام: لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة!! فسألته العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام هم الآل فقال العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤثر عنه أنه قال: (أمتي آل) وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لايمكن دفعه (آل محمد أمته) فقال الإمام الرضا عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد؟ قالوا: نعم، فقال عليه السلام: فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا، قال الإمام عليه السلام هذا فرق بين الآل والأمة![1].

---

(١) ظ: عيون أخبار الرضا: ١/٢١٠، تحف العقول: ٣١٨، الحديث مختصر، وينظر: الروايات التفسيرية للإمام الرضا (عليه السلام) دراسة موضوعية، الباحث، رسالة ماجستير، كلية الفقه- ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ، ص١٦٨ والآية: فاطر/٣٢.

٦- قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[١].

روى الشيخ الصدوق والمجلسي والحويزي بسند عن ياسر الخادم[٢]، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين ابن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: (ياعلي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى ياعلي أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين ياعلي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر)[٣].

ودلالة الرواية واضحة في بيان أسباب النزول، وقد روى الإمام الحسين عليه السلام الرواية عن جدّه مباشرة من دون واسطة في وصف أبيه وما نزل فيه، فكان أبوه عليه السلام المثل الأعلى للمصاديق الجليلة كالصراط المستقيم وأنَّهُ أعظم الصديقين من الأولين والآخرين، ولما كان كذلك نُصِّبَ من الله عز وجل أن يكون أميراً على المؤمنين ووصياً عليهم من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو النبأ الأكبر الذي كانوا ينتظرونه.

٧- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

---

(١) النبأ/ ١.

(٢) ياسر الخادم: خادم الإمام الرضا (عليه السلام) وهو مولى حمزة بن اليسع وهو من الثقاة، ظ: رجال النجاشي: ٣٢٣/١، معجم رجال الحديث: ٢٩/١.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١٦/٢ باب٣ ح١٣، بحار الأنوار: ١١١/٣٨، نور الثقلين: ٩٢/٨.

(٤) التحريم/٤.

روى الحسكاني بطرق عدة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام وعن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام وعن علي بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده الحسين بن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ذاك علي بن أبي طالب عليه السلام [1].

وروى الحسكاني أيضاً مسنداً عن ابن عباس وعمار بن ياسر وحذيفة وعن أسماء بنت عميس أنها نزلت بحق علي عليه السلام [2].

ولايشك مسلم أنَّ الإمام علياً عليه السلام رمز للمؤمنين الصالحين وسيرته خير دليل على ذلك.

٨- قال تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً﴾ [3]. ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ [4].

أخرج الحويزي في حديث طويل في كلام بين الإمام الحسين عليه السلام والوليد بن عقبة، فقال عليه السلام: (وأما أنت ياوليد بن عقبة فوالله! ماألومنك أن تبغض علياً عليه السلام وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبه، فقد سماه الله مؤمناً في عشر

(١) شواهد التنزيل: ٢/٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٥٤-٢٦٤ وينظر أيضاً: الدر المنثور: ١٠/٥٧، الكشف والبيان للثعلبي: ١٣/٣٠٦ وصف إسناده بالثقة، تفسير ابن كثير: ٨/١٦٤ عن سعيد بن جبير وغيره.

(٣) السجدة/ ٣٢.

(٤) الحجرات/ ٦.

آيات من القرآن وسماك فاسقاً وهو قوله ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١).

وروى البلاذري والحسكاني بأسانيد عدة، أنَّ الوليد قال لعلي عليه السلام (أنا أحد منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال له علي عليه السلام: أسكت يافاسق فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ ﴾ (٢).

ورواه ابن عساكر بأسانيد عدة: يعني بالمؤمن علياً والوليد الفاسق وقيل إنَّها نزلت في أبيه (عقبة) (٣). وروي هذا الخبر بأسانيد عدة عن أئمة الهدى (عليهم السلام) (٤).

ونكتفي بهذا القدر من النماذج الروائية ويمكن أن نقول إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد استوعب كل معاني بيان أسباب النزول من تاريخ حادثة، أو بيان وصف، أو رفع إشكال، باعتماده على القرائن في إلقاء كلامه لتكون واضحة سهلة للمتلقي والسامع والراوي، ولاغرو في ذلك فهو من بيت زق العلم زقاً ومن عنده علم الكتاب.

---

(١) سورة الحجرات: ٦. ظ: نور الثقلين: ٨٩/٥ ح١١، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) الشيخ الشريفي: ٦٧٨، وروي أيضاً نظير لهذا الحديث عن الإمام الحسن (عليه السلام) في الاحتجاج: ٢٧٦/١، نور الثقلين: ٢٤٨/٤ ح٤١.

(٢) انساب الأشراف: ٢٠٠/١ ح١٥٠ شواهد التنزيل: ٤٤٧/١-٤٥٠.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ١٩٩/٦٠ وفي أجزاء أخرى أيضاً.

(٤) ظ: تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٤٨٣، تفسير البرهان للبحراني: ٢٠٥/١، ح٢، تفسير الصافي للمولى الفيض الكاشاني: ٥٥٠/٥، تأويل الآيات الظاهرة، الإسترآبادي: ٤٤٢/٢-٤٤٣، من ح٣ ومابعدها.

المبحث الثالث

التأويل ومنهج الإمام الحسين عليه السلام التفسيري

أولاً: التأويل

القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول للأمة المحمدية وتتوقف سعادتها على معرفتها بفقهه ومعناه ومعرفة أسراره والعمل بما فيه ولايستوي البشر جميعاً في فهم ألفاظه وعباراته مع وضوح بيانه وتفصيل آياته فتفاوت الإدراك فيما بينهم أمرٌ لامراء فيه ولاشك بل لايدعو إلى الغرابة، فالبسيط من الناس يدرك من معاني القرآن ظاهرها ومن الآيات مجملها أما الفطن اللبيب والمتعلم الذكي يستخرج منها المعنى الرائع، وبين هذا وذاك مراتب فهم شتى، فضلاً عن ذلك فإن التأويل (من نعم الله سبحانه على العقل العربي، لأنّ التأويل يساعد العقل على تخطي خطوط المعنى ودوائره، وهذه العملية بحد ذاتها هي عملية تفعيل للعقل الإسلامي)[1].

(١) الأداء البياني بين التأويل وتفسير النص القرآني، د. صباح عنوز: ١٣-١٤.

فلا غرو أن يجد القرآن من أبناء أمته يهتمون به اهتماماً بالغاً في الدراسة لتفسير غريب أو تأويل مركب، ولاغرو أن نجد أهل القرآن (أهل الذكر)[(١)] الذين أمر الله بالرجوع إليهم، حيث قال تعالى: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]، لفهم معاني ومقاصد القرآن، اهتمامهم البالغ والحرص الشديد على فهم معاني ومقاصد القرآن فهماً سليماً بعيداً عن التكلف أو الشطط فيه ومن ثَمَّ الانحراف والغاية هي: توحيد الله بما أراد الله وصيانة الأمة من الانحراف.

القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهة غير واضحة المراد في بدء النظر، وربما يكون المتبادر منها في بدء الأمر غير ما أراد الله سبحانه وإنَّما يعلم المراد بإرجاعها إلى المحكمات حتى تفسر بها، غير أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون الظهور البدائي للآية لإيجاد الفتنة وتشويش الأذهان، ثم يجعلونه تأويلاً، وأما الراسخون في العلم فيتبعون مراده بعدما يظهر لهم من سائر الآيات المحكمة والتي هي أم الكتاب، ومما اكتسبوه وأخذوه كابراً عن كابر، فلاغنى للباحث عن الحقيقة من الرجوع إلى فكر أهل البيت (عليهم السلام) لبيان تأويل المتشابه وكشف مراد الله تعالى ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[(٣)]، قال ابن

(١) أثر عن أهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم أنَّ المقصود بـ: أهل الذكر هم: أهل البيت علي وبنوه عليهم السلام، ظ: تفسير العياشي: ٢/٢٨١، الكافي، الكليني: ١/٨١١ بصائر الدرجات: ٤٢، روح المعاني، الآلوسي: ١٤/١٤٧، جامع البيان، الطبري: ١٧/٥، تفسير ابن كثير: ٢/٨٨٥، الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/٢٣٣.

(٢) النحل/ ٤٣.

(٣) التوبة: ١٦٩.

الجوزي: كونوا مع علي وأهل بيته (عليهم السلام)[1]، وقد عرفنا أنَّ التأويل غير التفسير عند الإمام الحسين عليه السلام كما مر في المبحث الأول.

وللباحثين تعريفات عديدة للتأويل فقيل: إنه مأخوذ من الأول، أي الرجوع إلى الأصل[2]، وقيل: إنَّه مأخوذ من الإيالة، أي السياسة، قال الزمخشري: أول آل الرعية يؤولها إيالة حسنة وهو حسن الإيالة، وهو مؤتال لقومه: مؤتال عليهم، أي: سائس محتكم وأول القرآن وتأوله[3]، ويمكن التوفيق بين المعنيين بأنّ كلاً منهما لازم للآخر، كما يدرك من كلام الراغب والأول: السياسة التي تراعي مآلها.

ويمكن أن ندرك المعنى اللغوي والاصطلاحي من خلال البحث في معاني التأويل في القرآن، وقد وردت لفظة (التأويل) في سبعة عشر موضعاً في الكتاب الكريم[4].

المعنى الأول: مآل الأمر وعاقبته، وهو في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ إن

(١) تذكرة الخواص: ١/١٨٢، وينظر الروايات التفسيرية للإمام الرضا (عليه السلام) الباحث، رسالة ماجستير روايات عديدة عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المعنى مع مصادر روائية أخر: ٨١-٨٢.

(٢) ظ: معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: مادة أول.

(٣) أساس البلاغة: مادة أول.

(٤) وهي في السور والآيات التالية (آل عمران/٧) و(النساء/٥٩) و(الأعراف/٥٣) و(يونس/٣٩) و(يوسف/٢١، ٢٣، ٣٧، ٤٤، ١٠٠، ١٠٢) و(الإسراء/٤٦) و(الكهف/٧٨، ٨٤) وينظر: قواعد التفسير، المبيدي: ٢١.

المراد بالتأويل هاهنا هو: مآل الأمر وعاقبته، ومعناه: أعود نفعاً وأحسن عاقبة[(١)].

الثاني: حقيقة الأمر، وهو في قوله سبحانه ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ إذ إنَّ المراد بالتأويل هاهنا هو: حقيقة الأمر التي كانت هي الباعثة على سوق بيان القرآن وتشريع أحكامه والإنذار والتبشير[(٢)].

المعنى الثالث: توجيه العمل بالمتشابه، ومنه تأويل أعمال صاحب موسى عليه السلام: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾[(٣)]. فالإنباء بالتأويل هنا إخبار وإنباء عن السر المكنون وراء أعماله التي كان ظاهرها نكرة كخرق السفينة وقتل النفس وكذا بناء الجدار بلا أجرة، فأنبأ موسى ووجهه بأنها كذا وكذا.

الرابع: إرجاع القول المتشابه وهو في قوله عز وجل: ﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾[(٤)].

تأويل المتشابه هنا: هو المرجع الذي يرجع إليه كون الآية يصعب

---

(١) ظ: حقائق التأويل، الشريف الرضي (قده) ١٥٠، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤٦٠/٦، نظم الدرر، البقاعي: ٢٢٣/٢، الكشاف، الزمخشري: ٤٢٤/١، جامع الأحكام للقرطبي: ٢٤٩/٥، أضواء البيان في تفسير القرآن، الشنقيطي: ٢١٤/١ والآية: النساء/٥٩.

(٢): مجمع البيان، الطبرسي: ٢١٨/٤، تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٨/٢، نظم الدرر: ٢١٠/٣، معاني القرآن للنحاس: ٣٥٥/١، أضواء البيان: ٢١٤/١، التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣١٦/٥ والآية: الأعراف/٥٣.

(٣) الكهف/ ٧٨.

(٤) آل عمران/٧.

فهمها بمجرد سماعها، بل يرد السامع بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى المحكم من الكتاب عندئذ يتعين معناها ويظهر بيانها[١].

الخامس: تعبير الرؤيا: وهو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[٢]، فعبر الله عز وجل عن تعبير الرؤيا بالتأويل، وبالتدقيق في تلك المعاني والتأمل فيها تجدها في معنيين رئيسين هما:

١ - التأويل البياني: بيان المرجع والموئل كما في تفسير ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ وكما في قصة صاحب موسى عليه السلام فإنه أشار إلى الإنباء عما سيقع لا عن أمور لم تتحقق وإلى هذا يرجع تأويل المتشابه قولاً[٣].

٢ - التأويل الموئلي، أي نفس مايؤول إليه الشيء: وهي الحقيقة الخارجية كقوله تعالت أسماؤه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ فإنّ إتيان التأويل لايكون من مقولة القول بل هو نفس الأمر الخارجي، وقوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[٤].

يقول د. صباح عنوز: إنَّ التأويل نتاج حركة دوائر المعنى الإيحائية وهو يصدر عن الأداء الوظيفي لمقومات الشكل والمضمون معاً، بما فيها بيان هذه

---

(١) ظ: تفسير الميزان: ٣/٢١و ٢٣، وينظر مجمع البيان: ٢/٢١١.

(٢) يوسف/١٠٠.

(٣) ظ: تفسير الميزان: ٣/٢١-٢٣، وينظر: أصول التفسير والتأويل، السيد كمال الحيدري: ٣١٧ وينظر: التفسير الكبير لابن تيمية: ٢/٨، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٨.

(٤)تفسير الميزان: ٢/٨، وينظر التفسير الكبير، الرازي: ١٩/١٣٨،أصول التفسير، السيد كمال الحيدري: ٣١٩،قواعد التفسير، المبيدي: ٢٤ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٢٩٧ والآية في سورة يوسف/١٠٠.

العناصر التي يقوم عليها النص كثيراً مايطوعها المؤول قاصداً الوصول إلى المعنى المنشود[١].

وفيما يلي نماذج من تعريفات العلماء للتأويل: الطبرسي: رد أحد المحتملين إلى مايطابق الظاهر[٢]، ولعل المراد بالرد هنا الإرجاع إلى المحكمات والتفسير بالآيات الآخرى.

السيد الطباطبائي: إنَّ التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل الألفاظ بل هو من الأمور الخارجية العينية[٣] وقال في موضع آخر: هي الحقيقة التي يتضمنها الشيء ويؤول إليها ويبتني عليها[٤].

السيد محمد باقر الحكيم (قده): ذهب إلى أنَّ التأويل من مقولة المصداق، حيث قال: (إنَّ المراد بالتأويل هو: تفسير معنى اللفظ، والبحث عن استيعاب مايؤول إليه المفهوم العام ويتجسد به من صورة المصداق)[٥].

السيوطي: إن التأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم[٦].

الآلوسي: إنَّ التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين[٧].

---

(١) الأداء البياني بين التأويل وتفسير النص القرآني: ٢٩.

(٢) مجمع البيان: ١٣/٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٢٧/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٤٨/١٣.

(٥) علوم القرآن: ٢٣١.

(٦) الإتقان في علوم القرآن: ٤٣٥/١، وذكر آراءً أخرى للقشيري والبغوي.

(٧) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ٢٧٨/٢.

محمود محمد ربيع: (علم إلاهي وإنَّه ليس علماً مكتسباً مثل علم الفقه وعلم التفسير... كما إنَّه ليس اجتهاداً شخصياً نتيجة لتأول أو دراسة أو تدريب)[١].

والحقيقة أنَّ ماقاله الآلوسي ومحمد ربيع يفترق عن الكل لكنه موجود بنفسه وبأعلى منه لدى مفسري الإمامية وعلمائهم، وهو ماقاله أئمة أهل البيت (عليهم السلام) العارفون ببطن القرآن.

روي عن بريد بن معاوية[٢]، قال: قلت للباقر عليه السلام قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، قال: يعني تأويل القرآن كله إلا الله والراسخون في العلم، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وماكان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه له، فقال الذين لايعلمون مانقول إذا لم نعلم تأويله؟ فأجابهم الله: (يقولون آمنا به كل من عند ربنا)[٣]، وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: (وما يعلم

---

(١) أسرار التأويل: ١٥.

(٢) بريد بن معاوية (الفضيل بن يسار) (أبو بصير) قال الكشي: اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأصحاب أبي عبد الله (عليهم السلام) وانقادوا لهم بالفقه فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة ومعروف بن خربوذ وبريد وأبو بصير الأسدي والفضيل ابن يسار ومحمد بن مسلم الطائفي، قالوا أفقه الستة زرارة رجال الكشي: ٢٠٦، قال الصادق عليه السلام أربعة أحب الناس إلي أحياءً وأمواتاً بريد العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم والأحول، رجال الكشي: ٢٠٨.

(٣) ظ: تفسير العياشي: ١/١٨٧ ح٦، تفسير الصافي: ١/٢٤٧، التفسير البرهان: ١/٢٧١، بحار الأنوار: ١٩/٢٧.

تأويله إلا الله والراسخون في العلم، نحن نعلمه)[١]، وعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (نحن الراسخون في العلم، فنحن نعلم تأويله)[٢]، ويمكن أن نستنتج من الروايات الشريفة وأقوال علماء الفريقين:

أولاً: إنَّ الراسخين في العلم الذين لهم قدم ثابتة في العلم والمعرفة، وطبيعي أن يكون معنى الكلمة شاملاً لجميع العلماء والمفكرين إلا أنَّ بعضاً من هؤلاء متميزون ومتفوقون على الجميع يقفون على رأس مصاديق الراسخين في العلم وعند استعمال هذه الكلمة الراسخين تنصرف الأذهان إليهم وهم النبي وأهل بيته (عليهم السلام).

ثانياً: إنَّنا لم نسمع أو نقرأ أنَّ أحداً من أهل البيت (عليهم السلام) أخذ العلم من غيرهم أو تتلمذ على يد أجنبي عنهم، فهم ملجأ العباد وعليهم المعول والمرجع ومن ثَمَّ ينحصر المعنى فيهم خاصة عليهم السلام، وفيما يلي نماذج روائية عن الإمام السبط عليه السلام.

١- قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣].

روى الحسكاني والطبري بإسنادهما عن عيسى بن عبد الله العلوي عن أبيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده الحسين بن علي عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أراد أن يجوز على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة بغير حساب فليتول وليي ووصيي وصاحبي وخليفتي على أهلي علي بن أبي طالب عليه السلام ومن أراد أن يلج النار فليترك

(١) تفسير العياشي: ١/١٨٧ ح٧ والمصادر نفسها والصفحات.

(٢) تفسير العياشي: ١/١٨٧ ح٨ والمصادر نفسها والصفحات.

(٣) الفاتحة/٥.

ولايته فوعزة ربي وجلاله إنَّه باب الله الذي لايؤتى الا منه وانه الصراط المستقيم وانَّه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة)[١].

وروى الحسكاني عن عبد الله بن عباس وعن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن أبي بريدة وعن حذيفة وغيرهم أنَّ: الصراط المستقيم هو علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وروي عن سلام بن المستنير الجعفي[٣] دخلت على أبي جعفر يعني الإمام الباقر عليه السلام فقلت: (جعلني الله فداك إني أكره أن أشق عليك فإن أذنت لي أن أسألك، فقال عليه السلام: سلني عما شئت فقلت: أسألك عن القرآن؟ قال: نعم قلت: قول الله تعالى في كتابه {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} قال عليه السلام صراط علي بن أبي طالب، قلت: صراط علي بن أبي طالب؟ فقال عليه السلام: صراط علي بن أبي طالب)[٤].

وهذا التفسير أُثر عن أهل البيت (عليهم السلام) في مروياتهم وأنَّ صراط علي بن أبي طالب هو صراط الأنبياء[٥]. لأنه صراط بحق، الصراط

---

(١) شواهد التنزيل: ١/٥٩ ح٩٠، بشارة المصطفى: ٤٠، وروى الكليني عن محمد بن الفضل عن أبي الحسن الثاني (عليه السلام) الكافي: ١/٢٢٤ ح٩١.

(٢) ظ: شواهد التنزيل: ١/٦٩ ح٩٢، وينظر من ح٨٦-١٠٥.

(٣) سلام بن المستنير الجعفي: عده الشيخ الطوسي من أصحاب الأئمة الثلاثة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، وقال كوفي ثقة رجال الشيخ: ١١٥ وينظر أيضاً: معجم رجال الحديث: ٩/١٨١ (ت٥٢٨٦) نقد الرجال: ٢/٣٤٤، جامع الرواة: ١/٣٧٠.

(٤) تفسير العياشي: ١/٣٨، البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/٤٢-٥٢، بحار الأنوار: ١٩-٥٩ والآية في سورة الحجر/٤١.

(٥) المصادر نفسها والصفات وينظر أيضاً مجمع البيان، الطبرسي: ١/٣١، وهذا التفسير مأثور عن ←

الذي أراده الله خالصاً نقياً سالكاً في البشر فهو بالضرورة صراط علي عليه السلام في معناه، وأشارت الرواية إلى معانٍ جليلة أخرى فالذي يريد الدخول في هذا الدين العظيم يلزم أن يدخل من باب الله وهو علي عليه السلام وقد أشار إلى هذا المعنى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث له تفسير الصراط قال (ضرب الله مثلاً مسقيماً) ويلزم أن يكون الصراط مثلاً يدركه جنس الإنسانية ولايكون إلا بشر يعرفونه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أيها الناس اسلكوا الصراط جميعاً ولاتعوجوا وداع يدعوا إلى الصراط)[٢]، وقد فسر الحاكم: الصراط بعدة تفسيرات منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الكتاب أو الإسلام[٣]، فإذا علمنا أنَّ الله سبحانه سيسأل الإنسان يوم الحساب حيث يقول عز وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾[٤]، مسؤولون عن ماذا؟ مسؤولون عن ولايته عليه السلام[٥].

الإمام الحسين (عليه السلام) عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان حاضراً في هذه المحاورة عمر بن الخطاب، ظ: المناقب للفضل بن شاذان: ١٣٥، المنقبة: ٨٥.

(١) الغدير: ١/٣٩٦ مستدرك الحاكم: ٣/ ١٢٦، على سبيل المثال لا الحصر.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٧/١٥٠ ح٢٩٧٧ رواه النوارس بن سمعان صاحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: هذا على شرط الصحيحين ولم يخرجاه.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٧/١٥٠ ح٢٩٧٨ ومابعده رواية عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله الانصاري وبتعليق الذهبي: ٢/٨٤ ح١٢٧ على شرط البخاري ومسلم.

(٤) الصافات/ ٢٤.

(٥) ظ: الغدير١/٣٨٨ عن الواحدي بعد ذكر حديث الغدير ورواه ابن شهر آشوب عن النبي الأعظم في المناقب: ١/٣٤٤ وينظر أيضاً: (وإنهم لايجوز الصراط حتى يسألوا): ظ: تحفة الأحوذي: ٩/٦٩، المواقف، الأيجي: ٣/٥٢٣، وقال الزرندي الحنفي: أي عن ولاية علي

كذلك إن المعنى اللغوي يوحي إلى المعنى السابق فالصراط في اللغة الجادة والمنهج[١]، والمستقيم والاستقامة هي كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع وفي اصطلاح أهل الحقيقة الوفاء بالعهود كلها[٢]، وندرك قول الرازي: إنَّ الأخذ بقول علي عليه السلام أولى لأنه بقي طول عمره هكذا[٣].

ونستنتج مما تقدم انطباق تأويل الروايات الشريفة والمعنى اللغوي على معنى واحد هو: إنَّ من اهتدى بهدي علي بن أبي طالب وسار على نهجه وفكره وطريقه، لأن طريقه طريق الأنبياء (عليهم السلام) نجا ومن تخلف عن هديه هوى وعد من المولجين في النار، ولامانع من التفسيرات الأخرى كالإسلام مثلاً فإنَّ علياً أرقى النماذج الإنسانية وأظهر المصاديق في الديانة الإسلامية بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.

٢-قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾[٤]

روى الصدوق والحسكاني والطبري وغيرهم عن الحسين بن خالد[٥] عن

(عليه السلام) والمعنى: إنَّهم يسألون هل والوه حق الموالاة كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم أضاعوها وأهملوها، نظم الدرر السمطين: ١٠٩.

(١) فقه اللغة: ٦٥/١.

(٢) التعريفات للجرجاني: ٦.

(٣) التفسير الكبير: ٢٠٦/١، قال الثعلبي في تفسير الصراط: صراط محمد وال محمد، الكشف والبيان: ٤٠/١.

(٤) آل عمران/١٠٣.

(٥) الحسين بن خالد: من أصحاب الإمامين موسى بن جعفر وولده الرضا عليهما السلام وهو من الثقاة، ظ: رجال النجاشي: ٣٣٧، رجال الطوسي: ٣٣٤، التحرير الطاووسي، الشيخ

الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً وليأتم بالهداة من ولده)[١].

يمكن أن نقول: إنَّ دلالة هذه الرواية تطابق دلالة الرواية سابقاً في تأويلها في موالاة الإمام علي عليه السلام والأئمة (عليهم السلام) لأنهم الحبل الذي يوصل إلى الله كذلك هم سفينة النجاة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها وأنَّهم أتَّم مصاديق نجاة الأمة.

٣- قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[٢].

روى الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام وقد سأله رجل عن معنى قول الله عز وجل: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} قال عليه السلام: أمره أن يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه[٣].

تحليل النص: الإمام عليه السلام يرى هذا الرجل وقد سأل عدداً من الصحابة فأجابه كلاً على قدر علمه فرأى الإمام عليه السلام أن يعلم

حسن صاحب المعالم: ١٥٠، قال السيد الخوئي (قدس) له كتاب في الأصول وهو كوفي مولى بني أسد: معجم رجال الحديث: ٦/١٩٨.

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/٨٩٢، أمالي الصدوق: ٢٦ مع اختلاف عن الحسين بن علي عن أبيه، شواهد التنزيل: ١/١٣١ وبإسناد آخر عن أبان بن تغلب بحار الأنوار: ٣٨/٩٧ و٧٣/١٤٤، نور الثقلين: ١/٧٦٣، تفسير كنز الدقائق: ١/٦١٣، ينابيع المودة: ٣/٣١٦، الإمام الحسين (عليه السلام) في أحاديث الفريقين: ٧/٣٣٨.

(٢) الإسراء/٧١.

(٣) ظ: تحف العقول: ١٧٦.

السائل أظهر مصاديق النعمة وأكملها بما قد يغفل عنه الإنسان ويتصور أنَّ النعم التي يجب التحدث بها هي النعم الدنيوية مع أنَّها ضئيلة في مقابل النعم الأخروية، وهذا التفسير هو مايسميه السيد الطباطبائي (قدس) بالجري والتطبيق، ولايراد به انحصار الآية في المصداق الخاص(١).

قال السبحاني: ربما تصور الجاهل بأنَّ هذا النوع من التفسير تفسير بالرأي أو تفسير بالباطن غافلاً عن أنّه تفسير بالمصداق والتطبيق لأن إعطاء الضابطة بالمثال أوقع في النفوس وأقرب إلى ترسيخها خصوصاً إذا كان المصداق مما يغفل عنه المخاطب(٢).

٤- قال تعالى: {هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}(٣).

روى الصدوق والبحراني بإسناد عن النضر بن مالك، قال: قلت للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ياأبا عبد الله حدثني عن قول الله عز وجل {هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} قال عليه السلام: (نحن وبنوا أمية اختصمنا في الله عز وجل قلنا صدق الله وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة)(٤).

وأخرج القرشي عن سعيد الهمداني أنَّه سأل الإمام الحسين عليه السلام عن بني أمية، فقال عليه السلام: (إنّا وهم الخصمان اللذان اختصما في ربهما)(٥).

(١) ظ: تفسير الميزان: ١/٤١، ١٢/٣٠٩.

(٢) العدل والإمامة: ٣٢٠.

(٣) الحج/١٩.

(٤) الخصال: ٤٢ ح٣٥ تفسير البرهان: ٣/٨٠، نور الثقلين ٣/٤٧٦ ح٢٨.

(٥) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢/٢٣٤، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى عن محمد ابن الحنفية رضي الله عنه الطبقات: ٥/٩٤.

تحليل النص: الخصومة التي يعنيها الإمام عليه السلام هي الخصومة في الدين حيث إنَّ بني أمية ساروا على منهج واحد إلى هذا اليوم، معاداة الله عز وجل ورسله وأوليائه الصالحين، بل معاداة الإنسانية بكل ماتحمل الكلمة فلذا يجب أن يكون خصمهم في المقابل الله عز وجل ورسله والصالحين من عباده فيكون أهل البيت (عليهم السلام) المصداق الأمثل لمن صدق بالله عز وجل وآمن به وبنو أمية المصداق الأمثل لمن كذَّبَ بالله عز وجل.

٥- قال تعالى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }(١).

روى الحسكاني وأخرج المرعشي عن عبد الله بن الحسن عليه السلام عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن أبيها قال: (نحن المستضعفون ونحن المقهورون ونحن عترة رسول الله فمن نصرنا فرسول الله نصر ومن خذلنا فرسول الله خذل ونحن وأعداؤنا نجتمع (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً)(٢).

ويمكن أن توؤل: بأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) مصداق من مصاديق المستضعفين لكنهم المصداق الأمثل لما لاقوه من الظلم على مر السنين والأيام والتاريخ والسيرة تشهد بذلك.

٦- قال تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ

---

(١) القصص/٥.

(٢) شواهد التنزيل: ١/٤٣٤، شرح إحقاق الحق: ١٤/٦٢٦، وينظر موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) الشريفي: ٦٩٨ والآية في سورة آل عمران/٣٠.

كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ}[١].

روى الحسكاني بإسناد عن عبد الله بن حزن، قال: سمعت الحسين بن علي عليهما السلام بمكة وذكر {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا...} ثم قال: نزلت فينا وفي بني أمية[٢].

ويمكن أن تؤول الآية على أنَّ بني أمية المصداق الأمثل للظالمين العتاة على مر الزمان كما أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) المصداق الأسمى للصالحين والمؤمنين وهذا مما لايحتاج إلى توثيق أو برهان.

٧- قال تعالى: {وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ}[٣].

روى الصدوق بإسناده عن أبي محمد الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي التميمي عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين ابن علي عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله عز وجل {وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ} قال صلى الله عليه وآله وسلم: (دعوت الله أن يجعلها أذنك ياعلي)، وهذا يدل على أنَّ الدعاء بعد النزول وأنَّ علياً عليه السلام مصداق هذه الأذن.

٨- قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحاها وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها}[٤].

روى فرات الكوفي والمجلسي عن محمد بن عمر الزهري عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الحارث بن عبد الله الأعور للحسين عليه السلام:

---

(١) محمد ١-٢.

(٢) ظ: شواهد التنزيل: ١٧٢/٢ ح٨٧٧.

(٣) ظ: عيون أخبار الرضا: ٦٢/٢، بحار الأنوار/٣٣/٣٥، شرح إحقاق الحق: ٧٣٣/١٤.

(٤) الشمس/ ١-٣.

يابن رسول الله جعلت فداك أخبرني عن قول الله في كتابه: (والشمس وضحاها) قال: ويحك ياحارث ذلك محمد رسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: قلت: جعلت فداك: قوله (والقمر إذا تلاها) قال ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يتلو محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال: قلت: (والنهار إذا جلاها) قال: ذلك القائم من آل محمد عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وزاد المجلسي (والليل إذا يغشاها) قال: بنو أمية[١]، ويمكن القول: إنَّ ذلك التأويل المصداق الأمثل في تلك الآيات الكريمة ونكتفي بهذا القدر من الروايات والتي أشارت بإسهاب واضح إلى الفكر الحسيني في تأويله للآيات الكريمة.

ثانياً: منهجه التفسيري

إنَّ علم التفسير هو من أجلِّ العلوم لكونه يبحث في كلام الله تعالى والغرض منه الوقوف على مراده سبحانه في المعارف والعلوم التربوية والأخلاقية وكذلك استنباط الأحكام الشرعية منه وهو أهمها لارتباطها بالتكليف الشرعي للإنسان.

وكذلك إنَّ الرأي الغالب بين علماء المسلمين أنّ القرآن غير غني عن التفسير، لتبين آية بأختها، أو تبينه بكلام من نزل على قلبه وهو النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالت أسماؤه: ﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، وعند التدبر في الآية الكريمة لم يقل (لتقرأ) بل قال

---

(١) تفسير فرات: ٢١٢، بحار الأنوار: ٧٩/٢٤ ح٢٠.

(٢) النحل/٤٤.

(لتبين) إشارة إلى أن القرآن يحتاج وراء قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبيين وهذا التبيين يأتي إما عن طريق العقل أو عن طريق النقل.

التفسير بالعقل: هو التفسير العقلي الذي يعتمد فيه علم الفهم العميق والإدراك المركز لمعاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنظم في سلكها تلك الألفاظ الكريمة وفهم دلالاتها فهماً عميقاً[(١)].

التفسير بالنقل: أي التفسير بالمأثور عن أقوال المعصومين (عليهم السلام) والصحابة والتابعين ومايستدل به من اللغة العربية وآدابها وهذا موروث من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[(٢)]، وروي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال: (من قرأ القرآن ولم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي)[(٣)]، وهذا يدل على أهمية التفسير ومن هنا يدرك قول الأصبهاني في التفسير بأنها: (أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان)[(٤)]، لذا فإنَّ الحاجة إلى التفسير اليوم أصبحت شديدة بعد أن فسدت سليقة العرب[(٥)].

وللباحثين في علوم القرآن وتفسيره تعريفات عديدة للتفسير وهي على ثلاثة مستويات تقريباً.

---

(١) المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني: ١٤، وينظر: اختلاف المسلمين في مدى صلاحيات العقل للاستدلال بالحكم، المبادئ العامة للتفسير، الصغير: ٧٠.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ١/١٤.

(٣) مقدمتان في علوم القرآن للغرناطي: ١٩٣، وينظر المبادئ العامة: ٢٥-٢٦.

(٤) مقدمتان في علوم القرآن، الغرناطي: ١٩٣، وينظر: المبادئ العامة للتفسير: ٢٥-٢٦.

(٥) لبيان ذلك: ظ المبادئ العامة ، د. الصغير: ٢٦-٢٧.

الأول: يتناول كل علوم القرآن في نطاق واسع[١].

الثاني: مستوى الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها[٢].

الثالث: في مستوى القرآن جملة ما في القرآن من مراد الله تعالى[٣].

ويبدو وحسب فهمي القاصر، أنَّ أقرب التعريفات إلى القبول والواقع هو المستوى الثالث، قال عبد الرحمن بن محمد الثعالبي في تفسيره بعد أن ذكر عدة تعريفات لعلم التفسير، قال: (علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد)[٤]، وتبعه من المحدثين الشيخ عبد العظيم الزرقاني إذ قال: (علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) وأستاذنا الدكتور الصغير[٥]، نعم إنَّ أول من قيد التفسير بالطاقة البشرية هو محمد بن حمزة (٧٥١هـ-٨٣٤م)[٦] المشتهر بالفناري من علماء الأحناف على مانسب

---

(١) ظ: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/١٤٧، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/٢، أصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد العك: ٤.

(٢) ظ: البحر المحيط: ١/٢٣، قال: (علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية) وتبعه إسماعيل بن كثير في تفسيره والآلوسي كذلك: ظ تفسير القرآن العظيم: ١/٧، روح المعاني: ١/٤.

(٣) ظ، مجمع البيان، الطبرسي: ١/١٣، البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي (قدس): ٤٢٢.

(٤) ظ: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١/٤١.

(٥) ظ: مناهل العرفان: ٢/٢٧٧، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ١٨.

(٦) محمد بن الحمزة: وهو من علماء الأحناف له كتاب أنموذج العلوم وتفسيره وتفسير سورة الفاتحة، ظ: نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي: ١/٣٧، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، التقي الغربي في ترجمة العلامة بدر الدين المعروف بابن الفنري: ١/٢٤١.

إليه[١].

ويمكن أن نستنتج لدى الموازنة والحصيلة العلمية من الكل واحدة وهي: بيان مراد الله عز وجل من قوله في كتابه الحكيم (لتبين للناس) وإيضاح مدلولاته وهو مأخوذ أيضاً من المعنى اللغوي للتفسير: البيان والكشف[٢].

وقبل أن نبدأ بعرض النماذج التفسيرية بين لنا الإمام الحسين عليه السلام ضابطة من ضوابط التفسير وهي بالنهي عن التفسير بالرأي وتحذير المؤمنين من خطره إذ يأتي المدعي لهذا المنصب ليفرض أفكاره على الناس ليضلهم أو يعرض أحكامه الناتجة عن تخصصه العلمي أو اتجاهه المذهبي الخاص وذوقه الشخصي باسم القرآن[٣].

إنَّ مثل هذا المفسر لايتخذ القرآن هادياً وإماماً بل يتخذه وسيلة للإضلال والتضليل، روى الصدوق والحر العاملي والبحراني بإسنادهم عن وهب بن وهب القرشي[٤] عن الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال: قال الحسين بن

(١) ظ: قواعد التفسير، المبيدي: ٢٠.

(٢) ظ: تفسير الميزان للسيد الطباطبائي (قدس) ٤/١، التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة (ره): ١٤/١، وينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب، مادة فسر، معجم مقاييس اللغة للجوهري، مادة: فسر، كتاب العين، الفراهيدي: مادة فسر.

(٣) ظ: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم (قدس): ٢٥٦، المبادئ العامة للتفسير، د. الصغير: ٩٠.

(٤) وهب القرشي: الملقب بأبي البختري من أبناء العوام، كان يعمل قاضياً يتهم بالكذب. ظ: رجال الكشي: ٢٦١، معجم رجال الحديث: ١٧٠/٢٠.

علي عليه السلام (..فلا تخوضوا في القرآن ولاتجادلوا فيه، ولاتتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال في القرآن بغير علم فليبتوأ مقعده من النار)(١).

وروى الصدوق حديثاً قدسياً بإسناده عن الريان بن الصلت(٢) عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال الله جل جلاله ما آمن بي من فسر برأيه كلامي(٣)، وتلك الأحاديث وغيرها تشكل مستنداً شرعياً على عدم جواز التفسير بالرأي.

وروي مثل ذلك عن الصحابة وعن أبي بكر سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: (أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم) (٤).

واستدل الزركشي بعدد من الآيات على عدم جواز التفسير بالرأي منها ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٥)، يقول الدكتور الصغير: فإذا كان النبي

(١) التوحيد: ٩٧، ح٥، وسائل الشيعة: ١١/٣٥٠ ح١٤٩٩، تفسير البرهان: ٤/٥٢٥.

(٢) الريان بن الصلت: الأشعري القمي، ثقة من أصحاب الرضا عليه السلام له كتاب منثور الأحاديث، رجال النجاشي: ١٩٩، رجال الكشي: ٤٥٧، رجال الطوسي: ١٧٨، معجم رجال الحديث: ١/٣٨٠.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/١٠٧ والحديث القدسي: المعنى من الله واللفظ للرسول، ظ: مذاهب الإسلاميين، د. الحكيم: ٣١-٣٨.

(٤) تفسير القرآن لابن كثير: ٤/٤٧٣، وروي مثله عن عمر بن الخطاب إذ يقول: ما الأب ثم يقول: إنَّ هذا تكلف منك يابن الخطاب، ظ: بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٣٦، والآية في سورة عبس/٣١.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٢/١٦٣، البيان في تفسير القرآن السيد الخوئي (قدس): ٤١٩ والآية في سورة الإسراء: ٣٦.

صلى الله عليه وآله وسلم لايفسر القرآن إلا بعد الإيماء من قبل الله تعالى فالأجدر بمن تبعه من المسلمين أن يتحرجوا عن التفسير بالرأي لما في ذلك من الجرأة على الله[١].

وفيما يلي نماذج روائية عن الإمام الحسين عليه السلام وحسب ماتم تقديمه في التمهيد من أقسام التفسير إلى معقول ومنقول.

أولا: التفسير بالمعقول

ونعرض رواية واحدة، قال تعالى: { وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً }[٢].

روى العياشي والصدوق والحويزي وابن عساكر وبأسانيد متعددة: قال الإمام الحسين عليه السلام يابن الأزرق أخبرت أنك تكفّر أبي وأخي وتكفرني؟! قال له نافع: لئن قلت ذاك لقد كنتم الحكام ومعالم الإسلام فلما بدلتم استبدلنا بكم، فقال له الحسين عليه السلام يابن الأزرق! أسألك عن مسألة فأجبني عن قول الله لا اله إلا هو { وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما } فمن حفظ فيهما؟ قال: أبوهما، قال عليه السلام: فأيهما أفضل أبويهما أم رسول الله وفاطمة؟ قال: بل رسول الله وفاطمة بنت رسول الله عليهما السلام، قال عليه السلام فما حفظهما حتى حيل بيننا وبين الكفر؟! فنهض ثم نفض بثوبه، ثم قال: قد نبأنا الله عنكم معشر قريش أنتم قوم خصمون[٣].

---

(١) تاريخ القرآن: ٩١.

(٢) الكهف: ٨١.

(٣) تفسير العياشي: ٢/٣٦٣ رواه عن يزيد بن رويان، قال: دخل نافع بن الأزرق المسجد الحرام ←

تحليل النص: أشار الإمام عليه السلام إلى أصل قرآني أدَّبَ الله به عباده المؤمنين على لسان عبده الصالح حيث أقام الجدار الذي كان للغلامين اليتيمين في المدينة معللاً بأن (كان أبوهما صالحاً) فلصلاح أبيهما استحق الغلامان تلك الخدمة من الخضر عليه السلام.

قال المقريزي: إذا صَحَّ أنَّ الله سبحانه قد حفظ غلامين لصلاح أبيهما فيكون قد حفظ الأعقاب برعاية الأسلاف وإن طالت الأحقاب ومن ذلك ماجاء في الأثر: إنَّ حمام الحرم من حمامتين عشعشتا على فم الغار الذي اختفى فيه رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك حرَّمَ حمام الحرم وإن كان كذلك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحرى وأولى وأحق وأجدر أن يحفظ الله تعالى ذريته، فإنَّه إمام الصلحاء، وماأصلح الله فساد خلقه إلا به، ومن جملة حفظ الله تعالى لأولاد فاطمة (عليها السلام)(١)، ولكنَّ أهل البيت (عليهم السلام) الذين ينتسبون إلى النبي الأعظم بصريح القرآن وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يهتم بهم المسلمون فما أعجلهم بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى عدوا عليهم وضيعوا حقوقهم فكان أول عمل هو إحراق دار بضعة المصطفى فاطمة (عليها السلام) التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، ثم قتل علي عليه

والحسين بن علي (عليهما السلام) مع عبد الله بن عباس جالسان، (التوحيد للصدوق: ٨٥ ح٣٥ قطع الحديث على حد تفسير الصفات الإلهية، والرواية كاملة: نور الثقلين: ٣١٨/٤، تفسير البرهان: ٤٧٨/٢، بحار الأنوار: ٤٢٣/٣٣ ح٦٣١، تفسير كنز الدقائق: ١٠٤/٦، تاريخ ابن عساكر: ١٧٥/١٤ ح٢٠٣ والآية في الكهف: ٨١.

(١) خلاصة الكلام: ٨٦.

السلام في محرابه، والحسن مسموماً على يد الأدعياء وأعداء الإسلام، أما الحسين عليه السلام فكان صاحب الحظ الأوفر فذبح عطشاناً هو وأصحاب رسول الله وقادة الأمة ومفكروها وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبيت عيالات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما تسبى نساء الديلم، ولم يكن الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) كغلامي الخضر عليه السلام إذ لم يكن أبوهما أصلح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي المثل المعروف (المرء يحفظ في ولده) والغريب أنَّ النصارى واليهود والمجوس والمنافقين من العرب اشتركوا في قتلهم جميعاً(١).

إنَّها حقيقة قرآنية استنبطها الإمام عليه السلام من الآية الكريمة بمنهج عقلي سليم يدركه السامع والقارئ على السواء بلا مشقة وعناء وبعيداً عن التكلف والشطط من القول.

ثانياً: التفسير بالمنقول

١- تفسير القرآن بالقرآن

وهو من أجلِّ أنواع التفسير وأعظمها لذا من يتتبع روايات أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن يلمس عندهم طريقة متميزة ومبتكرة في تفسير القرآن وهي اللجوء إلى بعض الآيات والسور في فهم وتفسير آيات أخرى وهو منهج علمي سليم وأنَّ واضع اللبنات الأولى لهذا المنهج الرسول الأكرم

---

(١) قتل الإمام علي (عليه السلام) على يد ابن اليهودية وقيل المجوسية ابن ملجم والحسن (عليه السلام) قتل بالسم الذي أرسله ملك الروم إلى معاوية على يد جعدة بنت الأشعث، والحسين قتل باستشارة سرجون الرومي النصراني وعلى يد المنافقين من العرب.

صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام بقوله: (القرآن ينطق بعضه البعض ويشهد على بعضه البعض)[١]، إنَّ الاعتماد على هذا المنهج يؤدي إلى صيانة المعاني القرآنية وحمايتها من التحريف والانحراف والتزييف خاصة في مجال العقيدة والفكر بل حتى في الفقه الإسلامي.

قال السيوطي: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن فما أُجمِلَ منه في مكان فقد فسر في موضعٍ آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر[٢]، ونجد ذلك في الروايات التفسيرية المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام ونختار نماذج منها:

١- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[٣]، ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[٤] ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٥].

روى الكليني عن سعيد بن المسيب[٦]، قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: (إنَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني إن كنت عالماً عن الناس وعن أشباه الناس وعن النسناس؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام ياحسين! أجب الرجل، فقال الحسين عليه السلام: أما قولك أخبرني عن الناس فنحن الناس ولذلك قال الله تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا

(١) ظ: نهج البلاغة، إعداد: د. صبحي الصالح/١٩٢، وينظر أصول التفسير، الحيدري: ٧٥.

(٢) ظ: الإتقان في علوم القرآن: ٤/١٧٨.

(٣) البقرة: ١٩٩.

(٤) إبراهيم: ٣٦.

(٥) الفرقان: ٤٤.

(٦) سعيد بن المسيب: من الصدر الأول ربَّاه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان من الملازمين أيضاً للإمام زين العابدين (عليه السلام)، ظ: رجال الكشي: ١٠٧، خلاصة الأقوال: ٢/١٦.

مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فرسول الله الذي أفاض بالناس وأما قولك: أشباه الناس فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ وأما قولك النسناس فهم السواد الأعظم وأشار بيده إلى جماعة الناس ثم قال: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[(١)].

٢-قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[(٣)] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[(٤)].

روى الطبراني في المعجمين عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن الحسين بن علي عليهما السلام[(٥)]، وروى الهيثمي بثلاث طرق أحدها عن ابن عباس[(٦)] وأخرج الشوكاني عن ابن مردويه[(٧)]، قال الحسين بن علي عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة، ثم تلا عليه السلام هذه الآية ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ وتلا عليه السلام: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾.

---

(١) الكافي: ٢٤٤/٨ ح٣٣٩، البرهان: ٢٠١/١ ح٢، نور الثقلين: ٢١/٤ ح٦٨، بحار الأنوار: ٩٥/٢٤.

(٢) هود/١٣.

(٣) البروج/٣.

(٤) الأحزاب/٤٥.

(٥) ظ: المعجم الأوسط: ١٨٢/٩، المعجم الصغير: ١٣١/٢.

(٦) ظ: مجمع الزوائد: ١٣٦/٧.

(٧) ظ: فتح القدير: ٤١٥/٥.

والإمام عليه السلام قد جمع الآيات من ثلاث سور لبيان المعنى، وهذا مايسمى بالتفسير الموضوعي أيضاً وزال شك السائل عندما سمع جواب الإمام عليه السلام وانقطع عن الآخرين.

٣- قال تعالى {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ}(١). قال تعالى {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}(٢).

روى ابن أعثم الكوفي والخوارزمي بإسناد عن بشر بن غالب الأسدي قال: يابن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ} فقال له الحسين عليه السلام: نعم يا أخا بني أسد! هما إمامان إمام هدى دعا إلى هدى وامام ضلالة دعا إلى ضلالة فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنة وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار وهو قول الله عز وجل {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}(٣).

والإمام عليه السلام في تفسيره بيّن أنواع الإمامة المذكورة في القرآن واستحقاق كل صنف مايستحقه من الثواب والعقاب فبعض أئمة الضلالة يخدعون الناس بأنهم أمراء القوم وأئمتهم يجب طاعتهم فقطع الطريق عليه السلام على أئمة الضلالة وبين فساد عقيدتهم وهو سائر في درب الإباء.

٤- قال تعالى {إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ}(٤).

قال تعالى {وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ

---

(١) الإسراء/٧١.

(٢) الشورى/٨.

(٣) ظ: تاريخ ابن أعثم: ٥/٦٩ ؛ مقتل الخوارزمي: ١/٢٢٢ ؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، الشريفي: ٣٣٧ مصادر أخرى.

(٤) الأعراف/١٣٣.

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً }[١].

روى البحراني بإسناده عن أبي المقدام عن أبيه عن الحسين بن علي عليه السلام قال في قوله تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } ماظهر منها: نكاح امرأة الأب، وما بطن: الزنى، قال تعالى: { وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً }[٢].

وقد استند عليه السلام في تفسير الفاحشة إلى الآية الثانية لأن الله سبحانه سمى نكاح امرأة الأب بالفاحشة لعظم جنايتها وإنّ (متزوج امرأة أبيه فاعل رذيلة يمقت فاعلها، ويشنأ تستخسه الطباع السليمة فوصفت فعلته بالمقت)[٣].

إنَّ تأثير تفسير القرآن بالقرآن يمكن أن يُشبَّه (كتأثير أشعة الشمس على الذي تقع عليه، فيعطي اللون الذي انعكس عليه فإذا وقعت أشعة الشمس على اللون الأحمر تكون الأشعة حمراء وإذا كانت زرقاء تكون الأشعة زرقاء) وهكذا ومادام الحسين عليه السلام من البيوت التي نزل فيها القرآن كان تفسيره نقياً كنقاوة القرآن والعلة في ذلك لأنه عليه السلام وأهل بيته اختيار الله عز وجل ومادام اختيار الله عز وجل فيجب الأخذ عنهم والإعراض عنهم إعراض عن الله وهو بمثابة إعلان حرب على الله عز وجل وهذا يأتي بعد تدقيق ما وصل إلينا من الروايات التفسيرية.

---

(١) النساء/٢٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ١٣/٨.

(٣) ملاك التأويل لأحمد بن زبير الغرناطي: ٢٠٠/١ وينظر أيضاً: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ١٠٧.

٢-التفسير بالمأثور من السنة المطهرة

كان تفسيره عليه السلام تفسيراً متوارثاً تارة ينقل عن جده صلى الله عليه وآله وسلم وتارة عن أبيه أو أخيه عليهم السلام وهذا المنهج مميز جداً في فكر أهل البيت (عليهم السلام) ومروياهم لأن أحاديثهم سعوط المجانين ما لو قرئ على مجنون لأفاق[١].

ووجدت الكثير من مرويات الإمام الحسين عليه السلام في هذا القسم من التفسير بالموروث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (عليهم السلام) ولكمال وضوحه وإشراقة بيانه قد لايحتاج إلى بيان أو تحليل أو توضيح.

١-قال تعالى: ﴿ وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ الله ﴾[٢].

روى الخزار القمي الطبري والمسعودي والبحراني والمجلسي بإسناد عن إسماعيل بن عبد الله قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام: لما أنزل الله تبارك وتعالى (وأولوا الأرحام) سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تأويلها، فقال: والله ماعنى غيركم وأنتم أولوا الأرحام فإذا مت فأبوك علي عليه السلام أولى بي وبمكاني فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فإذا قضى الحسن فأنت أولى به، قلت يارسول الله فمن بعدي أولى بي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم ابنك علي أولى بك من بعدك، فإذا مضى فابنه محمد أولى به من بعده، فإذا مضى فابنه جعفر أولى به من بعده فإذا مضى

---

(١) قول مشهور لأحمد بن حنبل رواه أبو حاتم الرازي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، ظ: عيون أخبار الرضا: ١/٢٨٨ باب٢٢ ح٥، حلية الأولياء، أبو نعيم: ٣/١٩٢.

(٢) الأنفال/٧٥.

جعفر فابنه موسى أولى به من بعده فإذا مضى فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى فابنه محمد أولى به من بعده فإذا مضى فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى فابنه الحسن أولى به من بعده، فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك، الأئمة التسعة من صلبك أعطاهم الله علمي وفهمي طينتهم من طينتي، والقوم يؤذونني فيهم!؟ لاأنالهم الله شفاعتي)[١].

في الحديث الشريف جملة من المعاني الجليلة، فالحديث يحتوي على فضيلة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بإخبار ولده الحسين عليه السلام بأنَّ الإمامة في عقبه، وحدث هذا وهو في سن لم يتجاوز العشر سنين، وقد روي نفس هذه المعاني بسند آخر عن حذيفة بن اليمان وهو من الصحابة الأجلاء[٢].

وقد يعترض أحد فيقول: إنَّ هذا تأويل وليس تفسير يبين مراد الله عز وجل، والجواب على ذلك: (إنَّ التأويل إذا كان صادراً عن المعصوم فيعود التأويل تفسيراً لأنه يكشف عن مراد الله تعالى في كتابه وتكون دلالته في هذا الملحظ بالذات دلالة قطعية)[٣].

٢-قال تعالى: ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[٤].

روى الفضل بن شاذان قال: حدثنا ابن قولويه (ره) بإسناد عن عبد الصمد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام عن علي بن

---

(١) كفاية الأثر: ١٧٥، إثبات الهداة: ٥٤٥/٢ ح٥٢٢، تفسير البرهان: ٢٩٣/٣ ح١٥ بحار الأنوار: ٣٤٣/٣٦ ح٢٠٩.

(٢) المصادر نفسها والصفحات.

(٣) المبادئ العامة لتفسير القرآن، د. الصغير: ٢٣.

(٤) الرعد/٢٩.

الحسين السجاد عليه السلام عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى {طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} قال: نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام وطوبى شجرة في داره وهي في الفردوس، ليس من أثمار الجنة شيء إلا هو فيها)[١].

٣- قال تعالى: {فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً}[٢].

روى داود بن سليمان الغازي قال: حدثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: أخبرني أبي عن أبيه عليه السلام عن أبيه جعفر عليه السلام عن أبيه محمد عليه السلام عن أبيه علي عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية (أولئك الذين أنعم الله عليهم) قال (من النبيين) محمد صلى الله عليه وآله وسلم و(الصديقين) علي بن أبي طالب عليه السلام و(من الشهداء) حمزة عليه السلام و(من الصالحين) الحسن والحسين عليهما السلام و(حسن أولئك رفيقا) قال (القائم من آل محمد)[٣] صلوات الله عليهم أجمعين وهذا الإسناد يسمى بسلسلة الذهب، قال فيه أحمد بن حنبل مالو قرئ على مجنون لأفاق[٤].

---

(١) مائة منقبة: ١٢٣ ؛ المنقبة: ٦٩ ؛ بحار الأنوار: ٢٣٥/٣٩ ح٢٠ ؛ مناقب الإمام علي (عليه السلام) لابن المغازلي: ٢٦٨ ح٣١٥ عن محمد بن سيرين.

(٢) النساء/٦٩.

(٣) مسند داود بن سليمان الغازي صاحب الإمام الرضا (عليه السلام): ٣٥ ورواه الطبرسي والحسكاني عنه، ظ.الاحتجاج: ٢٢/٢ ؛ شواهد التنزيل: ١٥٤/١.

(٤) روى هذا الإسناد إسناد لو قرئ على مجنون لأفاق، ابن ماجة في السنن: ٢٦/١ ذ ح: ٢٥، والقندوزي في ينابيع المودة: ١٢/٣ ؛ حلية الأولياء لأبي النعيم: ١٩٢/٣.

٤- قال تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}[١].

روى فرات الكوفي والحسكاني بإسناد عن عبيدة بن يحيى بن مهران الثوري عن محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام في قوله {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش فيقول الله لي ولك: قوما فألقيا من أبغضكما وخالفكما وكذبكما في النار)[٢].

وفي رواية أخرى بإسناد آخر: هذا لي وهذا لك وهو قوله ألقيا في جهنم كل كفار عنيد[٣].

وفي رواية أخرى عن محمد بن الجحاف السلمي عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يامحمد يا علي (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) فهما الملقيان في النار[٤].

٣-التفسير بالرجوع الى اللغة

قال تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}[٥].

في الجعفريات أخبرنا عبد الله بإسناد عن موسى بن جعفر عن آبائه عن

---

(١) ق/٢٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ١٦١ ح٢، شواهد التنزيل: ١٩١/٢ ؛ نور الثقلين: ١٢١/٥.

(٣) شواهد التنزيل: ١٩٠/٢.

(٤) تفسير فرات: ١٦١ ح٣.

(٥) الرحمن/٥٦.

الحسين بن علي عليهم السلام قال: قال أبي لاتقولوا للحائض: طامث فتكذبوا ولكن قولوا: حائض والطمث هو الجماع، قال الله تبارك وتعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}[١].

وقد فسر الطمث في اللغة بأنه من طم الشيء بالتراب وهو الكبس[٢].قال الأصمعي: جاء السيل فطم ركية آل فلان، إذا دفنها حتى يعرها وقال الفراء (فإذا جاءت الطامة) هي القيامة تطم على كل شيء وسمي البحر بالطم لأنه طمَّ كل مافيه[٣]، ولم يطمثهن لم ينكحهن[٤] وقيل لم يمسسهن يقال: ماطمث هذا البعير حبل قط أي مامسه وفيها قراءتان[٥]، وقد اتفق المعنى اللغوي للطم مع النص الأثري الموروث، باعتبار اللغة مصدراً من مصادر التفسير.

ونكتفي بهذا القدر من النماذج التفسيرية لمنهج الإمام الحسين عليه السلام في التفسير خشية الإطالة.

---

(١): ٣٦، دعائم الإسلام: ٨٢١/١، بحار الأنوار: ٢١/١٨ ح١٤، مستدرك الوسائل: ٢٣/٢.

(٢) ظ. العين، الفراهيدي: ٩٦/٢، ٤٠٨/٧ ؛ المحيط في اللغة: ٣١٤/٢ ؛ مجمع البحرين: ٦٤/٤.

(٣) ظ. تهذيب اللغة: ٣٩٢/٤ ؛ تاج العروس: ٧٨٠١/١.

(٤) ظ. التبيان في تفسير القرآن ؛ الطوسي: ٤٦٨/٩.

(٥) ظ. مجمع البيان، الطبرسي: ٣١٢/٩ ؛ التفسير القيم لابن القيم الجوزي: ٢٠٧/١.

المبحث الرابع

عناوين متفرقة

أولاً: تفسير الحروف المقطعة

تطلق تسمية الحروف المقطعة أو فواتح السور مثل (ألم) والتي تقرأ: ألف لام، ميم وغيرها مثل (طسم) و(كهيعص) وغيرها ومجموعها (٢٩) حرفاً وهي الحروف التي جاءت في بدايات ثمانٍ وعشرين سورة كلها مكية عدا البقرة وآل عمران.

وقد أسبغ عليها المفسرون تأويلات وتفسيرات مختلفة، وحسب ماينهل منه ومايميل إليه، لكنها في الحقيقة بعيدة عن السر الإلهي في تلك الحروف، وتكاد تكون تلك التفسيرات من مبهم إلى مبهم.

وقد انتبه إلى ذلك مالك بن نبي حيث يقول: (أياً ماكان الأمر فإنّ معنى هذه الفواتح المبهمة إن كان فيها إبهام يقف إمام عقولنا سيداً محكماً[١]، فهو

(١) الظاهرة القرآنية: ٢٧٣.

يشك في كونها تبقى مبهمة لأنه يكون إنزالها عبثاً، فلابد من مفسر حوى علوم الكتاب بما يرفع الإبهام فيعود فيقرر تلك النتيجة فيقول: (هذه الحروف الافتتاحية لايمكن أن تتراءى لنواظرنا اليوم هياكل متحجرة أو متحللة فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه كان يرتلها هكذا كل حرف متميز منفصل في تجويده الصوتي)(١).

إنَّ بعض هذه الحروف تتكون من حرف واحد (ن) (ق) وبعضها من حرفين مثل (حم) (يس) (طه) وبعضها من ثلاثة مثل (عسق) (ألم) وبعضها من أربعة (ألمر)(ألمص) وبعضها من خمسة مثل (كهيعص) وهناك اتجاهان في تفسيرها:

الإتجاه الأول: إنها من أسرار الله التي استأثر بها نفسه فلا يعلمها أحد ولايمكن لأحد أن يصل إلى معرفة المراد منها، وهذا الرأي تبناه عدد من الصحابة والتابعين كما جاء أيضاً في بعض مرويات أهل البيت (عليهم السلام) فإن عَلِمها أحد فبعلمٍ من الله(٢).

الإتجاه الثاني: إنَّه ليس في القرآن الكريم شيء غير مفهوم انطلاقاً من القرآن الكريم نفسه حيث وصف القرآن الكريم نفسه بصفات لاتتفق مع الخفاء كقوله تعالى: ﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٤)، وهداية للإنسان إلى غير ذلك

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) التبيان للطوسي: ٤٨/١ ؛ مجمع البيان، الطبرسي: ٣٢/١ ؛ علوم القرآن للسيد الحكيم (قدس): ٤٣٨ ؛ وينظر أيضاً: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١٥٨/١.

(٣) الشعراء/١٩٥.

(٤) النحل/ ٨٩.

من الصفات التي تؤكد مفهومية النص القرآني للجنس البشري، وقد نسب هذا الاتجاه إلى المتكلمين من علماء المسلمين[١].

وذكر الشيخ الطوسي رضي الله عنه مذاهب مختلفة في التفسير وعد الفخر الرازي واحداً وعشرين تفسيراً[٢]. وأنَّ أقرب هذه التفسيرات إلى العقل: أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها[٣].

ونشير الآن إلى الروايات التفسيرية المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام في تفسير تلك الفواتح.

١- روى الصدوق بإسناد عن أبي يزيد بن الحسن عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الإمام الحسين عليه السلام قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له ما الفائدة في حروف الهجاء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: أجبه وقال: اللهم فقهه وسدده فقال علي عليه السلام: مامن حرف إلا هو اسم من أسماء الله عز وجل ثم قال: أما الألف فالله لا اله إلا هو الحي القيوم.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا هو القول الذي رضي الله عز وجل لنفسه من جميع خلقه، فأسلم اليهودي[٤].

في الرواية التي رواها الإمام الحسين عليه السلام عن جده صلى الله

---

(١) ظ. التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٣/٢.

(٢) التبيان: ٤٧/١ والمصدر السابق نفسه.

(٣) التبيان: ٤٨/١.

(٤) ظ. التوحيد: ٢٥٧-٢٥٨ باب٣٢ ح٢.

عليه وآله وسلم دلالتان على الأقل:

الأولى: تفسيرية وهي ما أودع الله سبحانه وتعالى في هذه الحروف من الأسرار والتي يعرفها يعرف كثيراً من العلوم الإلهية والأسرار الكونية المرتبطة بالله خاصة.

الثانية: مكانة أهل البيت (عليهم السلام) وخاصة الإمام علي عليه السلام وهو يجيب على هذه الأسرار والغوامض، وهذا يؤكد أنَّ ماعند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عند الإمام علي عليه السلام ودليل ذلك قول الإمام علي عليه السلام: (علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب)[1].

وقال عليه السلام وهو يخاطب طلحة بن عوف بعدما قام عثمان بن عفان بإحراق المصاحف: (ياطلحة إنَّ كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل حلال أو حرام أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي حتى أرش الخدش قال طلحة: كل شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب قال عليه السلام نعم..)[2].

(١) ظ. التحصين لابن طاووس: ١/٦٧، الفصول المهمة: ٦٢، شرح أصول الكافي: ٨/٤٧٩.
(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١/٤٣؛ مرآة العقول في شرح أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ٣/٧٩.

٢- (كهيعص) [١]، روى القندوزي وغيره قال: ثبت لدينا أنَّ رجلاً سأل الحسين بن علي عليهما السلام عن معنى (كهيعص) فقال له: (لو فسرتها لك لمشيت على الماء) [٢].

المتبادر إلى الذهن من كلام الإمام عليه السلام أنَّ هذه الحروف تحتوي على الأسرار الإلهية مايكون أقرب إلى اسم الله الأعظم كما في تفسير غيرها من الحروف بحيث إنَّه لو وقف على أسرارها لكانت لك بمنزلة الاسم الأعظم في أثرها وتأثيرها التكويني في المشي على الماء وغير ذلك كما حدث للأنبياء والرسل كموسى عليه السلام وغيرها.

٣- ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [٣].

روى زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال أبي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول ماخلق الله القلم ثم خلق الدواة وهو قوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ثم قال: لتخط كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة من خلق أو أجل أو رزق أو عمل إلى ماهو صائر إليه من جنة أو نار ثم خلق العقل فاستنطقه فأجابه فقال: وعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً هو أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي، أما وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن

(١) مريم: ١.

(٢) ينابيع المودة: ٣/٢٠٣، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي (قدس): ١١/٤٣٢ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف الشيخ علي اليزدي الحائري: ١/٧١٤، وروى أبو حيان الأندلسي عن محمد ابن الحنفية رضي الله عنه البحر المحيط: ١/١٥٨.

(٣) القلم/١.

أبغضت، فأكمل الناس عقلاً أخوفهم لله عز وجل وأطوعهم وأنقص الناس عقلاً أخوفهم للشيطان وأطوعهم له)[١].

أشارت الرواية الشريفة إلى مكانة القلم وأهميته ويدل على ذلك القسم به من قبل رب الخلائق فالقلم هو الذي تخط به ملائكة السماء الوحي السماوي وهو الذي تكتب فيه صحائف أعمال البشر، فالقلم هو الذي تسطر فيه الأوامر والأعمال، وتسطر أي تكتب وهو (وضع الحروف على خط مستقيم)[٢].

وقد تكون (ن) هنا بمعنى (اللوح) الذي يسطر عليه أما (الدواة) التي تكون مداد القلم وبحسب الرواية الشريفة والله أعلم، وحين تتأمل في الآية الشريفة وذكر القلم نجده مصدراً لجميع الحضارات الإنسانية على مر السنين وأنّ تطور العلوم وتكاملها جاء بفضل مادوّن من العلوم والمعارف الإنسانية في كافة حقول العلم والمعرفة وجميع إنحاء العالم، وقد يكون للقسم (بالقلم) سرٌ آخر، حيث يشير نزول الآية الشريفة في زمانها لم يكن هناك كتاب ولا أصحاب قلم فإذا كانت مكة المركز الديني والسياسي والاقتصادي في الحجاز لم يتجاوز فيها عدد من يعرف القراءة والكتابة (٢٠) شخصاً ولذا فإنّ القسم بـ(القلم) في مثل ذلك المحيط له عظمة خاصة[٣]، كذلك إن أول آية نزلت على قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيها دلالة على الحث على

(١) مسند زيد بن علي: ٤٠٩ ورواها السيوطي عن عبادة بن الصمات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول ما خلق الله العقل) الدر المنثور: ١٠/٧١.

(٢) تفسير البيان للطوسي: ١٠/٦٩.

(٣) تفسير الأمثل لابن مكارم الشيرازي: ٢٠/٣٢٣.

القراءة (اقرأ) ولاتكون القراءة إلا بعد تسطير العلوم وتدوينها بالقلم، قال قتادة: القلم نعمة من الله عظمية لولا القلم ماقام دين ولم يصلح عيش والله أعلم بما يصلح خلقه)[١].

ثم أشارت إلى مكانة العقل والعقلاء عند الله عز وجل، فالإنسان الكامل هو العاقل، والذي هو مطيع لله عز وجل خالق العقل وواهبه، والإنسان غير العاقل هو الجاحد لنعمة الله عز وجل المخالف لله عز وجل فهذا أنقص الناس عقلاً.

ثانياً: الاستشفاء بالقرآن

١-قال تعالى: { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ }[٢].

أُثر عن الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم الروايات الكثيرة التي تحث المؤمنين على الاستشفاء بالقرآن ولكن بطريقة خاصة ومعروفة لدى العارفين بالقرآن[٣]، ونذكر هنا انموذجين روايتين عن الإمام الحسين عليه السلام أخرج المجلسي والحويزي وغيرهم عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام جاء رجل إلى الحسين بن علي عليهما السلام فقال له: يابن رسول الله ماقدرت أن أمشي إليك من وجع رجلي، قال عليه السلام: فأين أنت

(١) الدر المنثور، السيوطي: ٧٢/١٠.

(٢) الإسراء/٨٢.

(٣) ظ. الرسالة الذهبية في الطب للإمام الرضا (عليه السلام) طبعت من قبل المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٣٦٥هـ،وينظر: الدعوات، الراوندي: ٦٣-٩٠، الشفاء الروحي، عبد اللطيف البغدادي: ٣٦ ومابعدها، مع الطب في القرآن الكريم، عبد الحميد دياب: ١١٩-١٨٢، إمامة علي الرضا (عليه السلام) ورسالته في الطب النبوي، محمد علي البار: ١٧٢.

من عوذة الحسن بن علي عليهما السلام قال: يابن رسول الله وماذاك؟ قال: (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله.. وكان الله عزيزاً حيكماً) قال: ففعلت ماأمرني به فما أحسست بعد ذلك بشيء منها بعون الله تعالى)[١].

٢- قال تعالى: { وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ }[٢].

عن طب الأئمة وبالسند السابق نفسه: أنَّ الحسين بن علي عليهما السلام كان يعوذ لوجع العراقيب وباطن القدم بأن يضع يده عليها ويقول: بسم الله وبالله والسلام على رسول الله، ثم يقرأ عليه (وماقدروا الله حق قدره إلى قوله يشركون)[٣].

ثالثاً: القصص القرآني

المفروض أن يكون هذا العنوان مبحثاً منفصلاً مستقلاً ولكني وجدت أنَّ جميع الروايات في هذا الباب هي روايات غير مباشرة عن الإمام الحسين عليه السلام لذا جعلته في العناوين المتفرقة.

والقصص القرآني حق لأنه كلام الله سبحانه لم يكن من نسج خيال أو تصوير الكتاب لأشخاص وحوادث وقعت في زمن ما، وكذلك ليس من الأساطير التي تحكى ولامن جنس الرواية في المسرح العربي والأدب العالمي، وللقصص القرآني هدف سامٍ وهو إرشاد وهداية الناس إلى السبيل الذي

(١) بحار الأنوار: ٨٤/٩٢؛ نور الثقلين: ٤٩/٥؛ صحيفة الحسين (عليه السلام) القيومي: ١٦٠، وينظر طب الأئمة: ٣١ التي رويت منها الرواية.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) طب الأئمة: ٣٢ ؛ مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ٣٠٣/٣.

تحصل فيه النجاة وتغيير واقعهم الاجتماعي والثقافي وزيادة معرفتهم بالخالق العظيم وبما هذا الكون من الأسرار التي يعجز الإنسان بمفرده عن معرفتها ولابد من وسيلة وأسلوب لتحقيق ذلك وجاء القرآن بأساليب متعددة لتحقيق الهدف المنشود ومن تلك الأساليب القصص القرآني(١)، وليس الغاية منه قص أخبار الماضين بل لتحقيق الأهداف الدينية التي جاء بها(٢)، وسنذكر أنموذجين فقط لتشابه النماذج الأخرى.

١-قال تعالى: { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ }(٣).

روى الطبرسي وغيره عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه (عليهم السلام) عن الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فأما يعقوب قد صبر على فراق ولده حتى كاد يحرض من الحزن، قال له علي عليه السلام: لقد كان ذلك وقد كان حزن يعقوب حزناً بعد تلاق، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم قبض ولده إبراهيم عليه السلام قرة عينه في حياته منه وخصه بالاختيار ليعظم له الادخار فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تحزن

---

(١) قصص القرآن دلالياً وجمالياً: محمود البستاني: ١١، قصص القرآن، ابن مكارم الشيرازي: ٨.

(٢) ظ: علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم (قدس): ٣٧٣، الإعجاز القصصي د. سعد عطية: ٢٣٣.

(٣) يوسف/ ٨٤-٨٦.

النفس ويجزع القلب وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول مايسخط الرب في كل ذلك يؤثر الرضا عن الله عز وجل والاستسلام له في جميع الفعال[١].

وفي تلك القصة دلالات عظيمة منها مايخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعظم منزلته عند الله عز وجل، ومنها مايخص تربية المؤمنين على الاستسلام والانقياد لله عز وجل في كل الأمور.

٢-قال تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَتَماثِيلَ وَجِفانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ}[٢].

روى الطبرسي والحويزي بإسناد عن موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السلام) عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فإنّ هذا سليمان سخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، قال له علي عليه السلام: لقد كانوا كذلك ولقد أُعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من هذا، إن الشياطين سخرت لسليمان عليه السلام وهي مقيمه على كفرها، وقد سخرت لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه الجن التسعة من نصيبين واليمن....وهم الذين يقول الله تبارك وتعالى اسمه فيهم {وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ}[٣]. وهم التسعة

---

(١) الاحتجاج: ٥٠٧/١، وكان جالساً عبد الله بن عباس وابن مسعود وأبو معبد الجهني، تفسير كنز الدقائق: ٣٦٠/٦.

(٢) سبأ/١٣.

(٣) الأحقاف: ١٨.

يستمعون القران، فأقبل إليه الجن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ببطن النخلة، فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ولقد أقبل إليه أحدٌ وسبعون ألفاً منهم يبايعون على الصوم والصلاة.. واعتذروا بأنَّهم قالوا على الله شططاً، وهذا أفضل مما أعطي سليمان عليه السلام سبحان من سخرها لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانت تتمرد وتزعم أنّ لله ولداً فلقد شمل مبعثه من الجن والإنس مالايحصى)[١]، وفي هذه الرواية دلالة على أنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول إلى الإنس والجن على السواء وآمن به كلاهما، وأنَّه أفضل الأنبياء والرسل جميعاً بلا استثناء صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) الاحتجاج: ١/٥٢٧؛ نور الثقلين: ٤/٣٢١ والآية في الأحقاف: ١٨.

الفصل الثالث

الجهود التفسيرية في تفسير آيات العقائد

المبحث الأول: التوحيد

المبحث الثاني: النبوة

المبحث الثالث: الإمامة

المبحث الأول: التوحيد

توطئة

تقوم جميع الشرائع السماوية على أساس التوحيد وهو أوضح أصل مشترك بين تلك الشرائع، فإن كان هناك شيء من الانحراف لدى أتباع بعض هذه الشرائع، في هذه العقيدة المشتركة لكن في الشريعة الإسلامية فإنّ التوحيد يعد قاعدته وأساس الفهم والتفكير ومحور العلم فيه، كذلك فهو المنطلق والقاعدة للتشريع والقيم والأخلاق ومنهج التفكير، لأن التوحيد هو خلاصة دعوة الأنبياء (عليهم السلام) كافة، قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (1)، وتكررت هذه الدعوة على الأنبياء ونظير ذلك على لسان نوح وهود وصالح وشعيب (عليهم السلام) (2).

(1) النحل/ ٣٦.

(2) ظ: سورة الأعراف، الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٧.

كذلك تُعد التوراة كلمة التوحيد أول الوصايا العشر (أنا الله إلهك... فلا يكن لك آلهة تجاهي، لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً ولاصورة ما، لاتسجد لهن ولاتعبدهن لأني انأ الرب اله غيور... قبلي لم يصوراله وبعدي لايكون، أنا الله وليس غيري)(١).

أما في القرآن الكريم فقد كان واضحاً وبأسلوب رائع إذ إنَّ جميع المعارف الحقيقية تنبع من عقيدة التوحيد ومعرفة الله حقيقة، وتشترك السنة المطهرة مع القرآن كونهما مصدري الفكر والتفكير العقائدي وقد أوضحا بجلاء كامل عقيدة التوحيد، وبينا وجود الخالق العظيم وحدود صفاته وثبت له التنزيه المطلق فاكتملت أسس العقيدة وأصولها التوحيدية فآمن المسلمون الأوائل كما سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرؤوها في كتاب الله المجيد(٢) قال تعالى: {فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخساً وَلا رَهَقاً}(٣)، وقال تعالى: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}(٤)، وتكررت كلمات التوحيد والإقرار بالربوبية لله عز وجل في مرويات الإمام الحسين عليه السلام وستجد في دعاء عرفة وحده عشرات الكلمات التي تؤدي إلى هذا المعنى، فيقول عليه السلام: (أشهد بالربوبية لك مقراً بأنك ربي) ويقول عليه السلام (سبحان الله الواحد الأحد الصمد)، ويقول عليه السلام: (لا اله إلا أنت سبحانك إنِّي

---

(١) التوراة: خروج ٢-٥، الإصحاح: ٨٧.

(٢) ظ: الشيعة في الإسلام، السيد الطباطبائي (قدس): ٦٥، العقيدة من خلال الفطرة، الشيخ جواد آملي: ٩٩، التشيع نشأته، هاشم الموسوي/٥.

(٣) الجن/ ١٣.

(٤) الإخلاص/١.

كنت من الموحدين)[١] وقد أعدَّ الله للموحدين أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وبالشروط التي أقرها على عباده، وأُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا صلوات الله عليهم أجمعين قولهم: (التوحيد ثمن الجنة..)[٢]..لذا كان الإسلام عظيماً لقوة عقيدته ومتانة فكره كونه خالياً من التكليف الذي لايطاق (إذ لو أدرك الناس كافة معنى الإسلام وفقهوا مايرمي إليه لما بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر لأنه مطلب كل روح ومرمى كل قابلية ومنتهى كل عقل من معنى الدين والإيمان)[٣]. ويقسم التوحيد إلى عدة أقسام:

١-**التوحيد في الذات:** وهي أولى مراتب التوحيد، يعني أنَّ ذات الله تعالى واحدة لاتنطبق على غيره أبداً، وهي بمعنى نفي الشرك والتشبيه والجزء عن ذات الحق تعالى، فلا يوجد اله آخر غيره وأنَّ الذات الإلهية لاكثرة فيها ولاتركيب.

٢-**التوحيد في الصفات:** بمعنى نفي الصفات الزائدة عن الذات الإلهية وهذا القسم يلازم التوحيد الذاتي، لأنَّ التوحيد في الذات يكون غير مركب من أجزاء، وقبول الصفات الزائدة على الذات يستلزم أنَّ الله تعالى مركب من الذات والصفات، ويمكن أن نقول بعبارة أخرى إنَّ صفات الله تعالى

---

(١) الأحاديث مختارة من دعاء عرفة المنسوب للإمام الحسين (عليه السلام) ظ: الإقبال.

(٢) ظ أمالي الصدوق: ٢٥٥، الاختصاص للشيخ المفيد (رض): ٣٤، بحار الأنوار: ٣/٣، الدر المنثور، السيوطي: ١٧/١ بأسانيد أخرى، فتح القدير للشوكاني: ٣٦٠/٣ بأسانيد غيرها.

(٣) الإسلام في عصر العلم، محمد فريدي/ ٤٩٩.

واحدة وهي عين ذاته فهي قديمة أزلية، وقد فصل القول فيها مولى الموحدين الإمام علي عليه السلام في حديثه **(أول الدين معرفته)**[١].

٣-التوحيد الإفعالي: وهي توحيد في الخالقية والرازقية والربوبية وكذلك التدبير، فأفعاله واحدة في خلقه للمخلوقات ورزقه وتدبيره لأمور الكون، فإنَّها من شؤونه الخاصة لايشاركه فيها أحد، بل إنَّ كل مافي الوجود ماهو إلا فعله.

٤-التوحيد في العبادة: وهي أعلى مراتب التوحيد، بمعنى وجوب عبادة الله وحده والاجتناب عن عبادة غيره لأن العبادة قد خصت به ولاتليق لأحد سواه جل جلاله مهما بلغ غيره من الشرف والجلال.

وكما هو معروف أنَّه بسبب التوحيد كان الخلاف والصراع الفكري مع تيارات من الملاحدة أو المعطلة وكذلك اليهود والنصارى، وكل الفرق التي قالت بالتشبيه أو الاتصال أو الحلول[٢]، لذا قال الإمام الحسين عليه السلام كلمته في تثبيت الأساس التوحيدي ولحماية الفكر البشري من الشرك أو الانحراف في تحذيره من استعمال القياس في معرفة الله عز وجل، على مايحمله الفكر البشري من معانٍ وتصورات منتزعة من عالم المخلوقات، روى

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ١٤/١، خ١، وينظر: محاضرات في العقيدة الإسلامية، الشيخ أحمد البهادلي: ٣٠/٢، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، الموسوي: ١٩١، التوحيد، السيد الحيدري: ٨٧/١-١٠٤

(٢) هذه بعض أقسام التوحيد، أعرضنا عن ذكر أقسام أخرى، لمزيد من التوسع: ظ. موسوعة العقائد الإسلامية، الريشهري: ٣٨٠/٣، التوحيد، السيد الحيدري: ٨٧/١-١٠٤.

ظ. المعتزلة. د. محمد عمارة: ٤٧.

العياشي بإسناد عن يزيد بن رويان والصدوق عن ابن عباس وغيرهما وبأسانيد مختلفة أنَّ نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال: يابن عباس تفتي في النملة والقملة صف لنا إلهك الذي تعبده، فأطرق ابن عباس إعظاماً لله عز وجل، وكان الحسين بن علي عليه السلام جالساً ناحية، فقال عليه السلام إليَّ يابن الأزرق، فقال: لست إياك اسأل! فقال ابن عباس: يابن الأزرق إنَّه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام: (إنَّ من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الإرتماس، مائلاً عن المنهاج ظاعناً في الاعوجاج ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل، يابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرّفه بما عرَّف به نفسه لايدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير متقص يوحد ولا يبعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال، قال: فبكى ابن الأزرق بكاءً شديداً، فقال له الحسين عليه السلام: مايبكيك؟ قال: بكيت من حسن وصفك..)[(١)].

وهذا المنهج متوارث عند أهل البيت (عليهم السلام) في معرفة الله عز وجل إذ روى الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (...وما عرفني من شبهني بخلقي وما على ديني من استعمل القياس في ديني)[(٢)].

---

(١) تفسيرالعياشي: ٢/٣٦٧-٣٦٤ ح٦٤ وفيه غير (ملتزق، غير مقص، يتبعض)، التوحيد: ٥٨-٨٦ ح٣٥ واللفظ له، بحار الأنوار: ٤٣٣/٣٣ ح٦٣١ تفسير البرهان: ٤٧٨/٢، مستدرك الوسائل: ٢٦١/١٧ ح٢١٢٨٧، تفسير كنز الدقائق: ١٠٤/٦.

(٢) التوحيد: ٧٣ ح٢٣.

ويمكن أن نستنتج من هذه الرواية أموراً كثيرة منها: ماتخبر عن صفات الله عز وجل وأنَّ صفته عين ذاته (بما وصف به نفسه) ووحدته وحدة حقيقية لاوحدة عددية (يوحد ولايبعض) فلايجوز أن يوصف الله بالوحدة العددية، والفرق بين الوحدة الحقيقية والعددية، أنَّ العددية لها نظير وإذا انضم لها ذلك النظير صار العدد اثنين ومن صفة العدد أنَّه يقبل القسمة ومن خواصه أنَّ له حدًّا معلوماً، والله تعالى لامثيل له، وليس له حد والوحدة الحقيقة يلزمها عدم المحدودية وعدم التناهي[(١)].

وهذا المنهج متأصل عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه مع الأعرابي يوم الجمل حيث قام رجل واستفهم الإمام عليه السلام فقال: (يا أمير المؤمنين أتقول إنَّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه فقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب[(٢)]؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (دعوه فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال عليه السلام: يا أعرابي إنَّ القول في أنَّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لايجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه فأما اللذان لايجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا لايجوز لأن ما لاثاني له لايدخل في باب الأعداد، أما ترى أنَّه كفر من قال: إنَّه ثالث ثلاثة؟ وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس، فهذا مالايجوز لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس في الأشياء

(١) ظ. على سبيل المثال: أصول العقيدة، السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله): ٥٥-٧٨، التوحيد، السيد كمال الحيدري: ١/٥١، معرفة الله، إصدار العتبة العباسية المقدسة: ٤٧.

(٢) تقسيم القلب: أي تقسيم قلب الجيش إلى عدة صفوف أو فرق.

شبه كذلك ربنا وقول القائل: إنَّه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنَّه لاينقسم به في وجود ولاعقل ولاوهم كذلك ربنا عز وجل)[١]. وفيما يلي نماذج روائية تفسيرية عن الإمام الحسين عليه السلام.

أولاً: معرفة الله عز وجل: قال تعالى: { وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ }[٢].

أُولى مباحث التوحيد معرفة الله عز وجل لأنها (رأس العلم) كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث شريف[٣]، وبما أنَّ معرفة الله سبحانه قد ترسخت لأولئك الذين جعلهم الله من خير عباده وخصَّهم لنفسه وهم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) فهم (النمط الأوسط لايدركهم الغالي ولايسبقهم التالي)[٤]، فوجب الرجوع إليهم في كيفية معرفة الله عز وجل يقول الإمام علي عليه السلام: (أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له)[٥].

وقد اختلف علماء المسلمين في المباحث التي تتعلق بمعرفة الله عز وجل فذهب كثير من الإمامية ومعتزلة بغداد إلى أنَّها اكتساب بينما خالف فيه معتزلة البصرة والمجبرة والحشوية من أصحاب الحديث[٦].

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٨٩-٩٠، وينظر كذلك المصادر السابقة.

(٢) الذاريات/٥٦.

(٣) التوحيد، الصدوق: ٢٨٤.الرواية عن ابن عباس.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) الصدوق: ١٢٢/١ حديث شريف للإمام الرضا (عليه السلام).

(٥) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ج١: ص٢٢.

(٦) ظ. أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٦٨، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الشيخ الطوسي: ٤٢.

وعلى الرغم من اتفاق متكلمي المسلمين على وجوب معرفة الله لكنهم اختلفوا في مدرك هذا الوجوب فالإمامية والمعتزلة والزيدية قالوا: إنَّه العقل، أي من خلال العلم الحاصل بالنظر والاستدلال الفكري إذ لايمكن الوصول إلى معرفة الله إلا بالنظر[١].

بينما قال الأشعرية: إنَّه السمع أي القرآن والسنة فالحكم عندهم للشرع الأقدس فما أمر الشرع به فهو الحسن وماهى عنه فهو القبح يقول اللاكائي: سياق مايدل من كتاب الله عز وجل وماروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجوب معرفة الله بالسمع لا بالعقل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢]، تدل على معرفة الله والرسل بالسمع[٣].

وقد أكد السبط الشهيد عليه السلام على هذا الجانب العقائدي المهم وهو معرفة الله عز وجل والطريق الذي يسلكه العبد للحصول على تلك المعرفة وهذا واضح في خطابه عليه السلام لإرشاد الناس إلى معرفة الله عز وجل إذ روى الصدوق وغيره بإسناد عن سلمة بن عطا[٤] عن أبي عبد الله

---

(١) ظ. الشافعي، السيد مرتضى (قدس): ٦١، شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي: ٨٨، الاقتصاد، الطوسي: ٤٢، عقائد الإمامية، المظفر: ٣١-٣٢، روح الإيمان، العاملي: ١١٦.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) شرح أصول واعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/١١٥، وينظر: إحقاق الحق، العلامة الحلي: ٣٨-٤٠، روح الإيمان، عبد الصاحب العاملي: ١٢٤.

(٤) سلمة بن عطا: هكذا ضبطه السيد الخوئي (قدس) وهو من أصحاب الصادق (عليه السلام) الثقاة، عربي كوفي، ظ. معجم رجال الحديث: ١٩/١٢٣، وينظر: رجال البرقي: ١/١٦، مستدركات علم رجال الحديث، الشاهرودي: ١٤/١١١، الكامل، عبد الله بن عدي: ٥/٢٢٤، تاريخ ابن عساكر: ٥٧/٢٤٥.

الصادق عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: (إنَّ الله جل ذكره ماخلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ماسواه، فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي! فما معرفة الله عز وجل؟ فقال عليه السلام: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)[1].

تحليل النص: الرواية الشريفة تقول: إنَّ الغاية من الخلق هي معرفة الله وعبادته وفق قوله تعالى: {وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[2]، إذ تكون معرفة الله عز وجل عن طريق الحجة على الخلق نبياً أو رسولاً أو إماماً فالذي يعبد الله عن غير طريق من نصبهم الله يكون عمله وسعيه غير مقبول وسيظل متحيراً كمثل: (شاة ضلت عن راعيها وقطيعها)[3].

إذ تكون معرفة الإمام عليه السلام سبيلاً ودليلاً إلى معرفة الله عز وجل لأنَّه عليه السلام – الإمام - محور جميع المعارف الظاهرة والباطنة، ومركز لجميع طرق المعرفة، وبذلك يفهم قول المعصوم عليه السلام: (يابن أبي يعفور بنا عرف الله، وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ماعبد الله)[4]،

---

(١) علل الشرائع: ٩/١، بحار الأنوار: ٣١٢/٥، غاية المرام، البحراني ٦٨/٣، تفسير الصافي، الكاشاني: ٧٥/٥، شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي (قدس): ٥٩٤/١١، ميزان الحكمة، الريشهري، ٢٢٣/١.

(٢) الذاريات/٥٦، وينظر شرح أصول الكافي: ٩٢/١ تفسير الآية برواية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).

(٣) حديث للإمام الباقر (عليه السلام) بسند محمد بن مسلم، الكافي: ٩٧/١ ح٤٧٠.

(٤) التوحيد للصدوق: ١٥٢ ح٩، بحار الأنوار: ٢٦٠/٢٦ ح٣٨، نور البراهين، السيد الجزائري: ٣٨٧/١ ح٩ جميعاً عن أبي يعفور، كفاية الأثر: ٣٠٠، بحار الأنوار: ٢٢٠/٤٦ ح٧٧ عن أبي ←

فلم يخلق الخلق عبثاً وكذلك لم يتركهم بلا هادٍ أو سبيل، قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (إنَّ الله تبارك لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد)(١)

وروى الإمام الحسين عليه السلام أنَّ رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين بما عرفت ربك؟ قال عليه السلام: (بفسخ العزم ونقض الهمم، لما أن هممت حال بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي فعلمت أنَّ المدبر غيري)(٢).

ومن الأحاديث السابقة يفهم معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات ولا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)(٣)، وكأنما الحديث الشريف يقرر أنَّ معرفة الله تأتي حصراً عن طريق معرفة معصوم ذلك الزمان سواء كان رسولاً أو نبياً أو إماماً.

فإذا عرفنا أنَّ المعرفة هي: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره(٤)، أو هي التصور أو التصور البسيط(٥)، والمعرفة أخص من العلم لأنها علم بعين الشيء

بكير بلفظ آخر مقارب.

(١) علل الشرائع: ١/١٤، بحار الأنوار: ٥/٣١٢ بسند عن محمد بن عمارة.

(٢) التوحيد: ٢٨٨ رواها الإمام الباقر (عليه السلام)، بحار الأنوار: ٣/٤٢ رواها الإمام الصادق (عليه السلام).

(٣) الفصول العشرة، الشيخ المفيد: ١٩، ينابيع المودة: ٣/٤٥٦، قال: إنَّ الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة.

(٤) عدة الأصول، الشيخ الطوسي: ١/٦٦.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٦٠ مادة عرف.

مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً[١]، وعند العرفاء أنَّ المعرفة عبارة عن إحاطة العبد بعينه وإدراك ماله وماعليه، وهي أول المنازل العشرة التي تقع في نهايات منازل السائرين إلى الله تعالى[٢].

أدركنا القول المشهور: (من عرف الله أحبه)[٣]، وأدركنا قول السائر العاشق إلى الله تعالى المولى الشهيد عليه السلام وهو يخاطب ربه: (لك العتبى لك العتبى حتى ترضى)[٤]، وتكتمل مسيرة العارف السائر إلى الله، يخطها في كربلاء ولهفي عليه وخده على التراب، ويقول عليه السلام: (هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله وأنا مخضب بدمي)[٥]، فيناجي ربه وهو في تلك الصورة الفريدة: (صبراً على قضائك يارب لا إله سواك ياغياث المستغيثين مالي رب سواك ولامعبود غيرك)[٦].

---

(١) عدة الأصول، الشيخ الطوسي: ٦٦/١.

(٢) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٥٠٠.

(٣) قول مشهور للإمام الحسن الزكي (عليه السلام) تنبيه الخواطر، الحلواني: ٥٢.

(٤) من دعائه (عليه السلام) يوم عرفة، عن بشر وبشير ابني غالب الأسدي، ظ: الإقبال لابن طاووس: ٣٣٩، بحار الأنوار: ٢١٦/٩٨، مجمع الزوائد: ٣٥/٦، تاريخ ابن عساكر: ١٥٣/٤٩، ظ: معاني العتاب: كتاب العين، الفراهيدي ٧٦/٢ واستدلاله بقول الشاعر: ويبقى الحب مابقي العتاب: الشطر الثاني. مقتل السيد المقرم (رض): ٢٧٩.

(٥) مقتل السيد المقرم (رض): ٢٧٩.

(٦) أسرار الشهادة: الدربندي: ٤٣٣، رياض المصائب: ٣٣. ويمكن أن نقول في هذه اللوحة النادرة التي خطها أمير المؤمنين (عليه السلام) في محراب الكوفة، فأضفى عليها الحسين (عليه السلام) الألوان القدسية الملكوتية في صحراء كربلاء، فكانت لوحة خالصة مزينة بكل معاني التوحيد صدقاً وإخلاصاً وانطباقاً وتحققاً لتكون كعبة وقبلة للعارفين بالله فكان الجزاء الإلهي الأدنى، ظ. الأحاديث الواردة التي تخص الجزاء الإلهي، حديث الرسول صلى الله عليه وآله ←

دلالة على وجوب التسليم والانقياد والانقطاع إلى الله عز وجل في كل الأحوال وهذا لايتأتى إلا بعد الترقي في معرفة الله عز وجل، ويكون قلبه حرماً له عز وجل فمن كان كذلك حق للقلب أن يكون حرماً وبيتاً خالصاً لله تعالى فـ(القلب حرم الله فلا تُسكن في حرم الله غير الله)[١].

ثانياً: أدلة إثبات وجود الله (دليل النظام) أو (برهان التمانع) ونفي الشريك لله

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢].

روي عن بشر وبشير ابني غالب الأسدي قالا: كنا مع الحسين بن علي عليه السلام عشية عرفة، فخرج عليه السلام متذللاً خاشعاً فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته ومواليه في ميسرة الجبل مستقبلاً البيت ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين ثم قال عليه السلام: (... الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً فيكون موروثاً ولم يكن له شريك في ملكه فيضاده فيما ابتدع ولا ولي من الذل فيرفده فيما صنع فسبحانه سبحانه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ وتفطرتا سبحان الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[٣].

وسلم: إنَّ لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. وغيرها: مقتل الخوارزمي: ١/١٨٧، معالم المدرستين، السيد العسكري (قدس)،: ٣/٤٧.

(١) بحار الأنوار: ٦٧/٢٦ ح٢٧ حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)، جامع الأخبار، السبزواري: ٥١٨.

(٢) الأنبياء/ ٢٢.

(٣) إقبال الأعمال، ابن طاووس، ٢/٧٥ رواها عن مصباح الزائر للشيخ الطوسي، نور الثقلين،

دليل النظام هو أيسر الأدلة وأقربها إلى العقل والفطرة السليمة لإثبات وجود الله عز وجل، حيث إنَّ معنى النظام هو الائتلاف والإنسجام بين الأشياء باتساق وترتيب بحيث يؤدي كل شيء منها مهمة معينة وعندما يكون النظام يستكشف من ورائهِ المنظم والمخطط، وعند التدبر في مكونات هذا العالم نجد أنَّ النظام يسودها جميعاً، وحينئذ لابد من ربط هذا العالم المُنَظَّم بالمُنَظِّم الذي هو خالقه وموجده، وليس هو إلا الله عز وجل(١).

تحليل النص: الحيث الشريف بدأ بوصف الآداب الإسلامية التي يتصف بها الانسان المؤمن في لقائه مع خالقه، وحالة الخشوع في الحضرة المقدسة فكان عليه السلام يمشي هوناً هوناً، أي بطيئاً، فيرفع يديه سائلاً ربه ويستطعمه كاستطعام المسكين وهو وصف لحالة خشوعه عليه السلام بين يدي خالقه، فيبدأ بقوله عليه السلام الحمد لله، والحمد هو الثناء والشكر لله عز وجل على نعمه الكثيرة التي عجز العباد عن عدِّها وأي النعم التي يشكرها، فيقول عليه السلام مقرراً عجز المخلوق إمام الخالق: (فأي نعمك يا إلهي أحصي عدداً وذكراً، أم أي عطاياك أقوم بها شكراً وهي يارب أكثر من أن يحصيها العادون ويبلغ علماً بها الحافظون ولو حرصت أنا والعادون من أنامك أن نحصي...ما أحصيناه عدداً ولا أحصيناه أمداً هيهات أنى ذلك وأنت المخبر في كتابك الناطق والنبأ الصادق ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾)(٢)، ثم عليه السلام يذكر بعض النعم مثل كيفية خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً.

← الحويزي: ٥/٧٨، بحار الأنوار: ٩٤/٣٣، ، صحيفة الحسين (عليه السلام): ١٦٢.

(١) ظ. أصول العقيدة، السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله): ٧٥، معالم العقيدة الإسلامية: ٤٩.

(٢) دعاء عرفة: بحار الأنوار: ١٤/٣١٧ والآية، إبراهيم/٣٤، النحل/١٨.

النص: (الحمد لله لم يكن موروثاً) لوصفه الوراثة تنافي صفة الربوبية وصفة مالك الملك، ولأن الوارث والموروث هالك فان زائلٍ، والله يقول: {كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ}(١)، قال الإمام علي عليه السلام: (...لم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يولد فيكون إلهاً مشاركاً) قال ابن عباس أي: لم يلد ولداً فيرث عن ملكه، ولم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره)(٢).

ثم يعود عليه السلام فيقرر نفي الشريك لله عز وجل عبر استدلاله بآية البحث والآية الكريمة من أمهات الآيات التي يستدل بها أهل الكلام والفلسفة وأهل التفسير واللغة على إثبات وجود الله بما يسمى بـ(دليل النظام) أو (برهان التمانع). فأهل اللغة يرون أنّ (إلا) في الآية الكريمة بمعنى (غير) وأنّ المعنى يكون {لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا} ودليل ذلك قول الشاعر:

يابني لبيني لستما بيدٍ ألا يداً ليست لها عضدُ

فلو كان المعنى (إلا) لفسد الكلام فاسداً في المعنى، وبالتالي يذهبون إلى دليل النظام وليس برهان التمانع(٣)، ويمكن أن يكون برهان التمانع دلالة على أنّه صانع العالم واحد، لأنه لو كان هناك مانعٌ آخر لايجري تدبيرها على نظام ولايتسق على أحكام(٤).

(١) الرحمن/ ٢٦-٢٧.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٨٩/١٠ وينظر: شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري: ١٩٣/١.

(٣) معاني القرآن، الفراء: ٧٢/١ نقل رأي الكسائي أيضاً، الكتاب لسيبويه: ٣٦٢/١، تفسير القرطبي: ٢٤٦/١١، توحيد الإمامية، محمد باقر الملكي: ١-٢.

(٤) ظ. البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢٥/٢، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ←

يقول السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله): أما لو تعدد العقل المدبر، لكان لكل عقل نظامه الذي يخترعه، فلا تتناسق الأنظمة، بل يصطدم بعضها ببعض، ويؤول الأمر للفساد، كما قال عز من قائل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١).

ويمكن أن تقرر تلك المعاني الموجودة في الحديث الشريف وفي حالة وجود إله يؤدي إلى فساد التدبير من آيات أخرى من القرآن الكريم، وهو مايسمى بالدليل النقلي. قال تعالى:

١ - ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

٢ - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾(٣).

٣ - ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾(٤).

فالآية الأولى والثانية تثبتان استحالة تعدد الآلهة لما يحصل من التنازع والتخاصم في حالة تعدد الأرباب، فلو كان كما يزعم الكفار لابتغت

٣٥٨/٢، تفسير الثعالبي: ٨٤/٤، شرح المواقف، الجرجاني: ٦٤/٨ وقال في الآية: وهذا أبلغ مايكون من الحجاج وهو الأصل الذي عليه أثبت دلالة التمانع في علم الكلام.

(١) أصول العقيدة، السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله): ٧٣، وينظر: الاقتصاد للطوسي: ٤٩.

(٢) المؤمنون/ ٩١-٩٢.

(٣) الإسراء/ ٤٢.

(٤) النساء/ ٥٣.

الأرباب المزعومة من التنازع فيما بينها للوصول إلى مقاليد العرش أي الحكم، كما هو الحال في سيرة الملوك والسلاطين والأمراء وقادة الأحزاب بعضهم مع بعض، ومن ثم يؤدي إلى فساد النظام ويستحيل عليهم تدبير الكون ذلك التدبير المنظم[١]، (لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لايجري تدبيرهما على نظام، ولايتسق على أحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، فأما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض لاستحالة تجزء الفعل إن فرض الإتفاق أو الإمتناع اجتماع الضدين، إن فرض الإختلاف، وأما لاتنفذ إرادتهم فيؤدي إلى عجزهما، أو لاتنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لايكون عاجزاً)[٢].

خلاصة القول: إنَّ الآية الأولى والثانية استدلال على أنَّ صانع العالم واحد وبدلالة التمانع المشار إليه بآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ والذي أشار إليه الحديث الشريف: (ولم يكن له شريك في ملكه فيضاده فيما ابتدع ولا ولي من الذل فيرفده فيما صنع فسبحانه سبحانه). أما الآية الثالثة هي تبيان لعجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنَّه تعالى هو الكل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدبيره لخلقه سبحانه وتعالى علواً كبيراً[٣].

---

(١) ظ: أصول البيان في تفسير القرآن، الشنقيطي: ٣/٦ وينظر: جواهر الفقه القاضي ابن البراج: ٢٤٦، التفسير الكبير للرازي: ١٣/١٢١، البحر المحيط: ٤/٧٨، تفسير التبيان ٧/٢٣٩، مجمع البيان: ٦/٤١٧، جوامع الجامع: ٢/٣٧٥، تفسير الكشاف: ٢/٥٧٠، فتح القدير: ١/٥، شرح المواقف للجرجاني: ٢/١١٨، ٣/٧٨، بحار الأنوار: ٩/١١٨.

(٢) البرهان، الزركشي: ٤/٨٤، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/٣٥٨ وينظر شرح المواقف: ٨/٦٤، الملل والنحل: ٢/٢٠٧، كشف المراد، العلامة الحلي: ١/٢٢٨.

(٣) ظ: هذه المعاني في: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٥٤، أصول العقيدة ٧٥-٧٧، محاضرات ←

قيل للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ما الدليل على أنّ الله واحد؟ قال عليه السلام: (إتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عز وجل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[1]، وهو إشارة على دليل النظام أو برهان التمانع أو التلازم، وكذلك إشارة إلى التوحيد في التدبير وأنّه لامدبر سواه أي ليس في الكون خالق ومدبر مستقل سواه وأنّ قيام الأشياء الأخرى بدور الخلقة والتدبير هو على وجه التبعية لإرادته سبحانه.

كذلك يمكن تقريب دلالة الآية الكريمة باستخدام المنهج العقلي لإثبات وجود الله واستحالة تعدد الإله، إذ إنّ الحكم العقلي هنا يكون على ثلاثة أحكام:

الأول: الواجب عقلاً.

الثاني: المستحيل عقلاً.

الثالث: الجائز عقلاً.

ولبرهنة حصر الحكم العقلي في الثلاثة أعلاه: إنّ الشيء من حيث هو شيء لايخلوا من واحد من الحالات الثلاث:

١ - إما أن يكون العقل يقبل وجوده، ولايقبل عدمه بحال.

٢ - وإما أن يكون يقبل عدمه ولايقبل وجوده بحال.

٣ - وإما أن يكون يقبل وجوده وعدمه معاً.

← في الإلهيات، السبحاني: ١٩-٢٤، وينظر: تفسير الأمثل، الشيرازي ١/١٤٤، أضواء البيان: ٣/٦١، توحيد الإمامية، محمد باقر الملكي: ٢٠١.

(١) التوحيد، الصدوق: ٢٥٠، نور البراهين، الجزائري: ٢/٤٩ ح٢، تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/٧٨٠.

فإن كان العقل يقبل وجوده دون عدمه فهو الواجب عقلاً وذلك كوجود الله تعالى متصفاً بصفات الجمال والجلال، فإنّ العقل السليم لو عرض عليه وجود خالق هذه المخلوقات لقبله ولو عرض عليه عدمه وأنّها خلقت بلا خالق لرفضه فهو واجب عقلاً.

وأما إن كان يقبل عدمه دون وجوده فهو مستحيل عقلاً، كشريك الله سبحانه وتعالى عن ذلك، فلو عرض على العقل السليم عدم شريك لله في ملكه وعبادته لقبله، ولو عرض عليه وجوده لم يقبله بحال، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقال تعالى: ﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ فهو مستحيل عقلاً.

وأما إن كان العقل يقبل وجوده وعدمه معاً فهو الجائز العقلي، ويقال له: الجائز الذاتي، كأيمان أبي سفيان فإنَّه لو عرض وجوده على العقل السليم لقبله، وعرض عليه عدمه بدل وجوده لقبله أيضاً[١]، فهو جائز عقلاً جوازاً ذاتياً ولاخلاف في التكليف بهذا النوع الذي هو الجائز[٢].

(١) يمكن قبوله بعد أن شهد الشهادتين ولو مجبراً، ويمكن عدمه بعد إنكاره خلق الجنة والنار والنبوة وغير ذلك، لما بويع عثمان بن عفان، قال أبو سفيان: (تلقفوها تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولانار) فهو دلالة على كفره: ظ: تاريخ الطبري: ٨/١٨٥، الكامل في التاريخ: ٥/١٦٥-١٦٦، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ٦/٣٥٥، الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي: ١/٣٥٤.

(٢) ظ هذا الدليل باختلاف الألفاظ: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر المتألهين الشيرازي: ٣/٤ ومابعدها، شرح المقاصد في علم الكلام التفتازاني: ٢/٦٣، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي: ٧٩، نهاية الحكمة، السيد الطباطبائي (قدس): ١٩٨، وينظر أيضاً: تفسير البيضاوي: ١/٢٠٠ ، تفسير الآلوسي: ١/١٩٦ وسمّى هذا الدليل دليل التلازم، أضواء البيان: ٦/١١.

وبتتبع الرواية الشريفة من دعاء عرفة، تجد الإمام السبط عليه السلام يستعمل النهج العقلي لبيان قبح المنكرين لوجود الله عز وجل وفساد رأيهم ويعيب عليهم هذا الجحود، فيقول عليه السلام في دعاء عرفة: (متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لاتراك عليها رقيباً)[١].

وفي ختام البحث في دليل النظام بالاستدلال بالحديث الشريف، يمكن أن نقول: إنّ هذا الدليل هو أيسر الأدلة لإثبات وجود الله تعالى، حيث لايحتاج إلى مقدمات صعبة معقدة وفنية، لذا يمكن إدراكه من قبل جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية وفهمه واستيعابه لأنه يوجه الإنسان بصورة مباشرة إلى ذلك الخالق المنظمِ المدبر لسير الأملاك السماوية والهواء والريح والشمس والقمروالنبات، فضلاً عن الأسرار الموجدة في خلقة الإنسان، قال تعالى: { قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ }[٢]، ولأن برهان النظم يعد من البراهين الآنية التي ينتقل فيها المستدل من المعلول إلى علته، وفي المقام ينتقل المستدل من النظام (المعلول) إلى الناظم والخالق والموجد له (العلة) وبذلك يثبت المطلوب[٣]، خلافاً لكثير من الأدلة والبراهين الفلسفية والكلامية والتي تحتاج إلى مقدمات عقلية، لذا لجأ الإمام الحسين عليه السلام إلى عرض هذا الأسلوب الفني الرائع بالاستدلال بدليل النظام على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، بعد أن انتشرت التيارات الملحدة والكافرة بين المسلمين وبتشجيع من

---

(١) بحار الأنوار: ٩٥/٢٢٦ دعاء عرفة ذكر في عدة أجزاء من هذا الكتاب.

(٢) يونس/ ١٠١.

(٣) ظ: المنطق، الشيخ المظفر: ٤٠ ، معرفة الله عز وجل، محاضرات، السيد الحيدري: ١/٣٤٧.

الحكومات الفاسدة، لذا عليه السلام يقرر في رواية مقدمة البحث أنَّ معرفة الله عز وجل تأتي عن طريق حجة الله على خلقه[1]، وهذا دليل على حرص الإمام الحسين عليه السلام في الحفاظ على عقائد المسلمين من العقائد الضالة والمتحيرة، وحتى لايقع المسلمون في شرك الضلال، وإنَّ من تتبع دعاء عرفة يجد الكثير من البراهين العقلية والأدلة على إثبات وجود الله وبما أنَّ منهج البحث تفسيري لذا لن نشير إلى الأدلة الأخرى.

ثالثاً: الصفات الإلهية

معنى صفات الله أي المعاني والمضامين التي يشار بها إلى الذات الإلهية إثباتاً ونفياً، وقد تشعبت الآراء والاتجاهات في فهمها كآراء الإمامية والمعتزلة والأشاعرة والفلاسفة والكرامية، وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الثبوتية وتسمى (الجمالية) أو (الكمالية) وتنقسم بدورها إلى فرعين:

١-صفات الذات، وهي التي يتصف بها الباري عز وجل ولايجوز أن يتصف بنقيضها فالله تعالى واحد لايجوز أن يكون له شريك، ومنها أيضاً العلم والقدرة والحياة والإرادة.

٢-صفات الأفعال: وهي الصفات التي يمكن الاتصاف بها وبأضدادها، فالله تعالى يحيي لكنه مميت ورازق ومفقر[2].

---

(١) علل الشرائع للصدوق: ٩/١، كنز الفوائد: ١٥١، بتفاوت يسير إثبات الهداة: ٢٧٥/١ ح٢٩٤ قطعة منه تنبيه الخواطر: ٨ ح٣، بحار الأنوار: ٣١٢/٥ ح١ و٢٣ ٨٣ح٢٢و ٩٣ ح٤٠.

(٢) ظ. عقائد الإمامية الشيخ المظفر: ٣٨، البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي (قدس): ٤٣٠، محاضرات في العقيدة الإسلامية، الشيخ البهادلي: ٣٩١/٢.

القسم الثاني: الصفات السلبية (الخبرية الجلالية) وهي الصفات التي لايصح نسبتها لله تعالى والتي سلبت عنه كل أمر لايليق به وأبرزها نفي الشرك وامتناع التشبيه والرؤية، وقد اختلف العلماء في العلاقة بين الصفات والذات على أقوال[١]، ونتيجة هذا الاختلاف نشأت مدرستان مدرسة التأويل ومدرسة الإثبات ولكل رأيه ودليله، وفيما يلي نماذج تفسيرية في الصفات الإلهية.

١- قال تعالى: { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }[٢].

روى الصدوق والطبرسي والحر العاملي والبحراني والمجلسي بإسناد عن وهب بن وهب القرشي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن أبيه زين العابدين عليه السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن (الصمد) فكتب إليهم: (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولاتجادلوا فيه، ولاتتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وانّ الله سبحانه قد فسر الصمد فقال: (الله أحد الله الصمد) ثم فسره فقال: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }

(١) ظ. كشف المراد، العلامة الحلي (رض): ٣٠٥-٣٢٤، شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري: ٣٠-٣٤، البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي (قدس): ٤٣٠، محاضرات في العقيدة الإسلامية، الشيخ البهادلي: ٣٩١/٢، معالم العقيدة الإسلامية، مؤسس السبطين: ٥٦ ومابعدها.

(٢) الإخلاص/ ١-٤.

(لم يلد) لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء التي تخرج من المخلوقين، ولاشيء لطيف كالنفس ولايتشعب منه البدوات والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف (ولم يولد) لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار، لا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والتميز من القلب، وكالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد)[١].

قال الباقر عليه السلام: حدثني زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنَّه قال: (الصمد الذي لاجوف له، والصمد الذي قد انتهى سؤدده، والصمد الذي لايأكل ولايشرب، والصمد الذي لاينام والصمد الدائم الذي لم يزل ولايزال)[٢].

تحليل النصين: الروايتان الشريفتان أشارتا إلى التوحيد الذاتي وجمعت فيهما صفات الذات والفعل وذلك بإثبات التوحيد الأحدي بنفي التركيب

---

(١) التوحيد: ٩٧ ح٥/ مجمع البيان: ١٠/٤٣٦، وسائل الشيعة: ١٨/١٤ ح٣٥ البرهان في تفسير القرآن: ٤/٥٢٥ ح٩، بحار الأنوار: ٣/٢٢٣ ح٤،

(٢) التوحيد للصدوق: ٩٧ ح٣ الرواية رويت بطريقين.

عنه ويدل على ذلك قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١]، وكذلك بإثبات التوحيد الواحدي الذي يرجع إلى نفي الوحدة العددية وإثبات الوحدة الحقيقة كما مرَّ في التمهيد، وقد أثبت الإمام الحسين عليه السلام الصفات الحقة لله عز وجل فنفى عنه التشبيه والتجسيم فهو ليس مثله شيء، ومن المعاني التي أشار إليها عليه السلام في الصمد:

١-الذي لاجوف له أي أنَّه كامل ليس فيه جهة إمكان أو نقصان.

٢-الصمد الذي قد انتهى سؤدده أي في غاية السؤدد فلا نهاية لسؤدده لأن سؤدده غير محدد، قال البخاري: العرب تسمي أشرافها الصمد، وهو السيد الذي انتهى سؤدده[٢]، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، قال الشاعر:

علوته بحسام ثم قلت له ... خذها حذيف فأنت السيد الصمد[٣]

وقول الآخر:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد[٤]

٣-الصمد الذي تنزه عن مشابهة المخلوقين فهو: لايأكل لايشرب لاينام، لايخرج منه، فهو ليس كمثله شيء.

٤-الصمد: الدائم الباقي بعد فناء خلقه، فهو لم يزل ولايزال، ماخلق للفناء بمشيئة، ويبقى ماخلق للبقاء بعلمه، وهناك معانٍ أخرى أيضاً، والصمد

(١) الإخلاص/ ٤.

(٢) صحيح البخاري: ٤٤٧/٣ وينظر: كتاب العين، الفراهيدي: ٣٤/٢، المحيط في اللغة: ٢١٦/٢.

(٣) ظ: الصحاح في اللغة للجوهري: ٣٩٦/١، القاموس المحيط: ٢٩١/١ واستدلالهم.

(٤) ظ. المخصص لابن سيده: ١٠١/٣، شرح شافية الحاجب: ١٤٠/٤، لسان العرب: ٢٥٨/٣.

في اللغة القصد، صمده صمداً أي قصده[١]، وهو المكان المرتفع الغليظ[٢].

تبين أَّ الصمد مفهوم واسع ينفي كل صفات المخلوقين عن ساحته المقدسة ولأنَّه أصمدت إليه الأمور، فلم يقضِ فيها غيره، ونستنتج من بداية السورة بـ(قل) أنَّ هناك سبباً يخص التوحيد فنزلت هذه السورة لبيان التوحيد[٣] ولذا لما سأل الإمام الحسين عليه السلام عن الصمد بدأ من بداية السورة المباركة فقال: (الله أحد) أحدي الهوية والإلوهية فهو جل جلاله:

١-أحدي الذات: إذ لاجزء له، فنفى التركيب عنه، بل هو مجرد في حقيقة معناه، يقول السيد الطباطبائي (قدس): (ومن هنا وجه دخول اللام في الصمد لإفادة الحصر، فهو تعالى وحده الصمد، على الإطلاق بخلاف (أحد) بما تفيده من معنى الوحدة الخاصة لايطلق فيها لإثبات على غيره تعالى فلاحاجة فيه إلى عهد أو حصر)[٤].

٢-أحدي الصفات: فصفاته عين ذاته، بل لاتزيد عن ذاته، فإن تعددت فهي تعبيرات شتى عن ذات واحدة مجردة غير مركبة، فالتركيب آية الحاجة، والحاجة آية الحدوث، فهو واحد لاتزيد صفاته على ذاته لاجوهراً على ذات ولامعنى زائداً على ذات، ولا أي شيء - غير ذاته - على ذاته[٥].

٣- أحدي الأزلية: فلا أزلي سواه، فكل من سواه معلل إلا هو.

---

(١) ظ. أساس البلاغة: ١/٢٦٦، الصحاح في اللغة: ١/٢٩١.

(٢) ظ. الصحاح في اللغة: ١/٢٩١.

(٣) ظ. سبب نزول الآية: مسند أحمد: ٥/١٣٣، المستدرك للحاكم: ٩/٢٢٨.

(٤) تفسير الميزان: ٢٠/٣٩١.

(٥) ظ. نهاية الحكمة للسيد الطباطبائي (قدس): ٣٤٨، الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي: ١٨٣، الفرق بين الفرق، البغدادي: ٧٩، عقائدنا، الصادقي: ١٥٢.

٤- أحـــدي في الخالقيـــة: { قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }[١].

٥-أحدي في المعبودية: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ }[٢].

ثم فسر عليه السلام الصمد فقال: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ }[٣]، فنفى التوليد والولادة، وهو القول الفصل في صمديته عز وجل، قال الإمام الحسين عليه السلام في رواية أخرى: (لايوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد ماتصور في الأوهام فهو خلافه، ليس برب من طرح تحت البلاغ ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء)[٤].

وقد تظافرت الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في تفسير الصمد، فعن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم: (الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لأنه ليس شيء يولد الا سيموت، وليس شيء يموت إلى سيورث، وانّ الله لايموت ولايورث { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يكن له شبيه ولاعدل)[٥].

وقال الإمام علي عليه السلام في خطبة له: (الواحد الأحد الصمد الذي لايغيره صروف الزمان)[٦]، وقال الباقر عليه السلام كان محمد ابن الحنفية

(١) الرعد: ١٦.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) الإخلاص/٤.

(٤) تحف العقول للحراني: ١٧٣.

(٥) المستدرك للحاكم: ٢٨٨/٩ قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) الكافي للشيخ الكليني ٧٢/١١ ح٣٤٥، التوحيد للصدوق: ١٧ (الذي لم تغيره صروف الزمان).

يقول: (الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره، وقال غيره: الصمد المتعالي عن الكون والفساد والصمد الذي لايوصف بالتغاير)، قال الباقر عليه السلام: (الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناه)[١]، وعن جابر بن يزيد الجعفي[٢] عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (صمد قدوس يعبده كل شيء ويصمد إليه كل شيء)[٣].

قال الكليني (ره): وهو هذا المعنى الصحيح في تأويل الصمد لا ما ذهب إليه المشبهة في أنَّ تأويل الصمد المصمت الذي لاجوف له لأن ذلك لايكون إلا من صفة الجسم فالعالم عليه السلام - يعني الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - أعلم بما قال وهو الذي قال عليه السلام: إنَّ الصمد السيد المصمود إليه، وهو معنى صحيح مرافق لقول الله عز وجل (ليس كمثله شيء) والمصمود إليه المقصود في اللغة قال أبو طالب رضي الله عنه في بعض ماكان يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشعر:

وبالجمرة القصوى إذا صمدوا لها يؤمون رضخاً رأسها بالجنادل

يعني قصدوا نحوها يرمونها بالجنادل الحصى الصغار التي تسمى الجمار.

---

(١) التوحيد للصدوق: ٩٧/ح٣.

(٢) جابر بن يزيد الجعفي: من أصحاب الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) وفد على الإمام الباقر (عليه السلام) وتلقى منه العلوم والمعارف، قيل إنه روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) سبعين ألف حديث، ظ. ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣٨٣/١ وهو ثقة عند الفريقين ووصف بأنه من أورع الناس وصدوق في الحديث وغير ذلك من الأوصاف: ظ تهذيب التهذيب: ٤٧/٢، رجال ابن داود: ٥٦/١ معجم رجال الحديث: ٢٤٩/٤.

(٣) الكافي: ٦٦/١/ ح٣٢٣ وأبي جعفر الثاني (عليه السلام): ح٣٢٢.

وقال آخر:

ماكنت أحسب إنَّ بيتاً ظاهراً　　لله في أكناف مكة يصمد

أي يقصد هو السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن والإنس إليه يصمدون في الحوائج واليه يلجئون عند الشدائد)[١].

إلى غيرها من الروايات الشريفة والتي تبين مجموعها اهتمام النبي وأهل بيته (عليهم السلام) بهذه السورة المباركة وبالصمد خاصة لأنها تخص عقيدة التوحيد الخالصة وتهدم العقائد الفاسدة التي تؤمن بالتركيب والتعدد {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا}[٢]، وهذه المعاني واضحة في بيان سبب نزول السورة المباركة[٣]. وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسبة الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل شيء نسبة وأن نسبة الله (قل هو الله احد)[٤] وأنَّ جميع المعاني الموروثة سواء في اللغة أو في الحديث يرجع أصلها إلى رواية الإمام الحسين عليه السلام في تفسير هذه السورة المباركة وفي تفاسير الفريقين أيضاً[٥]، ونختم الحديث في السورة برواية علي بن مهرويه القزويني عن الإمام الرضا

---

(١) الكافي: ١/٦٦ ح٣٢٣.

(٢) المائدة/ ٧٣.

(٣) ظ. تفسير القمي: ٤٤٨، تفسير فرات: ٦١٧، تفسير الطبري: ١٤/١٤١، تفسير السمرقندي: ٢/٥٣، أسباب النزول، الواحدي: ٣١٠، التسهيل لعلوم التنزيل الغرناطي: ٤/٢٢٣.

(٤) موسوعة العقائد الإسلامية، الريشهري: ٣/٣٦٠.

(٥) ظ. تفاسير مدرسة الصحابة: تفسير الطبري: ١٤/١٤١، تفسير الكشاف للزمخشري: ٤/٣٣٧، تفسير الآلوسي: ٥/٢٦٤، ١٢/٩٨، الدر المنثور للسيوطي: ١٠/٣٩٢، فتح القدير، الشوكاني: ٨/٨٥، التبيان في تفسير غريب القرآن شهاب الدين المصري: ١/٤٨٢ وكأنما نقلوا رواية الإمام الحسين (عليه السلام) بإسناد آخر.

عليه السلام عن آبائه عن جده الحسين بن علي عليه السلام قال: إنّ يهودياً سأل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: (أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لايعلمه الله، فقال عليه السلام: (أما مالايعلمه الله فذلك قولكم معشر اليهود (إنّ عزيزاً ابن الله) والله لايعلم له ولد، وأما قولك ماليس لله، فليس لله شريك، وقولك ماليس عند الله، فليس عند الله ظلم للعباد، فقال اليهودي: أشهد أن لا اله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله...)[1].

٢ - قال تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3].

روى الحراني وغيره: أن الإمام الحسين عليه السلام خطب قائلاً: (أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين (يشبهون الله بأنفسهم، يضاهؤون قول الذين كفروا من أهل الكتاب)، بل هو الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ استخلص الوحدانية والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والعلم بما هو كائن، لامنازع له في شيء من أمره، ولا كفو له يعادله، ولاضد له ينازعه، ولاسمي له يشابهه، ولا مثل له يشاكله لاتتداوله الأمور، ولاتجري عليه الأحوال، ولاتنزل عليه الإحداث، ولايقدر الواصفون كنه عظمته ولايخطر على القلوب مبلغ جبروته، لأنه ليس له في الأشياء عديل، ولاتدركه العلماء بألبابها ولاأهل

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/٤٦، التوحيد: ٣٧٤.

(٢) الأنعام/ ١٠٣.

(٣) الشورى/ ١١.

التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب لأنه لايوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد، ماتصور في الأوهام فهو خلافه، ليس برب من طرح تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء او غير هواء... ليس بقادر من قارنه ضد أو ساواه ند ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أممه، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وعمن في السماء احتجابه عمن في الأرض... لا يحله في ولاتوقته إذ ولاتؤامره إن، علوه من غير توقل، ومجيئه من غير تنقل (ولاتجتمع لغيره الصفتان في وقت... به توصف الصفات لابها يوصف وبه تعرف المعارف لابها يعرف، فذلك الله لاسمي له سبحانه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[(١)].

تحليل النص: الرواية الشريفة سماها العلماء بـ (جوامع التوحيد)[(٢)]، وفيها تحذير من الفكر المنحرف كالمارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم أيضاً (يضاهؤون قول الذين كفروا من أهل الكتاب) وهذه إشارة إلى وجود انحرافات خطيرة حلت بالفكر الإسلامي منذ عهد مبكر، ودلالة أيضاً على الوقوف بوجه هؤلاء المشبهة، ومن هذه الأصناف (المارقة)[(٣)] وهو أسم أطلق

---

(١) تحف العقول: ١٧٣-١٧٤، بحار الأنوار: ٤/٣٠٠-٣٠٢، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) الشيخ هادي النجفي: ١٢٣/٦، صحيفة الحسين (عليه السلام): ٢٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠٢/٤، حياة الحسين (عليه السلام) القرشي: ١٤٩/١.

(٣) المارقة: المارقين هم الذين استحلوا قتال خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي (عليه السلام) منهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير التغلبي، المعروف بذي الثدية، وقد قتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بيده الشريفة، وتعرف تلك الوقعة بـ (يوم النهروان) والنهروان أرض من العراق على مسافة (٣٠كم) شرقي ديالى (قزانية). ظ: تاريخ الطبري: ٦٨/٤، الكامل في التاريخ: ٣٤٧/٣، البداية والنهاية: ٣٢٢/٦ وينظر ترجمة مسروق ←

على الخوارج لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[١].

والذي يمرق من الدين، أي: يجوزه ويتعداه، قال الطبراني: المارق: الخارج من دينه والنافذ في كل شيء لايتعوج فيه[٢]، وفي حديث وصف الأئمة (عليهم السلام): (الراغب عنكم مارق)[٣].

التشبيه، لغة: تشابه الشيئان أشبه كل منها الآخر[٤]، وفي الاصطلاح: هو تشبيه ذات الله تعالى بشيء من مخلوقاته.

والتشبيه بدأ بعهد مبكر في زمن الدولة الإسلامية وخصوصاً في زمن عمر بن الخطاب بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول اليهود والنصارى في الإسلام، ثم اتسعت فكرة التشبيه في عهد الدولة الأموية لأغراض سياسية، ولم يكن ذلك في عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهد أبي بكر، وفي رواية عن ابن عباس أنَّه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوماً، وعنده كعب الأحبار، إذ قال عمر: (ياكعب! أحافظ أنت التوراة؟ قال كعب: إنّي لأحفظ منها كثيراً، فقال رجل من جنبه: يا أمير المؤمنين، سله

الأجدع في رواة الإمام الحسين (عليه السلام).

(١) صحيح البخاري: ١١٥/٦، صحيح مسلم: ١١١/١، مسند أحمد: ٨٨/١. وينظر: الفائق في غريب الحديث: ٢٧١/٢ الرواية بأكثر من عشرة أسانيد.

(٢) المعجم الوسيط: باب الميم: ٦٥٠/٢، مجمع البحرين: ١٨٥/٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٦/٩٩ الراغب عنكم: الذي لايأخذ منهجكم وطريقكم: مجمع البحرين: ١٩٤/٤.

(٤) المعجم الوسيط: ٤٧١/٤.

أين كان الله جل جلاله قبل أن يخلق عرشه؟ وممن خلق الماء الذي جعل عليه عرشه؟ فقال عمر: ياكعب! هل عندكم من هذا علم؟ فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين نجد في الأصل الحكيم أنَّ الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش، وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء قال ابن عباس: وكان علي ابن أبي طالب عليه السلام حاضراً فعظم ربه وقام على قدميه ونفض ثيابه، فأقسم عليه عمر، أن يعود إلى مجلسه، ففعل، فقال عمر: غص عليها ياغواص، مايقول أبو حسن فما علمتك إلا مفرجاً للغم، فالتفت علي عليه السلام إلى كعب فقال: غلط أصحابك وحرفوا كتب الله وفتحوا الفرية ياكعب! ويحك! إن الصخرة التي زعمت لاتحوي جلاله، ولاتسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لايحوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه ياكعب! ويحك! إن من كانت البحار تفلته على قولك كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنَّه حل فيه.. فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الأمر، وهكذا يكون العلم لا كعلمك ياكعب، لاعشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن)(١).

والتشبيه محال عقلاً وشرعاً، لما فيه جرأة على خالق الخلق ومدبر الأكوان فكيف يشبه الخالق العظيم بسائر الممكنات التي يلاحقها العدم ويطاردها الفناء فالقرآن الكريم ينفي في كثير من آياته المباركة وكذلك السنة المطهرة تشبيه الخالق بمخلوقاته، ونذكر هنا جملة من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية وكذلك العقلية على استحالة التشبيه.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦/٢٢٢، ح٦.

أولاً: أدلة القرآن الكريم، ونختار نماذج من القرآن الكريم

١ - قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١).

٢ - قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

فكيف يكون المخلوقان عزير وعيسى (عليهما السلام) ولدين لله تعالى، وهو الإله الغني المطلق، وكيف يكون ذاك الولد الفقير المحتاج المحدود الممكن المركب العاجز الحادث شبيهاً لله تعالى الكامل المطلق؟ هذا محال عقلاً لانتفاء الشبه بين المخلوق وبين الله تعالى - الأب كما يدعون - فإذا انتفى الشبه انتفت النبوة والأبوة معاً، بل لاشبيه له في الوجود، إذ إنَّه تعالى الخالق وماسواه مخلوق حادث فقير محتاج (٣).

١ - ومن الآيات التي تنفي الرؤية فضلاً عن آية البحث (لاتدركه الأبصار) قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

---

(١) التوبة/ ٣٠.

(٢) الأنعام/ ١٠١.

(٣) تفسير الآيتين الكريمتين: ظ. تفسير التبيان للطوسي: ٢١٩/٤ و١٩٨/٥ تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤٨٨/٥ و٤١٤/٢ تفسير الالوسي: ٥٩/٥، و٢١٦/٢ وينظر: مجمع البيان: ٣٤/٥، تفسير الميزان: ١٥٠/٣ بحث فلسفي (قالت اليهود عزير...)

(٤) الأعراف/٤٣ وقد استدل المعتزلة بهذه الآية على عدم جواز رؤية الله مطلقاً في الدنيا والآخرة ←

٢ - الآية التي تنفي الحاجة التي هي من صفات المخلوقين كما في قوله تعالى: { يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ }[١].

٣ - الآية التي تنفي فناءه، وفي المقابل فناء كل مخلوق قال تعالى: { كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ * وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ }[٢]. فالآيات الكريمة بعمومها تنفي الشبه بين الخالق والمخلوق.

ثانياً: أدلة السنة المطهرة

١ - الحديث القدسي الشريف: (ماعرفني من شبهني بخلقي)[٣].

٢ - عن الإمام علي عليه السلام قال: (وأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت من محكمات آياتك)[٤].

٣ - عن الإمام الصادق عليه السلام: (من شبه الله بخلقه فهو مشرك،

لقوله (لن تراني) وبسائر الآيات التي تنفي الرؤية، أما الأشاعرة فقد استدلوا بالتنظير الواقع في قوله: (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) وبما في غيرها من الآيات وبعض الروايات من جواز الرؤية في الآخرة. ظ. التوحيد، الماتريدي: ٧٤، التوحيد لأبي معين النسفي ١٦٠-١٦١، الأصول الخمسة عبد الجبار المعتزلي: ٢٠٥، رؤية الله، السبحاني: ٥ ومابعدها.

(١) فاطر/ ١٥.

(٢) الرحمن: ٢٦-٢٧.

(٣) التوحيد، للصدوق: ٦٨ ح٢٣، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/١١٦ ح٤، أمالي الصدوق: ٥٥ ح١٠، مشكاة الأنوار، المجلسي: ٣٩/٥ كلها مروية عن الريان بن الصلت عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عليهم السلام.

(٤) نهج البلاغة: ح٩١، التوحيد: ٥٤ ح١٣ رواه مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن الإمام علي (عليه السلام).

إنَّ الله تبارك وتعالى لايشبه شيئاً ولايشبهه شيء، وكل ماوقع في الوهم فهو بخلافه)[١].

٤ - عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: (للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب، نفي وتشبيه وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لايجوز ومذهب التشبيه لايجوز لأن الله تبارك وتعالى لايشبهه شيء، والسبيل الطريقة الثالثة: إثبات بلا تشبيه)[٢].

روى البخاري ومسلم بإسنادهم عن مسروق، قال: (قلت لعائشة، يا أماه هل رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه؟ فقالت: لقد قف شعري[٣] مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، ثم قرأت {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[٤]. {وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ}[٥].. ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين[٦].

فالنص السابق المروي عن عائشة وهو على شكل محاورة علمية يفهم

(١) التوحيد للصدوق: ٨٠ ح٣٦، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٠٤ عن المفضل بن عمر.

(٢) تفسير العياشي: ١/٣٥٦ ح١١، التوحيد: ١٠١، ح٨، موسوعة العقائد الإسلامية، الريشهري: ٥/٢٩٣.

(٣) قف شعري: قام وارتفع من الفزع والاستعظام: تفسير غريب الصحيحين: ١/٢٦٥.

(٤) الأنعام/١٠٣.

(٥) الشورى/٥١.

(٦) صحيح البخاري: ١/١٦٥ ح٤٨٥٥، صحيح مسلم: ١/٨٨ ح٢٨٩، وقد اعترض على هذا الرأي: أنه رأيٌ وليس رواية فإنّه نفي لإثبات مقدم، كذلك وجود أخبار تؤكد جواز الرؤية بالآخرة، وأنّ هذا الأمر كان ليلة المعراج والمعراج قبل الهجرة وعائشة تزوجت بعد الهجرة بسنتين: ظ المتسلسل من حديث الصحيحين: ٤/٣٦٢.

منه أنَّ عائشة تنفي رؤية الله مطلقاً، وذلك مأخوذ من كلامها (لقد قف شعري مما قلت) واستدلالها بالآيةالكريمة حيث فسرت الإدراك بمعنى الرؤية، ثم قالت إنَّه صلى الله عليه وآله وسلم رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين وجبريل عليه السلام سفير الله إلى أنبيائه عليهم السلام وهو غير الله عز وجل من مخلوقات الله عز وجل.

يقول محمد رشيد رضا بعد ذكر الحديث: فعلم من هذا أنَّ عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث، وتنفي جواز الرؤية مطلقاً أو في هذه الحياة الدنيا بالإستدلال بقوله تعالى: (لاتدركه الأبصار) وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1].

إنَّ عائشة تريد أن تقول: يا مسروق كيف تعتقد برؤية الله تعالى؟ ألم تسمع كلام الله لاتدركه؟ ألم تعرف أنَّ الله لايكلم البشر مباشرة إلا وحياً أو من وراء حجاب! فاذا كان الكلام مباشرة لايجوز، فكيف تجوز الرؤية؟ كذلك أنَّه لو كانت الرؤية في الآخرة ثابتة، أو كانت عقيدة يطالب المسلمون الإيمان بها لما جهلتها عائشة.

وقد يطرح أحدٌ إشكالاً ما على قول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: (أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟! ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لاتراك عليها رقيباً)[2]، عند الوقوف على

---

(١) الشورى/ ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠٢/٤.

الكلمة الأخيرة (عميت عين لاتراك عليها رقيباً)(١)، فإنَّه عليه السلام لم يكن بصدد الدعاء بالعمى على من لم ير الله تعالى، بل إنَّه بصدد الإخبار عن عمى العيون التي لاترى الله سبحانه، فإنّه معلوم عنده عليه السلام أنَّ الذي لايرى الله تعالى عينه عمياء لأنه تحصيل حاصل، ولذاكان عليه السلام بصدد الإخبار لا الإنشاء(٢).

ولذا فإن المعنى المقصود به هو أعمى البصيرة لا البصر، وهو ما أثبته الخالق جل ذكره في كتابه الحكيم: {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(٣) وقال عز من قال: {قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى}(٤).

يقول الحيدري في تعليقه على الآية الأخيرة: (إنَّ الإنسان الأخروي يأخذ صورته الباطنية لا الظاهرية في الدنيا، وحيث إنَّه كان أعمى البصيرة فكذلك يحشر)(٥).

ويقول الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى (ومايستوي الأعمى والبصير) معناه: لايستوي الأعمى عن طريق الحق والعادل عنها، والبصير الذي يهتدي إليها قط(٦).

وروى الخزار القمي بإسناد عن هشام، قال: كنت عند الصادق جعفر

(١) تفسير المنار: ٩/١٣٤ وينظر أيضاً: صحيح ابن حبان: ١/٢٥٩، تفسير الرازي: ١٣/١٠٥.

(٢) ظ. معرفة الله، السيد الحيدري: ٢/٩٠.

(٣) الحج/ ٤٦.

(٤) طه/ ١٢٥-١٢٦.

(٥) معرفة الله: ٢/٩١.

(٦) تفسير التبيان: ٨/٤٢٣. والآية في سورة فاطر/١٩، غافر/ ٥٨.

ابن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية: يابن رسول الله! ماتقول في الخبر الذي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه، على أي صورة رآه؟ وعن الحديث الذي رووه أنّ المؤمنين يرون ربهم في الجنة على أي صورة يرونه؟ فتبسم عليه السلام ثم قال: (يافلان ما أقبح بالرجل سيأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه، ثم لا يعرف الله حق معرفته! يامعاوية! إنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم ير ربه تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وأنّ الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عني برؤية القلب فهو مصيب، ومن عني برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من شبهه بخلقه فقد كفر، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له: يا أخا رسول الله! هل رأيت ربك؟ فقال عليه السلام كيف أعبد من لم أره، لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، وإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر، فإن كان من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولابد للمخلوق من خالق، فقد جعلته إذاً محدثاً مخلوقاً، ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكاً، ويلهم! ألم يسمعوا بقول الله تعالى {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[1] وقوله {لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انظر إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}[2]، وإنما اطلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم الخياط، فدكدكت الأرض وصعقت الجبال (وخر موسى صعقا) أي ميتاً (فلما

(١) الأنعام/ ١٠٣.

(٢) الأعراف/ ١٤٣.

أفاق) ورد عليه روحه (قال سبحانك تبت إليك) من قول من زعم أنَّك تُرى، ورجعت إلى معرفتي بك أنَّ الأبصار لا تدركك (وأنا أول المؤمنين) وأول المقرين بأنّك تَرى ولا تُرى وأنت بالمنظر الأعلى، ثم قال الصادق عليه السلام: (فلا يغرنك قول من زعم: أنَّ الله تعالى يُرى بالبصر إنّهم أرادوا بذلك توبيخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم)[١].

ثالثاً: الأدلة العقلية

من الأدلة التي تنفي التشبيه والتجسيم وكذلك الرؤية والتي يمكن استنطاقها من الآية الكريمة والرواية الشريفة:

١ - لابد لكل مرئي أن يكون مقابلاً بالضرورة العقلية القطيعة أو في حكم المقابل، وكل مقابل هو في جهة بالضرورة ومن ثم لو كان الله سبحانه مرئياً لكان متحيزاً في جهة لأن الرؤية تستلزم إثبات الجهة له، وهذا محال لأن الله منزه عن الجهة والتحيز لأنه (ليس كمثله شيء) فتمتنع الرؤية.

٢ - لو كان الله يرى فإنَّ الرؤية إما أن تقع عليه كله أو تقع على بعضه، والأول يوجب تحديده وتناهيه، وهذا محال عقلاً ونقلاً وإجماعاً، كما يلزم منه أيضاً خلو سائر الأمكنة عنه، والثاني: فاسد بالضرورة للزوم التركيب وانقلاب الواجب إلى ممكن فقير محتاج.

٣ - لو كان مرئياً لأحد لكان معلوماً له، والله سبحانه ممتنع المعلومية لغيره عقلاً ونقلا ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لأنَّه (كلت عن إدراكه طروف

---

(١) كفاية الأثر: ٢٥٦. بحار الأنوار: ٣٦/٤٠٦ ح١٦، لمزيد من التوسع في بيان الرؤية القلبية وآراء الفرق الإسلامية فيها. ظ. بحوث عقائدية -بحث رؤية الله، السيد الحيدري: ١٢-٢٥.

العيون)[١] هو (الحق المبين، أحق وأبين مما تراه العيون)[٢] (ولاتدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون)[٣]، بل هو فوق أوهام القلوب وخطرات النفوس وتصورات العقول، فكيف تحيط به الجارحة؟ إلى غيره من الأدلة العقلية[٤].

ويبدو من كتب عقائد المسلمين أنَّ الرأي السائر بينهم هو: رفض التشبيه وإلى ذلك ذهبت الإمامية والمعتزلة بأسرها وجمهور المرجئة وكثير من الخوارج وطوائف من أهل الحديث[٥].

وخالف هذه العقيدة المشبهة التي يشبهون الله بمخلوقاته، كذلك الذين يثبتون لله الصفات التي ذكرها النصوص القرآنية من الوجه واليد وغير ذلك حيث إنَّهم يثبتون لله على ماجاء به التنزيل ويقول: ابن خزيمة: (إننا نثبت لله ما أثبته لنفسه)[٦]، وأنّ لله صورة كصورة آدم وله عين ويدان وأصابع وأنَّه في

---

(١) الكافي، الكليني: ١/١٤٢ ح٧، التوحيد، الصدوق: ٣٣، بحار الأنوار: ٤/٢٦٦ من خطبة للإمام علي (عليه السلام).

(٢) نهج البلاغة: بحار الأنوار: ٤/٣١٧ خطبة للإمام علي (عليه السلام).

(٣) الكافي: ١/٩٩ ح١١، كتاب التوحيد، باب إبطال الرؤية، حديث للإمام الرضا (عليه السلام).

(٤) ظ. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الشيخ الطوسي: ٧٤، وينظر الأدلة بتفصيل أكثر: صراط الحق الشيخ محمد المحسني: ٢/١٠ الإلهيات في الكتاب والسنة والعقل، السبحاني: ١/٤١٧، التوحيد السيد الحيدري: ٢/٤٩٧، نفي رؤية الله، العتبة العباسية المقدسة: ٤٣.

(٥) ظ. الاعتقادات في دين الإمامية: ٢١، أوائل المقالات: الشيخ المفيد: ٥١، الأصول الخمسة: عبد الجبار المعتزلي: ١٨٥، الفرق بين الفرق، البغدادي: ٨٠، الملل والنحل، الشهرستاني: ٢/٩٥-٩٧.

(٦) التوحيد وصفات الرب: ١٠.

السماء وينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي منتصف الليل فيفتح باباً ويقول: من ذا الذي سألني فأعطيه ومن ذا الذي يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر أو حتى تطلع الشمس[١]، وعلى رأس مدرسة التشبيه وإثبات الصفات أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل (٢٦٠هـ/٣٣٠هـ) فهو ينسب لله صفات قائمة بذاته[٢].

وأقصى ماعند الأشاعرة الذين يثبتون الصفات قولهم: بلا كيفية وأنّه سبحانه مستو على العرش بلا كيفية وكذلك بقية الصفات، ويتذرعون بقولهم بلا كيفية[٣].

وعند الرجوع إلى الرواية الشريفة نرى المولى عليه السلام يصف من يقول بالتشبيه أنهم يشبهون اليهود والنصارى، حيث إنَّ قلوبهم مائلة إلى التشبيه والتجسيم، ولذا نصبوا لأنفسهم إلهاً جسداً عجلاً[٤]، وبظنهم أنّه تعالى حل في جسده، فمن يقول ذلك يؤمن بالإله الموصوف بالجسمية،

وهذا يناقض محكم كتابه المجيد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥].

---

(١) المصدر نفسه: ٢٣٥ وينظر شرح الفقه الأكبر، الملا علي القاري رأي أبي حنيفة في إثبات الصفات: ٥٨.

(٢) مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي: ٥٤٥.

(٣) التوحيد الماتريدي: ٤٤، ٩٣ الفرق بين الفرق: ٨٠، الملل والنحل: ٢/٩٥-٩٧ محاضرات في العقيدة الإسلامية، أستاذنا الشيخ أحمد البهادلي: ٢/١٧٩، ١٨١، ٢٥٧، ٢٦٢.

(٤) قال تعالى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأعراف/١٤٨.

(٥) الشورى/١١.

ثم يقول عليه السلام: استخلص الوحدانية، أي جعلها خالصة لنفسه لايشاركه فيها غيره، ولاتجري عليه الأحوال ولاتنزل عليه الإحداث، لأن ذلك من صفات المخلوقين ثم إنه لتحقيق الإيمان به لايكون عن طريق إدراك العلماء وأهل التفكير إلا بالتحقيق أي التصديق بما أخبر عنه الأنبياء والحجج (عليهم السلام) إيماناً بالغيب، (ليس برب من طرح تحت البلاغ) وهذه إشارة إلى مايفعله العرب في الجاهلية من وضع أصنامهم في أماكن محصورة أو تحت الشجر أو في الكهوف، وبالتالي تكون العبارة مصحفة من (التلاع)[(١)]، يقول المجلسي رضي الله عنه: (لعل المعنى أنّه يكون محتاجاً إلى أن يبلغ إليه الأمور، إذ يكون تحت ثوب يكون قدر كفايته محيطاً به، ويحتمل أن يكون تصحيف التلاع)[(٢)]، وقد يكون المعنى ليس برب من طرح تحت بلوغ وما تتصوره الأوهام والله أعلم.

ثم يقول عليه السلام: (لاتوقته إذ ولاتؤامره إن) وهذه الكلمة الشريفة من جوامع الكلم هي والتي سبقتها وهي دلالة على: تقدمه تعالى على الكل وتأخره عن الكل وإحاطته بالكل، وأنَّه ليس معه في أزلية ذاته قديم آخر وإلا لكان إلهاً مثله - تعالى عن ذلك- كذلك عز وجل (لاتوقته الأوقات)[(٣)]، ثم يقول عليه السلام (علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل) والتوقل: (الصعود

---

(١) التلعة: قال أبو عبيدة: التلعة: مرتفع من الأرض، وماهبط منها، وهي عنده من الأضداد، المزهر ١/٧٤، التلعة: قطعة من الأرض، مثل تلعة ابن دريد، المخصص: لابن سيده: ٢/٢٧٢، التلعة: الأرض المنخفضة، المحيط في اللغة: ١/٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ٤/٣٠٢.

(٣) ظ، موسوعة العقائد الإسلامية، الريشهري: ٥/٢٣٦.

في مصاعد الشرف)، وكقولهم: توقل الوعل في الجبل[١]، قال مهلهل:

لما توقل في الكراع هجينهم   هلهلت أثأر مالكاً أوصنبلا[٢]

فالصعود والمجيء من صفات المخلوقين قال الإمام علي عليه السلام: (ويلك ياذعلب[٣] إنَّ ربي لايوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بالقيام ولا في انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، فخر ذعلب مغشياً عليه)[٤]، (به توصف الصفات- أي هو موجد الصفات وجاعلها فكيف يوصف نفسه بها- وبإفاضته تعرف المعارف فلا يعرف هو بها، إذ لايعرف الله بمخلوقاته)[٥].

والرواية الشريفة فيها كثير من معاني التوحيد الأخرى ونكتفي بذلك القدر من الإشارة إلى دلالة الرواية في اللغة والتفسير والحديث الشريف، بعد أن ذكرت قسماً من تلك المعاني في مقدمة الرواية كذلك خشية الإطالة، وعلى أي حال فهي لوحة فنية رائعة أوضحت كثيراً من جوانب التوحيد ودلت على كيفيته، وحسب تعبير الشيخ باقر شريف القرشي رضي الله عنه: هي أثمن ما أثر عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال[٦]، وكذلك نكتفي بهذا القدر من البحث في التوحيد، خشية الإطالة، ولأن الروايات التفسيرية تشابه المعاني السابقة.

---

(١) ظ. الصحاح في اللغة: ٢٩١، الخصائص لابن جني: ٨/١، جمهرة اللغة: ٥٠/٢.

(٢) هذا البيت سمي مهلهل مهلهلاً، وحنبل اسم رجل أحرق جارية ابن قدامة، ظ. جمهرة اللغة: ٦٨/٢، لسان العرب: ٣٦٨/١١ مادة صنبل.

(٣) ذعلب: رجل يماني من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) ظ. أضبط المقال في ضبط أسماء الرجال: ٣/٤.

(٤) بحار الأنوار: ٢٧/٤.

(٥) بحار الأنوار: ٣٠٢/٤ بتصرف وينظر صحيفة الحسين (عليه السلام): ٢٢٦.

(٦) حياة الإمام الحسين (عليه السلام: ١٥٠/١٠.

المبحث الثاني: النبوّة

توطئة

يشكل الإيمان بالنبوة الأساس الثاني بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، بعد أن آمن العقل البشري بالله سبحانه وتعالى بالدليل والبرهان القاطع، قاده هذا الإيمان إلى التصديق بالنبوة والأنبياء وإنزال الكتب والشرائع، قال تعالى: { قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }(1).

ولأهمية النبوة وخطورة شأنها وعظيم منزلتها فقد تناولها المفكرون والمتكلمون والفلاسفة وأهل العرفان والمتصوفة، هذه المسألة العقيدية الخطيرة بالبحث والدراسة والتحليل كأبرز ظاهرة غيبية في عالم الحس والمادة على عالم الأرض فهي تعني (اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة والفيض الرباني بعالم الإنسان)(2).

(1) آل عمران/٨٤.

(2) أركان الإيمان، الشيخ وهبي غاوجي: ١٣٩.

ومن حكمة الله ولطفه أن كرم عباده بالعقل وزينهم به، وبالنظر والتفكر كي يدرك مصالح العيش ومطاليب الحياة، فيستزيد يوماً بعد يوم من المعارف لكنه لم يبلغ به الكمال ولن يهتدي إلى الحق وحده فقد صبغه الله محدوداً في كل شيء، لذا لم يتركه الرب الحكيم إلى عقله القاصر، فكان اللطف الإلهي أن أنزل الصحف والكتب هداية للعقل وإرشاداً للفكر وسلامة للجسم وموافقة للفطرة ووقوفاً بالإنسان عند حدود الإنسانية، وإيثاراً لصبغ الحياة بما يأمر الله تعالى به من الإيمان وطاعته، وقد جعل الله حملة تلك الكتب أفضل الناس في أقوالهم وأشرفهم في أهليهم وهم رسل الله تعالى وأنبياؤه من البشر إلى البشر[١]، قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى ﴿يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ﴾[٤].

النبوة لغة: مأخوذة من النبأ، وهو خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولايقال للخبر في الأصل بنبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب[٥].

---

(١) ظ. معالم النبوة في القرآن السبحاني: ٢٩٠، التشيع نشأته،الموسوي: ١٣٦. وينظر: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي: ٢٤٤.

(٢) آل عمران/ ١٦٤.

(٣) النساء/ ١٦٥.

(٤) الأحزاب/ ٣٩.

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: مادة نبأ: ٨٧٩.

وهو مشتق من الإنباء الذي هو الإخبار ويكون مهموزاً[١] أو من النباوة التي هي بمعنى علو المنزلة والارتفاع[٢].

النبوة اصطلاحاً: وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله لمن يجتبيه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى مافيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة[٣].

وقيل في تعريف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو الإنسان المخبر بغير واسطة أحد من البشر[٤].

وفي وجوب بعثة النبوة وجوازها: ذهب الإمامية والمعتزلة والفلاسفة إلى وجوبها لاشتمالها على اللطف في التكاليف العقلية[٥]، أما الأشاعرة فلا يرون وجوبها[٦]، وأما القائلون بانتفاء البعثة منهم البراهمة واليهود وهم فرق منهم من خالف في جواز النسخ عقلاً، ومنهم من خالف في النسخ سمعاً، ومنهم من أجاز النسخ وخالف في نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٧] ومن

---

(١) الصحاح، الجوهري: ١/٧٤، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ١/١٥٧. شرح الأصول الخمسة: ٣٨٣، ١/١٥٠.

(٢) لسان العرب: ١٥/٣٠١-٣٠٢، الاقتصاد، الطوسي: ٢٤٤.

(٣) شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري: ٧٣، عقائد الإمامية، المظفر: ٤٨.

(٤) النكت الإعتقادية، الشيخ المفيد: ٤، المسلك في أصول الدين ، العلامة الحلي: ١٥٣، أصول الدين، الغزنوي: ١٢٠.

(٥) كشف المراد، العلامة الحلي: ٣٧٣، شرح الأصول الخمسة: ٣٨٥، أصول العقيدة السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)، ٨١.

(٦) أصول الدين، الغزنوي: ١٢٠، كشف المراد: ٣٧٥.

(٧) كشف المراد، ٣٧١، عقليات إسلامية، الشيخ مغنية (ره): ٢/٢٦٢.

القائلين بإنتفاء البعثة البراهمة إذ قالوا: إن الرسول أما أن يأتي بما يوافق العقول أو يخالفها فإن جاء بما يوافق العقول ففي العقل كفاية، وإن جاء بما يخالف العقول وجب رد قوله، وهذه الشبهة باطلة، وذلك أن نقول: لم لايجوز أن يأتوا بما يوافق العقول، كذلك أن هنالك الكثير من الشرائع التي لايهتدي العقل إلى تفصيلها[(١)].

قال الإمام علي عليه السلام: (فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ)[(٢)].

بل إنَّ معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مأثور عن الإمام الحسين عليه السلام من (أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان بعد معرفة الرب والإقرار له بالعبودية... وبعده معرفة الرسول والشهادة له بالنبوة، وأدنى معرفة الرسول الإقرار له بنبوته، وأن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي عن ذلك عن الله عز وجل)[(٣)]، وهذا دليل على (العصمة) التي هي أول شرط وصفة من صفات الأنبياء عليهم السلام[(٤)].

وقد تنوعت روايات الإمام الحسين عليه السلام كحكم منكر النبوة

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي: ٢٦٠، كشف المراد، العلامة الحلي: ٣٧٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (١): وواتر إليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبي وآخر فترة وقوله (يستأدوهم): ليطلبوا الأداء، ظ. شرح النهج للشيخ محمد عبده في الخطبة (١).

(٣) كفاية الأثر: ٢٥٦، بحار الأنوار: ٣٦/٤٠٦ ح١٦ رواية عن الإمام الحسين (عليه السلام) رواها الإمام الصادق (عليه السلام) بإسناد عن هشام بن الحكم ومعاوية بن وهب وعبد الملك ابن أعين، راجع تفصيلها في مبحث التوحيد.

(٤) الاعتقادات للشيخ الصدوق: ٣٦، أصول العقيدة، السيد الحكيم (دام ظله): ١٩٩.

وصفات النبي وذكر معاجزه وغير ذلك، علماً أنَّ أكثر الروايات التفسيرية، رواها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) عن الإمام الحسين عليه السلام ورواها الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه أو جدّه (صلوات الله عليهم أجمعين)وقد تلقاها العلماء بالقبول بعد أن شاع ذكرها واستدل بها أهل الحديث والتفسير وأهل العقائد على السواء.

أولاً- المنكر للنبوة كافر

قال تعالى: { أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ }[١]، روى البحراني بإسناده عن أم الفضل، قالت سألت الحسين بن علي عليه السلام فقلت من الكَفَّار؟ فقال عليه السلام: (الكافر بجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت: ومن العنيد؟ فقال عليه السلام: الجاحد حق علي بن أبي طالب عليه السلام)[٢].

وروى فرات الكوفي والقمي علي بن إبراهيم بسند آخر عن الحسين عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله بلفظ آخر[٣].

(١) ق/٢٤.

(٢) تفسير البرهان ٤/٢٥٥ وروي عن الفضل قال سألت الحسن (عليه السلام) في غاية المراد: ٤/١٦٤ الباب (١-١) بحار الأنوار: ٤٧/٣٥٨، شواهد التنزيل: ٢/٢٦٤، بشارة المصطفى: ٨٩ ح٢١، فهو من الأحاديث المشتركة ومروي عن رسول الله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن وعن الحسين (عليهم السلام)، تفسير الإمام الحسين (عليه السلام)، السيد الحلو: ١٧٤

(٣) تفسير فرات: ١٦١ ح٢ تفسير القمي: ٦١٩ ح٨٠٨، شواهد التنزيل ٢/١٩١، غاية المرام: ٤/١٦٥ باب١٠٢ والسند عن عبيد بن يحيى من مهران عن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) عن أبيه عن جده الحسين بن علي (عليه السلام) عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مرت الرواية في فصل علوم القرآن، التفسير بالسنة.

تحليل النص: عند الرجوع إلى معاجم اللغة لبيان معنى {الكَفَّار} و(العنيد) نجد أنَّ الكَفّار المبالغ في كفر النعمة، والكَفار أبلغ من الكفور[(١)] وأطلق الباري عز ووجل كلمة (الكَفار) على الظالم أيضاً، قال تعالى: {إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[(٢)]، وقال تعالى: {فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً}[(٣)].

أما (العنيد): هو المعرض عن طاعة الله عز وجل، قال تعالى: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}[(٤)]، والعنيد يأتي بمعان عدة منها: العتو والطغيان، والتجبر وتجاوز القدر، وعنيد: عند عن الحق وعن الطريق أي مال عنه، والمعاندة والعناد: أن يعرف الرجل الشيء الحق فيأباه[(٥)].

نقل البرسي إجماع المفسرين وفيهم أبو حنيفة وفي مجلس ضمه سليمان الأعمش حديث أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة قال الله: يا محمد يا علي قفا بين الجنة والنار، وألقيا في جهنم كل كفار كذب بالنبوة وعنيد عاند في الإمامة فتعين أنَّ علياً عليه السلام حاكم يوم الدين بأمر رب العالمين)[(٦)].

وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين إذ إنَّ منكر النبوة عموماً ومنكر نبوة

---

(١) تاج العروس، الزبيدي: ٧/٤٥١ مادة كفر.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

(٣) الإسراء: ٩٩.

(٤) إبراهيم/ ١٥.

(٥) لسان العرب: ٣/٣٠٧ مادة عند.

(٦) مشارق أنوار اليقين لحافظ رجب: ٢٩٥، وهذا الحديث نقله كل فرات الكوفي في تفسيره: قوما فالقيا من أبغضكما وخالفكما): ٤٣٥، بشار المصطفى: الطبري: ٨٩/ (ادخلا الجنة من أحبكما وادخلا النار من أبغضكما) بحار الأنوار: ٣٥٨/٤٧، شواهد التنزيل: ٢/٤٦٤.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم خصوصاً كافر كفراً صريحاً[١]، واتفق على تفسير الإمام عليه السلام للآية أهل اللغة والمعاجم وأهل الحديث والتفسير.

ثانياً- دلائل نبوته ومعاجزه وأنّه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم

معلوم إن نبوة كل نبي لابد له من معجزة تؤيد صدق دعواه وفيما يلي نماذج روائية موروثة عن الإمام الحسين عليه السلام في هذه المعاني.

من دلائل نبوته

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٢].

في احتجاجات اليهودي واستدلاله بمعاجز عيسى عليه السلام وكراماته التي نصت الآيات الكريمة عليها ومنها أيضاً: يخلق من الطين كهيئة الطير وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، روى الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: (إنّه سقط صلى الله عليه وآله وسلم من بطن أمه يده اليسرى على الأرض ورافعاً يده اليمنى إلى السماء يحرك شفتيه بالتوحيد، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً، ثم قال للحجر: انفلق، فانفلق ثلاث فلق يسمع لكل فلقة منها تسبيحاً لايسمع للأخرى وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته

---

(١) الألفين: العلامة الحلي: ٣، عقائد السنة والشيعة، الورداني: ٧٥-٨٣، الاقتصاد في الاعتقاد الغزالي: ٦٤، المنقذ من الضلال، الغزالي: ١٥، عقائد الإمامية: المظفر: ٥١.

(٢) آل عمران: ٤٥-٤٦.

ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس ثم قال لها انشقي فانشقت نصفين، ثم قال لها: التزقي فالتزقت ثم قال لها: اشهدي لي بالنبوة، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد فعل ما هو أكثر من ذلك: إنَّ قتادة بن ربعي كان رجلاً صحيحاً فلما أن كان يوم أُحد أصابته طعنة في عينه، فبدرت حدقته فأخذها بيده ثم أتى بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله: إنَّ امرأتي الآن تبغضني فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يده ثم وضعها مكانها فلم تكن تعرف بفضل منا وفضل ضوئها على العين الأخرى، ولقد جرح عبد الله بن عتيك وبانت يده يوم حنين فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً فمسح يده فلم يكن تعرف من الأخرى، ولقد أصاب محمد بن مسلمة مثل ذلك في عينه ويده، فمسحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستبينا ولقد أصاب عبد الله بن أنيس مثل ذلك في عينه فمسها فما عرفت من الأخرى فهذه كلها دلائل نبوته[(١)]. وقد رويت هذه الدلائل في كتب الفريقين، وهي بمجموعها تدل على نبوته وخاتميته[(٢)].

ثالثاً -إنَّه رسول إلى الناس كافة (رسالته العالمية)

قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[(٣)]، ﴿ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾[(٤)]، ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/٣٣٤ ح١٢٧، تفسير البرهان: ٢/٣٥٦، نور الثقلين: ٢/٤٠٥-٤٠٧، بحار الأنوار: ١٠/٤٨، تفسير كنز الدقائق: ٢/١٠٢، إرشاد القلوب، الديلمي: ٤٠٦ مع اختلاف.

(٢) دلائل النبوة، الأصبهاني: ١٢٥، ١٧٠-١٧٥، إعلام النبوة، الماوردي: ٣٦، بعدها خبر قتادة وغيره في خبر شفا العيون، دلائل النبوة، الفرياني: ٢٢-٣٨، بحار الأنوار: ١٧/٢٩٦.

(٣) الأعراف/ ١٥٨.

(٤) الأعراف/ ١٥٧.

أحمد﴾ [١].

روى الشيخ المفيد رضي الله عنه بإسناد عن الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جده عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يامحمد! أنت الذي تزعم أنّك رسول الله وأنَّهُ يوحى إليك كما أوحي إلى موسى بن عمران؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيد ولد آدم ولافخر أنا خاتم النبيين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، فقال: يامحمد! إلى العرب أرسلت، أم إلى العجم، أم إلينا؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني رسول الله إلى الناس كافة. فقال: إني أسألك عن عشر كلمات أعطاها الله موسى في البقعة المباركة حيث ناجاه، لايعلمها إلا نبي مرسل أو مقرب. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سل عما بدا لك... فقال اليهودي: لأي شيء سميت محمداً أو أحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما محمد، فإني محمود في السماء، وأما أحمد فإِنّي محمود في الأرض، وأما أبو القاسم فإنَّ الله تبارك وتعالى يقسم يوم القيامة قسمة النار بمن كفر بي، أو يكذبني من الأولين والآخرين وأما الداعي فإنّي أدعو الناس إلى دين ربي إلى الإسلام، وأما النذير، فأنّي أنذر بالنار من عصاني وأما البشير فأنّي أبشر بالجنة من أطاعني فقال صدقت يامحمد! فقال اليهودي فأخبرني عن السادس عن ثمانية أشياء في التوراة مكتوبة، أمر الله بني إسرائيل أن يعبدونه - أي يتعبدوا بها- بعد موسى. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنشدك الله إن أخبرتك

---

(١) الصف/ ٦.

أن تقر به؟ فقال اليهودي: بلى يامحمد! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ أول مافي التوراة مكتوب: محمد رسول الله... ثم تلا هذه الآية {يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}[١]، {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد}[٢]، وأما الثاني والثالث والرابع فعلي وفاطمة، وهي سيدة نساء العالمين وسبطيهما، في التوراة إيليا، شبراً وشبيراً، وهليون يعني فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال: صدقت يامحمد! فأخبرني عن فضلك على النبيين وفضل عشيرتك على الناس؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما فضلي على النبيين، فما من نبي إلا دعا على قومه وأنا ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وأما فضل عشيرتي وأهل بيتي وذريتي كفضل الماء على كل شيء، بالماء يبقى كل شيء، ويحيا (أفلا يؤمنون)[٣]، ومحبة أهل بيتي وعشيرتي وذريتي يستكمل الدين.

قال: صدقت يامحمد فأخبرني عن السابع، مافضل الرجال على النساء؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفضل السماء على الأرض، وكفضل الماء على الأرض، بالماء يحيى كل شيء وبالرجال يحيى النساء، لولا الرجال ماخلق الله النساء، وما من امرأة تدخل الجنة إلا بفضل الرجال، قال الله تبارك وتعالى {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}[٤]، قال صدقت يامحمد أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأنّ محمداً

---

(١) الأعراف/١٥٧.

(٢) الصف/ ٦.

(٣) الأنبياء/٣٠.

(٤) النساء/٣٤.

عبده ورسوله، وأنّك خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، ثم أخرج ورقاً أبيضاً من كمه مكتوب عليه جميع ماقاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقاً، فقال: يارسول الله! والذي بعثك بالحق نبياً ما استنسختها إلا من الألواح الذي كتب الله لموسى بن عمران... وقد قرأت في التوراة فضيلتك حتى شككت فيها، يامحمد فقد كنت أمحي اسمك في التوراة أربعين سنة فكلما محوت وجدت اسمك مكتوباً فيها، ولقد قرأت في التوراة هذه المسائل لايخرجها غيرك)[١]، الرواية طويلة اختصرناها وقد دلت الرواية على رسالة الرسول العالمية فضلاً عن معاجزه وكراماته.

رابعاً -وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلقه وأخلاقه وعبادته وفضله على جميع الأنبياء والرسل (عليهم السلام)

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]

١ - روى المتقي الهندي عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن ماخلق الله خلقاً[٣].

٢ - روى البيهقي وابن عساكر والسيوطي عن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليهم

(١) الاختصاص: ٣٣ ومابعدها، تفسير البرهان: ٣/٥٩ ح٤ الرواية مختصرة، موسوعة كلمات الإمام الحسين الشريفي: ٩٢-١٠١ الرواية بطولها، والرواية من الروايات المشتركة مع الإمام الحسن (عليه السلام) حيث رواها الصدوق عن الإمام الحسن (عليه السلام) أمالي الصدوق: ١٥٧، علل الشرائع: ٣٣٧/ح١، وينظرتفسير الإمام الحسين (عليه السلام): ١٥٠

(٢) القلم/٤.

(٣) كنز العمال: ٧/٢١٧ ح١٨٦٩٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين الشريف: ٦٨٥.

السلام عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) أنّه قال: (إنّ يهودياً كان يقال له حبر كان له على رسول الله دنانير فتقاضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له يا يهودي: ما عندي ما أعطيك، قال: فإنّي لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني مالي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذن أجلس معك، فجلس معه، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة وكان أصحاب رسول الله يتهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما الذي تصنعون به؟ قالوا: يارسول الله يهودي يحبسك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منعني ربي أن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما ترحل النهار قال اليهودي: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أنّك رسول الله وشطر مالي في سبيل الله، إما والله مافعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قول الخنا أشهد أن لا اله إلا الله وأنّك رسول الله وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله، وكان اليهودي كثير المال)[1].

تحليل النصين الشريفين: لقد وسع رسول الله بأخلاقه العالية ونبله وكرمه هذا اليهودي وغيره من العرب الجفاة الذي كانوا يجوبون الصحاري الموحشة والمقفرة فيصطادون الوحوش الضارية لتكون غذاءهم وملبسهم فلم يكن فضاً أو غليظاً لئلا ينفروا قال تعالى: { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

---

(١) دلائل النبوة: ٣١/٧ ح٢٥٣٩، تاريخ دمشق: ١٨٤/١ اسم اليهودي (حريجره) مختصر ابن منظور ١٧٩/١ (جير يجره) الإصابة: ٢٣١/١ (جريح الإسرائيلي) و١٩٢/٢ (جير نجرة) الدر المنثور: ١٣٣/٣، الجامع الصغير: ٦٥٧/٢، شرح الجامع الصغير المناوي: ٣١٨/٦، كنز العمال: ٣٦٣/٤ ح١٠٩١٦.

لانفضوا من حولك﴾[١]، لأنَّ الفظ من صفات سيئ الخلق، أما الغلظة فهي الشدة والاستطالة والجفاء، والسخب والصخب: دلالة على الصوت العالي (الصياح) مما يؤدي إلى اختلاط الأصوات أما قول الخنا فهو والعياذ بالله: قول الفاحشة[٢]، وهذه الصفات الذميمة تنافي الخلق النبوي الكريم الذي وصفه به خالقه، إذ يقول عز من قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم أمر الباري عباده بأن يصلى عليه كلما ذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٣]، روى الترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل وابن كثير والبيهقي وابن حبان وأبو يعلى بإسنادهم عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصلِ عليّ)[٤].

سأل الإمام الحسين عليه السلام أباه أن يصف له جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويؤلفهم ولاينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) ظ. الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري: ١/٣٢٠، غريب الحديث لابن قتيبة: ١/٣٧٩ تاج العروس: ٢/٦٩، العين، الفراهيدي: ٣/٣٨٧ مادة خنا، لسان العرب: ١/١٨١.

(٣) الأحزاب/ ٥٦.

(٤) سنن الترمذي: ١/٢٠١، سنن النسائي: ١/٢٠١ مسند أحمد بن حنبل: ١/٢٠١ ح١٧٣٦ و٣/١٠٢ شعب الإيمان: ٢/٢١٣ ح١٥٦٦ تفسير ابن كثير: ٦/٤٦٧، صحيح ابن حبان ٣/١٨٩ ح٩٠٩، مسند أبو يعلى: ١٢/١٤٧ ح٦٧٧٦.

ولاخلقه، ويتفقد أصحابه أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة، فسألته عن مجلسه؟ فقال عليه السلام: كان صلى الله عليه وآله وسلم لايجلس ولايقوم إلا ذكر الله وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أباً وصاروا عنده في الخلق سواءً مجلسه مجلس حكم وحياء وصدق وأمان، ولاترتفع فيه الأصوات ولاتُؤبنُ فيه الحرم،... فقلت: فكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال عليه السلام: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولاغليظ، ولاصخاب ولافحاش ولاعياب ولامداح.. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولايتنازعون عنده الحديث قال عليه السلام: فسألته عن سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر، فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لايغضبه شيء ولايستفزه وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة)[1].

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٨٣/٨١، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٣٥١/١، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٨، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٢٧٤/٨، بحار الأنوار: ١٥٢/١٦، نهج السعادة، المحمودي: ١٠٣/١، الرواية مروية عن إسحاق بن جعفر بن صادق عن الرضا عن آبائه عن الحسن (عليهم السلام) قال سألت خالي هند بن أبي خالة التميمي فوجدت الحسين (عليه السلام) يسأل أباه (عليه السلام).

إنَّ العالم النحرير والأستاذ الكبير لن يصل مهما بلغ من العلم إلى وصف خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم الذي ساد العالم بمنظومته الأخلاقية الرائعة وسيرته العطرة المباركة، فكيف بالسائل المنهك الذي يمد يده بلا حياء طلباً للفضيلة لعله يحظى برضا الله تعالى، ويرى القارئ الكريم هذه التوجيهات الأخلاقية الرائعة التي نقلها الإمام السبط عليه السلام فكان مثالاً شامخاً للعالم العامل، يهتدي به طلاب الفضيلة، لذا كان الحسين عليه السلام خير سبط لخير مرسل صلى الله عليه وآله وسلم (الحسين من محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالروح من الجسد والحسين من علي والده الذي حمل كل خصائصه ومقوماته الرائعة، منذ أول يوم لامست عيناه نور الوجود، فالعقيدة مصب زاخر يبدأ من محمد إلى علي ثم الحسين عليه السلام فإذا كان في هذا الامتداد فهو من الرسالة الإسلامية ذلك اللب الأصيل)(١).

٣- قال تعالى: {طه * ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى }(٢).

في احتجاجات اليهودي وبيان أفضلية أنبياء بني إسرائيل أو غيرهم روى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام، قال اليهودي: (..هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه، قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أُعطي ماهو أفضل من هذا إنّه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أريز كأريز المرجل على الأثافي من شدة

---

(١) الحسين (عليه السلام) في الفكر المسيحي، انطوان بارا: ١٢٥.

(٢) طه ١-٢.

البكاء[1]، وقد آمنه عز وجل من عقابه، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به، ولقد قام عليه السلام عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه، واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع، حتى عوتب في ذلك، فقال الله عز وجل ﴿طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾ لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يارسول الله أليس الله غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟ قال: بلا، أفلا أكون عبداً شكوراً؟

قال له اليهودي: هذا يحيى بن زكريا عليه السلام يقال: إنَّه أوتي الحكم صبياً والحلم والفهم، وإنَّه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أعطي ماهو أفضل من هذا، إنَّ يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان فلم يرغب لهم في صنم قط، ولم ينشط لأعيادهم، ولم ير منه كذب قط، وكان أميناً صدوقاً حليماً.. قال اليهودي: فإنّ عيسى عليه السلام يزعمون أنّه كان زاهداً؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أزهد الأنبياء (عليهم السلام) مارفعت له مائدة قط وعليها طعام، ولاأكل خبز بر قط، ولاشبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم ماترك صفراء

---

(١) أريز: يوم أريز: شديد البرد، قال الجوهري: إنَّه كان يصلي ولجوفه أريز كأريز المرجل من البكاء: ٣/٨١٤، معجم مقاييس اللغة: ١/١٤ وهو وصف لشدة خشيته صلى الله عليه وآله وسلم.

ولابيضاء مع ماوطئ له من البلاد، ومكن له من غنائم البلاد يأتيه السائل بالعشي يقول: والذي بعث محمداً بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير ولاصاع من بر ولادرهم ولادينار، قال له اليهودي: فإنّي أشهد أن لا اله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وأشهد أنَّه ما أعطى الله نبياً درجة ولامرسلاً فضيلةً إلا وقد جمعها لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وزاد محمداً على الأنبياء أضعاف ذلك درجات قال ابن عباس لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أشهد يا أبا الحسن أنَّك من الراسخين في العلم. فقال عليه السلام: ويحك ومالي لا أقول في نفس من استعظمه الله عز وجل في عظمته فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)(٢).

وهناك كثير من الروايات الشريفة التي تشير إلى نبله وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين والتي تدل كذلك على سمو أخلاقه الشريفة التي استوعب بها ذلك المجتمع الأمي الجاهلي والذي كانت تسوده القبلية والعصبية، فاستبدلهم بالشريعة الإسلامية السمحاء.

---

(١) القلم/ ٤.

(٢) الإحتجاج: ١/٣٣٤، نور الثقلين: ٨/٢٣٢، بحار الأنوار: ١/٤٠، ١٧/٧٥٧، ٦٨/٧٦، جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (قدس) ٥/٨٤ وينظر: في طه ماأنزلنا، الآية: صحيح البخاري: ٦/٤٤ و سنن ابن ماجة: ١/٤٥٦ ح١٤١٩ سنن النسائي: ٣/٢١٩، مسند أحمد بن حنبل: ٤/٢٥١، سنن البيهقي: ١٣/١٦، معرفة السنن والآثار للبيهقي ٢/٣٠٨ ح١٣٧٤ كلهاعن زياد عن المغيرة بن شعبة، مجمع الزوائد ٢/٢٧١ رواها عن أنس، وينظر: تفسير كنز الدقائق: ٨/٢٨٤ شرح النهج: ٦/٢٣٧، الفتوحات المكية لابن العربي: ١/٥٠٣-٥١٣ و٣/١٥٧ جامع السعادات، النراقي: ٣/٨١ وينظر تفسير الميزان للسيد الطباطبائي (قدس): ١٤/١٢٦، تفسير الأمثل: الشيرازي: ٩/٥٢٤.

خامساً- الشاهد على الناس والحجة عليهم يوم القيامة

قال تعالى: { وشاهدٍ ومشهود }[١].

قال تعالى: { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ }[٢].

قال تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً }[٣].

قال تعالى: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً }[٤].

روى ابن جرير الطبري وأخرجه المرعشي (قدس) بإسناد عن سليمان العلاف عن الحسين بن علي عليهما السلام قال[٥] (شاهد من الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد بالبينة القرآن والمعني بقوله: { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ } النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلوه شاهد منه محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشاهد من الله) وفي رواية أخرى: (الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم تلا قوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً } ثم قرأ { وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً }[٦] وروى مجاهد عن المغيرة عن شباك حدثني من سمع الحسين بن علي عليهما السلام قال[٧]..

(١) البروج/٣.

(٢) هود/١٧.

(٣) الأحزاب/٤٥.

(٤) النساء/٤١.

(٥) تفسير الطبري: ٢١/١٢، شرح إحقاق الحق: ١٧٥/٢٧.

(٦) ظ. تفسير السمرقندي: ٥٤١/٣، المحرر الوجيز لابن عطية: ١٥٨، تفسير أبي السعود: ١٣٥/٩ على سبيل المثال لا الحصر.

(٧) تفسير مجاهد: ٧٤٦/٢.

وروى الطبرسي والبغوي عن الحسين بن علي مرسلاً قال[١] وروى الهيثمي بثلاث طرق أحدها عن ابن عباس عن الحسين بن علي عليهما السلام.[٢]

وروى الطبراني في المعجمين عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن الحسين بن علي عليهما السلام قال[٣]... وأخرج الشوكاني عن ابن مردويه قال الحسين بن علي عليهما السلام[٤] وأجمع المفسرون على هذا الرأي[٥] وهو بيان أنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم حجة الله على خلقه لكونه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم عليه السلام، وقد جمع له من الفضائل والمكارم والمعاجز مالم تكن لغيره قال الحويزي وأنشد الحسين عليه السلام.

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا ... وخلقت في يوم عليك شهيد
فإن أنت بالأمس اقترفت إساءةً ... فقيد بإحسان وأنت حميد
فلا ترج فعل الخير يوماً إلى غد ... لعل غداً يأتي وأنت فقيد
فيومك إن أعتبته عاد نقصه ... عليك وماضي الأمس ليس يعود[٦]

وهذه الأبيات تدعو إلى التأمل إلى أنَّ الأيام والليالي ستكون شاهدة

(١) مجمع البيان، ٢٢٦/٥، تفسير البغوي: ٤٦٧/٤ وهو رأي محمد ابن الحنفية وابن زيد أيضاً.
(٢) مجمع الزوائد: ١٣٦/٧.
(٣) المعجم الكبير: ١٨٢/٩، المعجم الصغير: ١٣١/٢.
(٤) فتح القدير: ٤١٥/٥ وتفسير كنز الدقائق: ١٧٦/٥.
(٥) مجمع البيان، الطبرسي: ٣٦١٦/١٠، نور الثقلين: ٥٤٣/٥، الحدائق الناظرة، المحقق البحراني: ٣٥٤/٩.
(٦) نور الثقلين: ١٦٧/١٠ زاد البيت دليلها الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام).

على عملك وفي يوم القيامة سيكون رسول الله الشاهد والحجة على العالمين، ولعمري ماذا أعد أعداء الحسين عليه السلام غداً عندما يكون الحكم الله جل جلاله والشاهد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والخصم علي والزهراء (عليهم السلام) بماذا يجيب الذين حاربوه وطاردوه وأخرجوه من مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صحراء نينوى ثم ذبحوه هو وأولاده وأصحابه، وعلق رأسه المقدس على رأس القنا، يقول زيد بن أرقم: (جيء برأس الحسين عليه السلام في أزقة الكوفة وسمعته قرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قلت: سيدي إنَّ أمرَ رأسك أعجب...)[1].

وبهذا القدر نكتفي من الروايات المروية عن الإمام الحسين عليه السلام فيما يتعلق بمبحث النبوة لأنَّ الروايات المتبقية متشابهة، ومن أراد الإستزادة فليراجع كتب الحديث والتفسير والعقائد والأخلاق.

---

(١) ظ. الخصائص الكبرى للنسائي: ١٢٧/٢ نور الأبصار، الشبلنجي: ١٢٥، إحقاق الحق: ٤٥٢/١١-٤٥٣ والآية الكهف: ٩، ووجد مكتوباً على جدران دير:

أترجو أُمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

فلما سألوا الراهب، قال: مكتوب ههنا من قبل أن يبعث نبيكم بخمسمائة عام، ظ: الأخبار الطوال ١٠٩، حياة الحيوان: ٦٠/١، كفاية الطالب، الكنجي الشافعي: ٢٠٩، اللهوف، السيد ابن طاووس: ٢١.

المبحث الثالث: الإمامة

توطئة

الإمام لغة: التقدم، والإمام المتقدم، إمام القوم معناه: المتقدم عليهم والمتبع والمقتدى والقيّم، ويكون الإمام رئيساً، كقولك: إمام المسلمين[1]، وقيل من أمَّ ومعناه في الأصل الرئيس وخاصة الدليل الذي يقود القافلة، وهي ترادف الهادي[2].

وعلى هذا تكون الإمامة: قيادة ورئاسة ومتبوعية وتقدماً، وبذلك استحق من يتقدم للصلاة أن يسمى: إماماً، لأنه يؤمهم، وعلى هذا المعنى اللغوي سار القرآن الكريم في استعمال كلمة الإمام، كما في قوله تعالى {إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً}[3] وقوله تعالى: {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إماماً

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة أم: ١٢/٢٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/٧٧-٧٨.

(٣) البقرة/ ١٢٤.

وَرَحْمَةً﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماماً﴾[٢]، وقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ﴾[٣]، إلى آخر ماذكر من استعمال القرآن الكريم لكلمة الإمامة.

قال الراغب: الإمام: المؤتم به إنساناً كان يقتدى به بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة[٤].

الخليفة: لغة: هو الأمير والسلطان الأعظم ومن يستخلف ممن قبله[٥]، وتكون الخلافة على ضوء ذلك إمارة وسلطنة وقيام مقام الذاهب[٦]، وتلك الألفاظ ذات صلة يرتبط بعضها ببعض.

القرآن الكريم سار على هذا المعنى في استعماله كلمة (الخليفة) و(الخلائف) و(الخلفاء)، قال تعالى: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٧] وقال تعالى: ﴿يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[٨]، وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾[٩]، ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[١٠]،

---

(١) هود/ ١٧.
(٢) الشعراء/٧٤.
(٣) الإسراء/٧١.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٣ وينظر: أثر الإمامة في الفقه الجعفري، علي أحمد السالوس: ٨٧.
(٥) لسان العرب، مادة خلف: ٩/ ٨٤ و٨٩.
(٦) ظ. الإمامة ، محمد آل ياسين: ١٧، الفكر السياسي عند السنة والشيعة، محمد جامعي: ١٤٢.
(٧) البقرة/٣٠.
(٨) ص/٢٦.
(٩) الأعراف/١٦٥.
(١٠) الأعراف/١٩.

إلى آخر الآيات الكريمة التي استعملت فيها هذه الكلمات.

إذا كان علماء اللغة قد اتفقوا على هذه المعاني التي تشير إليها كلمتا (إمامة) و(خلافة) فإنَّ أهل الكلام وأنصارهم اختلفوا في بيان هاتين الكلمتين إلى أكثر من معنى.

الإمامة اصطلاحاً: قال الماوردي: إنَّ الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها واجب بالإجماع وإنْ شذ عنهم الأصم ومثل ذلك عن إمام الحرمين[١].

ابن خلدون: قد بينا حقيقة هذا المذهب - أي الخلافة والإمامة- نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماماً، فأما تسميته إمام فتشبيهاً بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به[٢]، وأضاف ابن تيمية: إنَّ بني آدم لاتتم مصلحتهم إلا بالإجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولابد من حراسة الدين من رأس[٣].

ويبدو مما تقدم: أنَّ فكرة الإمامة هنا فكرة عائمة غير محددة بشخص معين، فيمكن أن تطلق على الحاكم، كما يمكن أن تطلق على الفقيه، وعلى من يقوم الناس بالصلاة، وبالطبع فإنّ هذا لايستوعب بشكل كامل معنى الإمامة بأبعادها الحقيقية، فالإمام من يجسد عمله قوله، لا أن ينوب أحدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي ضوء ذلك فإنّ الخلافة والإمامة تختلفان في المعنى، وقد يتحقق معناها في فرد فيصبح إماماً وخليفة في آن واحد، لأنه

(١) الأحكام السلطانية ٥، غياث الأمم، الجويني: ٥١.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ١٩١ وينظر: ١٥١.

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية: ١٣٧، شرح المقاصد، التفتازاني: ٢/٢٣٢.

أمين على الشريعة ومنفذ لها، وربما يصبح خليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن ليس بإمام[١]، بل إن مقام الإمامة عند الأنبياء (عليهم السلام) أشرف وأرفع من مقام النبوة، فقد تجتمع النبوة والإمامة كما في أولي العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وقد تفترق النبوة عن الإمامة كما في أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وفي معظم أنبياء الله تعالى، ومن أدلة أشرفية مقام الإمام على النبوة صريح القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً ﴾ ومن الثابت نقلاً أنَّ إبراهيم عليه السلام قد تعرض لمجموعة ابتلاءات آخرها ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام في زمن نبوته ورسالته ثم نال بعدها مقام الإمامة[٢].

وعلى كل حال فإنّ مصطلح الإمامة إنَّما يطلق على شخص تكون له النيابة العامة في قيادة الناس، ولايوجد مايقيده في ذلك وعلى جميع المستويات، يقول الشيخ المفيد (قدس): (الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص واحد)[٣]، وسمي الإمام إماماً لأنه قدوة للناس منصوب من قبل الله تعالى، مفترض الطاعة على العباد[٤].

---

(١) كما هو الحال في سيرة الخلفاء الثلاثة، إذ لم يدَّعِ أحدٌ عصمتهم كما هو معروف في كتب العقائد والتاريخ والسير.

(٢) ظ. البيان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (قدس): ١/١٩١، تفسير الميزان: ١/٢٣٠، معرفة الله، السيد الحيدري: ٢/١٨٥، الإمامة، إبراهيم الامين: ٣٩، والآية في البقرة/١٢٤.

(٣) النكت الإعتقادية: ٣، شرح الباب الحادي عشر، السيوري، ٦٦، النافع يوم الحشر الحلي: ٩٥.

(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ١/١٠٩.

لذلك نرى الإمام الرضا عليه السلام يستنكر إلى من يذهب أنَّ الإمامة اختيار الناس فيقول عليه السلام: (هل يعرفون قدر الإمامة، محلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم)[١]، ثم يقول عليه السلام معرفاً الإمامة: (إنَّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وارث الأوصياء إنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين (عليهم السلام) إنَّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي)[٢].

يقول الشيخ الطوسي رضي الله عنه مبيناً ومعللاً: إنَّ شريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مؤيدة وأنّ المصلحة لها ثابتة إلى قيام الساعة فلابد لها من حافظ لأن تركها بغير حافظ إهمال لها وتعرض للمكلفين بما لايطيقونه ويتعذر عليهم الوصول إليه، وليس يخلو الحافظ لها من أن يكون جميع الأمة أو بعضها، وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأمة يجوز عليهم السهو والنسيان وارتكاب المفاسد والعدول عما علمته، فإذن لابد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو لتمكن المكلفين من المصير إلى قوله، وهذا الإمام الذي نذهب إليه[٣].

وقبل أن أدخل في مبحث الإمامة مستفيداً من التعاريف السابقة ومعتمداً المنهج الروائي لابد أن نشير إلى أنَّ المذاهب الإسلامية اتفقت على

---

(١) الكافي، للشيخ الكليني: ١/١٩٩.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، الصدوق: ١/١٩٦-١٩٨ من حديث طويل في تفصيل الإمامة.

(٣) تلخيص الشافي: ١/٢٠١، حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ١/١٢١.

وجوب الإمامة لكنهم اختلفوا فيها بالكيفية والشكل وشخص الإمام، فقالوا: لابد للمسلمين من إمام يقوم بمصالحهم من تنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم، لأنَّه لو لم يكن له إمام فإنَّه يؤدي إلى إظهار الفساد في الأرض[١].

كذلك إنَّ الإمامة والخلافة هي النظام الذي جعله الإسلام أساساً للحكم بين الناس بهدف الاختيار الأصلح من المسلمين لتجتمع حوله كلمة الأمة وتتحد به صفوفها وتقام به أحكام الشريعة، ومن ثم فهي امتداد طبيعي لمهام النبوة واستمرار لها، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول[٢]، قال تعالى: { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ }[٣]، وقال تعالى: { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ }[٤]، لذلك قالت الإمامية: إنَّ الإمامة وهي من منتجات نظرية اللطف الإلهي، وأنّ الإمام لطف فيجب نصبه على الله تعالى تحصيلاً للغرض[٥].

نقل البغدادي إجماع المسلمين على القول بوجوب الإمامة باستثناء النجدات من الخوارج الفوطي والأصم من المعتزلة[٦]، لكنهم اختلفوا في مدرك وجوبها، فالجبائيان وأصحاب الحديث والأشعرية قالوا: إنّه واجب

---

(١) أصول الدين، الغزنوي: ٢٧٠.

(٢) كشف المراد، العلامة الحلي: ٣٨٨، المسلك في أصول الدين، العلامة الحلي: ١٨٧، عقائد الإمامية، الشيخ المظفر (رض): ٦٦.

(٣) الرعد/٧.

(٤) فاطر/٢٤.

(٥) تلخيص الشافي: ١/٧٠، كشف المراد: ٣٨٨، كتاب الألفين، العلامة الحلي: ٢١/٣٥.

(٦) الفرق بين الفرق: ٨٧ وانظر النجدات من ٨٧-٩٠ الملل والنحل، الشهرستاني ٤/١٠٦، كشف المراد: ٣٨٨، المقالات الإسلامية، الأشعري: ٢/١٣٣.

سمعاً لا عقلاً[(١)]، وأبو الحسين البصري والبغداديون والشيعة الإمامية، قالوا: إنَّه واجب عقلاً ثم انقسموا إلى فريقين:

١-أبو الحسين البصري ومعتزلة بغداد قالوا إنَّه واجب من حيث كان في السياسة مصالح دنيوية ومضار دينية[(٢)].

٢-الإمامية: واجب عقلاً على الله، لأنّ الإمامة لطف، وكل لطف واجب على الله تعالى، فالإمامة واجب على الله تعالى، فاللطف يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية، وهذا المعنى حاصل في الإمامة[(٣)]، وعناية الله من مستلزماتها أن لايترك العالم خالياً من تدبير أمر الناس[(٤)].

ولأهمية الإمامة في منظومة الفكر الإسلامية، كما فهمتها المدرسة الإمامية، يقولون: **(لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما)**[(٥)]، وروى أهل الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **(من مات لايعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)**[(٦)]، وقد حاول البعض بأن يجعل الإمامة ليست من المسائل العقدية، فيرى الغزالي والآمدي: أنَّ الإمامة ليس من المهمات وليس أيضاً من المعقولات - بمعنى أنَّها ليست من العقائد- بل

(١) الأحكام السلطانية، الفراء: ١٩، غياث الأمم: ١٦، أصول الدين الإسلامي، البغدادي: ٧٧.

(٢) غياث الأمم: ١٦، الأحكام السلطانية، الماوردي: ٥، كشف المراد: ٣٨٨.وينظر: الإمام الباقر وأثره في التفسير، د حكمت عبيدالخفاجي: ٣١٤

(٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي: ٩٦.

(٤) تلخيص الشافي: ١/١٣٤، كشف المراد:٣٨٨، الألفين: ٢٣٢-٢٣٥.

(٥) الكافي: ١/٩٥ ح٤٥٨.

(٦) الكافي: ١/١٩٤ ح٩٧٢، قرب الإسناد، الحميري: ٢٠٢.

من الفقهيات وأنَّ المعرض عنها أرجى من الواغل فيها[١]، بينما يرى الإمامية: أنَّ الإمامة هي الأصل الذي امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين وهو فرق جوهري وماعداه عرضي كالذي يقع بين أئمة الاجتهاد[٢]، نكتفي بهذا القدر وندخل في الروايات الشريفة وحسب العناوين الآتية:

أولاً-أنواع الإمامة في القرآن الكريم

القرآن الكريم أطلق كلمة الإمام ويراد معنيين: الأول: قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}[٣]، والثاني: قال تعالى: {أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}[٤]، فإذن الإمام المقتدى به إلى أحد أمرين.

قال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}[٥].

روى ابن أعثم والخوارزمي بإسناد عن بشر بن غالب الأسدي وروى الصدوق عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام فسار - أي الإمام الحسين عليه السلام - حتى إذا بلغ ذات عرق[٦] فلقيه رجل من بني أسد يقال له بشر

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٢٥٣، غاية المرام: البحراني: ٣٠٩.

(٢) أصل الشيعة وأصولها: الشيخ كاشف الغطاء (رض): ١٣٦، وينظر: أزمة الخلافة والإمامة د.أسعد قاسم: ٣٣-٣٤.

(٣) الأنبياء/٧٣.

(٤) القصص/٤١.

(٥) الإسراء/٧١.

(٦) ذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة، ظ: معجم لغة الفقهاء محمد قلعجي: ٢١٣ وينظر: الإقناع، الشربيني ٢٣٦، النهاية في غريب الحديث: ٢٠١/١.

ابن غالب فقال له الحسين عليه السلام ممن الرجل؟ قال: رجل من بني أسد، قال: فمن أين أقبلت ياأخا بني أسد؟ قال: من العراق، فقال: كيف خلّفت أهل العراق؟ قال: يابن بنت رسول الله خلّفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية! فقال له الحسين عليه السلام: صدقت ياأخا العرب! إنَّ الله تبارك وتعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد، فقال له الأسدي: يابن بنت رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ} فقال له الحسين عليه السلام: نعم يا أخا بني أسد هما إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهدى من أجابه إلى الجنة، ومن أجابه إلى الضلالة دخل إلى النار وزاد الخوارزمي والصدوق وغيره وهو قول الله عز وجل {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (١).

تحليل النص: إنَّ السائل قد وقع في إبهام وحيرة عن معنى الإمام، إذ تعددت الآراء والأقوال: المعنى الأول: هو كتاب الإنسان المسجل فيه أعماله، كأن يكون بالمعنى المعاصر (الملف الشخصي) وهو الذي يرسله إلى الجنة أو النار، وهو قوله تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلى الرَّحْمنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً} (٢)، هذا بمعنى كتابه (٣).

المعنى الثاني: بإمامهم، بكتابهم أي ينادى كل شخص بكتابه السماوي،

---

(١) تاريخ ابن أعثم: ٥/٧٥، مقتل الخوارزمي: ١/٢٢٠، أمالي الصدوق: ١٣١، رواه في الثعلبية، نور الثقلين: ٣/١٩٢، الدر المنثور: ٤/١٩٤، الشورى/٧.

(٢). مريم/٨٥-٨٦.

(٣). تفسير الطبري: ١٧/٥١، فتح القدير: ٤/٣٣٦ حكاه عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك.

اليهود بالتوراة والنصارى بالإنجيل والصابئة بالزبور، وأهل القرآن بقرآهم، السؤال الذي يطرح نفسه، هل هذه الكتب مصونة عن التحريف، أم القرآن الذي اختلف في تفسيره وتأويله؟[١].

المعنى الثالث: ندعو الناس بأمهاهم لأنَّ إمام جمع أم، لأسباب منها: أراد الله إكرام عيسى عليه السلام لأنه ولد من أم بلا أب، ولكن في الحقيقة هذه منقبة وليست مثلبة أو ادعوهم بأمهاهم، ستراً عليهم ولكن هذا يعارض القرآن الكريم إذ يقول عز من قال: (ادعوهم لآبائهم)[٢].

المعنى الرابع: ادعوهم بإمام زماهم، فقيههم، عالمهم وفيهم جاهلهم، فينادي ياأتباع موسى عليه السلام ياأتباع عيسى عليه السلام يا أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس أتباع من كان على الهدى كأتباع من كان على الضلالة، فينقسموا إلى فريقين: فريق الهداية وفريق الضلالة، وهذا التقسيم موجود في كل عصر، إذ إنَّ هناك من يحاول إضلال الناس وتضليلهم، فيجب أن تحذروا من أئمة الضلالة، وكأنَّه عليه السلام يقول: إنَّ أصحاب يزيد من الممسوخين والمشوهين الضالين المضلين وفيهم من لانسب له لايمكن أن يكونوا كأصحابي العلماء، الفقهاء، القراء، الوجهاء، القادة العسكريين مفكري الأمة وساستها (رضوان الله عليهم)[٣].

---

(١) التبيان في تفسير القران، الطوسي: ٤٩٥/٦، الكشف والبيان، الثعلبي: ٣٨/٨

(٢) ظ. الكشاف، الزمخشري: ٦٨٢/٢، تفسير الرازي: ٤١٧/٥.

(٣) مجمع البيان: ٢٢٦/٦ نسب الرأي إلى الإمام الرضا (عليه السلام) بالأسانيد الصحيحة وعن النبي وأهل بيته (عليهم السلام)، تفسير الآلوسي: ٢٥/١١، تفسير الرازي: ٩٧/١٠، فتح القدير ٣٣٦/٤ تفسير الميزان: ١٦٩/١٢، تفسير الأمثل: ٦٧/٩، وينظر تفسير الطبري: ٥٠٢/١٧، قال: نبيهم، هناك آراء أخرى أعرضنا عن ذكرها.

ومن ثم فإنّ المراد من الإمام مطلق من اتخذ إماماً وهذا الرأي يدعمه القرآن الكريم إذ يقول رب العزة: ﴿ وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا ﴾ (١)، وقال عز وجل: ﴿ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلى النَّارِ ﴾ (٢)، ويكون المعنى: أنّ كل طائفة من الناس أو فرقة منهم اتخذت إماماً فبايعته واقتدت به في الحياة الدنيا تدعى به يوم القيامة سواء كان إمام هدى أو ضلالة واتباعها له في سبيل الحق كان أو في سبيل الباطل، فتدعى تلك الجماعة بإمامها التي أئتمت به في الحياة الدنيا، فإذا دعي كل أناس بإمامهم، فمن اهتدى بإمام الحق والهدى يدعون باسمه ومعه من اتبعه، فأولئك يأخذون كتابهم بإيمانهم ويقرؤونه فرحين مستبشرين بالسعادة والنعيم ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ (٣)، وأما من اقتدى بغير إمام الحق والهدى فيظهر حينئذ فيه العمى وهو عمى البصيرة الذي كان عليه في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤)، بل إنّ عماه في الآخرة أشدُّ من عماه في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (٥)، أي أكثر عمى وضلالة لأن الإعراض عن اتباع الإمام الحق إعراض عن الله عز وجل لأنّه عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

---

(١) الأنبياء/٧٣.

(٢) القصص/٤١.

(٣) الإسراء/٧١. الفتيل: هو الحبل الذي يكون في شق النواة، والمعنى لايظلمون مقدار فتيل، بل يأخذون أجورهم تامة غير منقوصة، ثم يكونون مع إمامهم في الجنة. ظ. تفسير الميزان: ٤/١٣٥.

(٤) الحج/٤٧ ظ. تفسير الآية: تفسير الآلوسي: ١/٣٧٠.

(٥) الإسراء/٧٢.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١]، وهذا ماروواه الإمام الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب المهاجرين والأنصار قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أحبوا علياً لحبي وأكرموه لكرامتي، والله ماقلت هذا من قبلي ولكنّ الله تعالى أمرني بذلك، ويا معشر العرب من أبغض علياً من بعدي حشره الله يوم القيامة أعمى ليس له حجة)[٢]، ويؤيد هذا الرأي الدليل الروائي:

١- روى السيوطي: قال أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه عن ابن عباسٍ في قوله تعالى (يوم ندعو) قال: إمام هدى وامام ضلالة[٣].

٢-روى الأصبغ بن نباته قال: تخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر، فسألهم أمير المؤمنين عليه السلام لم تتخلفون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ لنا حوائج نقضيها ثم نلحق بك، فقال عليه السلام لهم: (والله مالكم من حاجة تتخلفون عليها ولكنكم تتخلفون لتخلفوا بيعة أخي رسول الله وتنقضوا ميثاقه الذي أخذه الله ورسوله عليكم، فقالوا: والله يا أمير المؤمنين مانريد إلا قضاء حوائجنا ونلحق بك، ثم مضى عليه السلام إلى معسكره، وخرج هؤلاء النفر في اليوم التالي إلى الخورنق في الحيرة للنزهة وهيئوا طعامهم وشرابهم وجلسوا يأكلون ويشربون الخمر، وبينما هم كذلك اذ مر بهم ضب فأمروا غلمانهم فصادوه وجاءوا به إليهم فقالوا: ياضب أنت والله أحب إلينا من علي بن أبي طالب، وقال عمرو بن

---

(١) طه/١٢٤.

(٢) ينابيع المودة، القندوزي: ١/٢٠٤.

(٣) الدر المنثور: ٤/١٩٤.

حريث: بايعوا هذا الضب، فهذا أمير المؤمنين، وبسط لهم كفه فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، ثم ارتحلوا متوجهين إلى المدائن، وقدموها يوم الجمعة وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب في المسجد فدخلوا إليه فلما نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام قال أثناء خطابه، أيها الناس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليأتي كل قوم بمن يأتمون به في الحياة الدنيا وذلك قول الله عز وجل (يوم ندعو) وكأني أنظر يوم القيامة إلى قوم يحشرون وامامهم الضب يسوقهم إلى النار- وفي كتاب الخصال- وانِّي أقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب[(١)]، ولو شئت لقلت قال الراوي: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما تسقط السعفة حياءً ولؤماً)[(٢)].

٣- روى العياشي والقمي بإسناد عن الفضل بن يسار، قال سألت أبا جعفر -أي الإمام الباقر عليه السلام - عن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال عليه السلام: (يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قومه وعلي في قومه والحسن في قومه والحسين في قومه وكل من مات بين ظهراني إمام جاء معه)[(٣)]. وروى البرقي بسنده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قريب منه[(٤)].

---

(١) الضب حيوان بري خشن الجلد يقارب حجم الأرنب ظ.الحيوان، الجاحظ: ١٣٥/٢، الكنز اللغوي، ابن السكيت: ١٩

(٢) الخصال: ٦٤٤/٢، الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٧٧، ينابيع المودة: ٧١/١ ، إحقاق الحق: ٥٩٨/٧، وهم: شبث بن ربعي والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي وعمرو ابن حريث مع مواليهم وذلك لما سار الإمام (عليه السلام) لمحاربة الخوارج في النهروان.

(٣) تفسير العياشي: ٣٠٢/٢، تفسير القمي: ٢٣/٢، تفسير الصافي: ٩٨١/١، تفسير البرهان: ٢٤٠/٢.

(٤) المحاسن: ١٠٩ ، بحار الأنوار: ١١/٨.

٤-روى المفسرون عن الصادق عليه السلام أنَّه قال لبعض أصحابه: (ألا تحمدون الله أنَّه إذا كان يوم القيامة يدعى كل قوم إلى من يتولونه وفزعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفزعتم أنتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم؟ إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثاً) (١).

بان بوضوح أنَّ تفسير الإمام الحسين عليه السلام للآية الكريمة هو التفسير الأرقى والأمثل، إلى مافيه من التنبيه والحذر من أئمة الضلال، ويلاحظ هنا فائدة عظيمة ونادرة وهو المنهج الأخلاقي في أسلوب المخاطبة والإقناع بلغة الإخوة الإنسانية، مع العلم أنَّ الراوي كان كثيراً ما يصاحب الإمام الحسين عليه السلام وخاصة في أيام الحج وقد روى عنه دعاء عرفة لكنَّه لم يستطع أن يكون في ركاب الأحرار لأنَّ حياته عزيزة عليه خلافاً للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين تساموا في إعلاء كلمة الحق.

ثانياً- شرائط الإمامة

إنَّ شرائط الإمامة تختلف عند الإمامية عما عليه المذاهب الإسلامية الأخرى، فتنعقد عندهم الإمامة بأحد طريقين:

الأول: باختيار أهل الحل والعقد، وإن كان واحداً.

الثاني: بعهدٍ من الذي كان قبله، كما في عهد أبي بكر إلى عمر بن الخطاب (٢).

أما منصب الإمامة عند الإمامية هو من أخطر المناصب الإلهية فلاينال

---

(١) مجمع البيان: ٣/٤٣٠، بحار الأنوار: ٨/٨، تفسير الميزان: ٨/٣.

(٢) الأحكام السلطانية، الفراء: ١٩، الأحكام السلطانية، الماوردي: ٥-٦.

هذا العهد الظالمون لخطورته وعظمة مايترتب عليه، والعلم بتلك الأهلية لايمكن إلا من خلال المعرفة التامة، ذلك ليس مقصوراً أو حاصلاً إلا لله العالم بالأمور كلها، لذا فإنّ من شروط الإمامة:

أولا: النص عليه من قبل الله عز وجل

والنص هو تعيين إلهي لشخص الإمام، المالك أهلية الإمامة، وهو شرط أساسي لإثبات الإمامة، ويكون عن طريق القرآن أو السنة المطهرة، لأن حديث الرسول كلام الله لاينطق عن الهوى، ولأن الإمامة جعل رباني ونصب منه سبحانه بصريح الآيات والروايات، قال تعالى: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾[٢].

الرواية الأولى: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣].

روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن محمد بن الفرات[٤] عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ علي بن أبي طالب خليفة الله وخليفتي وحجة الله وحجتي وصفيي الله وصفيي وقوله قولي وأمره أمري.. وهو سيد الوصيين وخيرأمتي أجمعين)[٥].

(١) البقرة/ ١٢٤.

(٢) الأنبياء/٧٣.

(٣) البقرة/ ٣٠.

(٤) محمد بن الفرات: اختلف فيه الجعفي وهو ضعيف، الرجال لابن الغضائري: ١٠٦، وقيل الجرامي وعَدَّهُ الشيخ الطوسي من رواة الإمام الباقر (عليه السلام) وأصحاب الصادق (عليه السلام): ١٣٦/٢٣٥.

(٥) بشارة المصطفى: ٣٧، ورواه أيضاً: أمالي الصدوق: ١٧٤، غاية المرام، البحراني: ١/١١١، ←

روى الصدوق والقندوزي والحويزي والمجلسي والبحراني بإسناد عن يحيى بن سعيد البلخي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى ابن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال (بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طويل كَثّ اللحية بعيد مابين المنكبين، فسَلَّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورحَّبَ به ثم التفت إلي فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته، أليس كذلك هو يارسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بلى، ثم مضى، فقلت يارسول الله ماهذا الذي قال لي هذا الشيخ، وتصديقك له؟ قال: أنت كذالك والحمد لله، إنَّ الله عز وجل قال في كتابه { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } والخليفة المجعول فيها آدم عليه السلام وقال (ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق)(١) فهو الثاني، وقال عز وجل عن موسى عليه السلام حين قال لهارون عليه السلام (واخلفني في قومي وأصلح)(٢)، فهو هارون اذ استخلفه موسى عليه السلام في قومه فهو الثالث، وقال عز وجل { وَأَذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ }(٣)، فكنت أنت المبلغ عن الله وعن رسوله، وأنت وصيي ووزيري، وقاضي ديني، والمؤدي عني، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبي بعدي،

كنز الفوائد أبو الفتح الكراكجي: ١٨٥، بحار الانوار ٢٦/٢٦٤، قصص الأنبياء، الراوندي: ١٧٧ عن الإمام الرضا (عليه السلام).

(١) ص/٢٦.

(٢) الأعراف/١٤١.

(٣) التوبة/٣.

فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أو لاتدري من هو؟ قلت: لا، قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم)[١].

الرواية الثانية: قال تعالى: { يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ }[٢].الرواية في تفسير هذه الآية بإسنادين:

الأول: روى الصدوق ومحمد بن جرير الطبري الإمامي والبحراني والحويزي والمجلسي والحسكاني بإسناد عن محمد بن الفيض المختار عن أبيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين بن علي عليهم السلام عن أبيه الحسين عليه السلام[٣] قال.....

الثاني: روى فرات الكوفي: حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده الحسين علي عليه السلام أنَّهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (.....يا أبا الحسن خصني الله بالنبوة والرسالة وجعلك ولياً في ذلك تقوم به حدوده وفي أصعب أموره، والذي بعث محمداً

---

(١) عيون أخبار الرضا ١٢/٢ خ٢٣ باب ٣٠، أمالي الصدوق، ينابيع المودة: ٤٠٥/٣، نور الثقلين: ٤٩/١، غاية المرام: ٧٩/٢و مدينة المعاجز: ٤٧/٧، تفسير البرهان للبحراني: ٧٥/١، وروى المجلسي بإسنادين الأول كما في الرواية والثاني بإسناد أبي الحسن الفقيه الفضل بن شاذان عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال.... بحار الأنوار: ٤١٨/٣٦ في حديث الإسراء.

(٢) المائدة/٦٧.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٨٤، المسترشد: ٦٠٦، بشارة المصطفى: ٢٧٦، حلية الأبرار، البحراني: ١٩٢ ح١٠، تفسير البرهان: ٤٨٩/١، نور الثقلين: ٥٤٢/١، بحار الأنوار: ٦٥/٢٤، ١٤/٣٦، ١٠٦/٣٨ ورواه محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين: ١٣٩/١.

بالحق نبياً ما آمن بي، من أنكرك ولا آمن بي من جحدك ولا آمن بي من كفر بك وإنَّ فضلك فضلي وإنَّ فضلي لفضل الله وهو قول الله عز وجل: { قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ }(١)، يعني فضل الله بنبوة نبيكم ورحمته: ولاية علي بن أبي طالب فبذلك فليفرحوا، قال: النبوة والولاية (وهو خير مما يجمعون) يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد ولقد ضل من ضل عنك، لن يهتدي إلى الله عز وجل من لم يهتد إلى ولايتك، وهو قول ربي عز وجل { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى }(٢)، يعني إلى ولايتك ولقد أمرني الله تبارك وتعالى أن أفترض من حقك ما افترضته من حقي وإنَّ حقك لمفروض على من آمن بي ومن لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيء ولقد أنزل الله عز وجل إليّ { يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ } يعني في ولايتك يا علي وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، ولو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي ومن لقي الله عز وجل بغير ولايتك فقد حبط عمله.. وإن الذي أقول لمن الله عز وجل أنزل فيك)(٣).

تحليل النصين الشريفين: إنَّ الإمامة حقيقة ربانية لا إجتهاد فيها للعقل البشري، بل هي جعل رباني من اختيار الله عز وجل، فمن قال بوجود القرآن

---

(١) يونس/ ٥٨.

(٢) طه/ ٨٢.

(٣) تفسير فرات: ١٨ وينظر المصادر السابقة اللفظ لهم جميعاً، وينظر: الشيعة في أحاديث الفريقين، الأبطحي: ٥٠، الهداية القرآنية إلى الولاية الإمامية للبحراني: ١/١٨٩ وروى الحديث الحسكاني في شواهد التنزيل: ١/٣٥٣ الهامش.

وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهما لايكفيان في التصديق بالدين في جميع العصور، فالقرآن يبين جميع الأحكام لاتفاصيلها مع الأخذ بلحاظ تقدم وتطور المجتمع وتلاقح الحضارات، ويلاحظ على القرآن الكريم أنَّهُ يؤول على أكثر من وجه واحد، كذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجمع أحكام الدين في مدونة مستوعبة يتيسر للمسلمين الرجوع إليها في جميع العصور[1]، بل إنَّه مُنعَ صلى الله عليه وآله وسلم من تدوين كتاب حتى لايضلوا بعده[2]، ثم تعرضت سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المنع من التدوين وجر ذلك إلى التحريف والتضليل[3] كان المتعين لحفظ الدين والشريعة من التحريف والضياع أن يجعل الحكيم المطلق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكيماً يبلغ به الدين على أكمل وجه بنحو يؤمن عليه عذر الجاهل به، ويسد الطريق على المحرف له، فكان ذلك التبليغ عن الله ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتنصيب علي عليه السلام أميراً على المسلمين وخليفة للنبي من بعده في يوم (١٨) ذي الحجة عام١٠هـ في حجة الوادع، فبلغ ما أمر به، فقال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة طويلة (.... من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من

---

(١) ظ. أصول العقيدة السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله): ٢٣٤، دور أهل البيت (عليهم السلام): السيد محمد باقر الحكيم (قدس): ٦١

(٢) كان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب بعد قول عمر (قد غلب عليه الوجع) ظ. مسند أحمد: ٣٨٦/٦ ح٢٨٣٥، صحيح البخاري: ١٢٢/١١ ح٣٠٥٣ قريب منه.

(٣) ظ. أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو ريه: ٤٩، مذاهب الإسلاميين، د. الحكيم: ٤١-٥٨، علوم الحديث: د. صبحي الصالح: ٣٩، قال فهذا أبو بكر يجمع بعض الأحاديث ثم يحرقها، وهذا عمر بن الخطاب... النص كاملاً في المصادر السابقة وينظر مصادرها.

والاه وعاد من عاداه)، قال الرازي: فلقيه عمر بن الخطاب فقال: (هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)(١)، قال ابن الجوزي وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (وأدر الحق معه حيثما دار وكيفما دار) وعقب عليه: فيه دليل على أنَّه ما جرى خلاف بين علي عليه السلام وبين أحد من الصحابة إلا والحق مع علي عليه السلام وهذا بإجماع الأمة ألا ترى أنَّ العلماء استنبطوا أحكام البغاة من الجمل وصفين(٢)، وقال: المراد به الطاعة المحضة المخصوصة ومعناه: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به(٣)، وروى هذا النص اليعقوبي، وقال: الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة كان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بغدير خم(٤)، وروى النص أيضاً الكثير منهم: أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه، وأنَّه لما بلغ أنزل الله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِيناً } وأنّها آخر فريضة أنزلها الله تعالى(٥)، أي أنَّ ولاية علي عليه السلام فرض من الله واجب الامتثال والطاعة فيها كغيرها من الفرائض، وأنّها آخر

(١) التفسير الرازي: ١٢/٤٩، سيرة أعلام النبلاء: ١/٢٦٠، مجمع الزوائد: ٩/١٠٨.

(٢) تذكرة الخواص: ١/٢٥٥ و٢٧١، جواهر المطالب، الدمشقي الشافعي: ١/٣٣.

(٣) تذكرة الخواص: ١/٢٦٣، جواهر المطالب: ٢/٧٣-٩٥، من فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ١٩٤ ح٢٩٢ وينظر معنى المولى: رسالتان في المولى، الشيخ المفيد (رض): ٤٠-٤٥، الغدير للشيخ الاميني: ١/٢٦٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٨ وينظر: تفسير التبيان للطوسي: ٦/٥٨٨، غاية المرام: ٧٩-١٠٣.

(٥) المائدة: ٣، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤/٢٨١، سنن ابن ماجة: ١/٤٣، أسباب النزول، الواحدي: ١٣٥ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٦/٣٠، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/٨٢ مستدرك للحاكم: ١٤/٣٧٥ ح٦٣٣٣. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

الفرائض نزولاً.

ذكر الآلوسي المعاني السابقة وروى عن أبي هريرة أنَّها في غدير خم، ونقل قصيدة إسماعيل الحميري رضي الله عنه[١]:

عجبت من قوم أتوا أحمد ... بخطة ليس لها موضع

وأنشد حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخمٍ وأسمع بالنبي مناديا

بأني مولاكم نعم ووليكم ... فقال ولم يبدو هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولاتجد في الخلق عاصيا

فقال له: قم ياعلي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا[٢]

إلى غيره من الروايات الدالة على أنّ الإمامة نص إلهي لا اجتهاد فيه للعقل البشري، وباعتبار أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المظهر العملي

---

(١) الحميري: السيد إسماعيل بن محمد كنيته أبو هاشم، والسيد لقبه، وليس هو من ولد فاطمة عليها السلام، بل روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) لقي السيد الحميري وقال (عليه السلام): سمتك أمك سيداً ووفقت في ذلك وأنت سيد الشعراء، وأنشد (عليه السلام)

سماك قومك سيد أهل قوامه ... أنت الموفق سيد الشعراء

ظ: أعيان الشيعة، السيد الأمين: ٦١/٣، قال الأصمعي: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه! لولا ما في شعره! ما قدمت عليه أحداً، ظ: الأغاني: ١٦٩/٤، ١٩٧، قال ابن حجر: السيد الحميري الشاعر المفلق يكنى: أبا هاشم رافضياً خبيثاً، لسان الميزان: ٤٣٦/١، وينظر: الغدير: ٢٧٤/٢.

(٢) روح المعاني: ٣٥٩/٢-٣٦١، لقد وصف الشاعر بأوصاف لاتليق بمفسر مثله، وهي بعيدة عن آداب المفسر، كذلك إنّ الاختلاف في الرأي لايوجب السب والشتم وإطلاق الألفاظ الغير لائقة.

للشريعة فهو المكلف الأول بالتبليغ حتى تنقطع الحجة ولئلا يدعي أحد أنَّه لم يصل إليه التبليغ.

الرواية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

روى الصدوق بإسناد عن ثابت بن دينار الثمالي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام قال: لما نزلت ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يارسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: هو الإنجيل، قال: لا، قالا: فهو القرآن، قال: لا، قال عليه السلام: فأقبل أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هو هذا إنَّهُ الإمام المبين الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء)[(١)].

تحليل النص: نلاحظ أنَّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رضوان الله عليهم) يستفتونه ويستنطقونه في إيضاح ما أهم عليهم لذا تكررت النصوص الشريفة لتعيين من هو الإمام الذي يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنها هذا النص وغيرها من النصوص المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) أو غيرهم التي تعطي دلالة أنّ الإمامة جعل إلهي من الله ورسوله ولدي من النصوص المأثورة بهذا العنوان تسعة نصوص أخرى

---

(١) معاني الأخبار: ٩٥ ح١، أمالي الصدوق: ٥٢٤ م٩٤ ح١١، ينابيع المودة: ٣/٨٧، كنز الدقائق: ٨/٣٩٠ غاية المرام، البحراني: ٥/٢١٣، بحار الأنوار: ٣٥/٤٢٧ ح٢، مشارق أنوار اليقين: ٨٣، نور الثقلين: ٤/٣٧٩.

وبأسانيد مختلفة[١]، بل إنَّ من يدعي الإمامة وهو ليس بإمام فهو ضال مبتدع[٢]، وهذا كله حرصاً من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على الشريعة الإسلامية وحفاظاً عليها من الضالين ومن الأقوام المعادية للإسلام والمسلمين، إنَّ أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين جعل الله لهم الولاية لعلمه أنَّهم الأمناء على الرسالة والأمة، كانوا حريصين في تعاليمهم لأتباعهم على عدم جعل الخلاف حول الإمامة سبباً لتكفير بقية المسلمين، وتوجيههم على مشاركة إخوانهم في الحياة العامة وعدم العزلة عنهم والمعاملة معهم بالحسنى، لذا يجب أن ننظر إلى هذا الموضوع من هذه الزاوية، فلسنا بحاجة إلى تحوير أو تزوير حقائق الدين والتاريخ لأجل وحدة قد تكون مشبوهة، فالوحدة إن ضاقت أو اتسعت لاتكون بإبطال الحقائق وتزويرها بإبطال مذهب إلى آخر، بل علينا أن لانجعل المواضيع الخلافية مدخلاً للتكفير والخروج من الإسلام، إنَّ هذا السبيل هو ماخَطَّهُ آل البيت (عليهم السلام) وهو السبيل الصحيح.

ثانياً وثالثاً: الطهارة والعصمة

أما الطهارة أي طهارة المولد وهو من شروط الإمامة وقد أُثر عن أهل البيت (عليهم السلام) في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (أشهد أنَّك

---

(١) ظ. بشارة المصطفى: ٣٧، ٣٧٢، كفاية الأثر: ١٧٠، أمالي الصدوق: ٢٧٥ ح١٣ وسائل الشيعة: ١٨٨/٢٧ ح٣٣٥٦٣ ٢٨/٣٤٧ ح٣٤٩٣١، ، إضافة إلى مارواه الإمامان موسى بن جعفر والإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام وخاصة في عيون أخبار الرضا (عليه السلام).

(٢) ظ. الغيبة للنعماني: ١٥ ح١٣، وسائل الشيعة: ٣٥/٢٨ ح٣٩٣٩، وينظر: الكافي: ٣٠٨/١ ح٣، وسائل الشيعة: ٣٥٣/٢٨ ح٥٠ ٣٤٩ أحاديث شريفة في هذا المعنى.

كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها)[١].

أما العصمة: وهي لغة المنع[٢]، وهي ثابتة للنبوة والإمامة عقلاً وشرعاً فلابد للإمام أن يكون معصوماً بعصمة تامة على مختلف المستويات فيجب أن يكون معصوماً وإلا تسلسل لأنّ الحاجة الداعية إلى الإمام هي ردع الظالم عن ظلمه، فلو جاز أن يكون غير معصوم لافتقر إلى إمام آخر ويتسلسل وهو محال، ولأنَّه حافظ للشرع فلابد من عصمته، أما النصوص الروائية الدالة على الطهارة والعصمة، فهي كالآتي وحسب ما أثر عن الإمام الحسين عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٣]. الرواية الأولى: روى القندوزي عن ثلاثمائة من الصحابة وعن أنس بن مالك وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي كل يوم باب فاطمة (عليها السلام) عند صلاة الفجر فيقول: الصلاة يا أهل بيت النبوة ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤] تسعة أشهر بعدما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾[٥].

---

(١) مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٢١، المصباح، الكفعمي: ٤٩٠، وأيضاً روي عن سدير بن حكيم عن الصادق (عليه السلام): (أشهد أنّك طهر طاهر مطهر من طهر طاهر مطهر طَهُرتَ وطَهُرَت بك البلاد وطَهُرت أرض أنت فيها..) ينظر: بحار الأنوار: ٩٧/١٨٧.

(٢) لسان العرب، مادة عصم: ١٢/٤٠٣.

(٣) الأحزاب/٣٣.

(٤) الأحزاب/ ٣٣.

(٥) طه/ ١٣٢. ينابيع المودة: ٢٠٤، ورواه مسلم بإسناد عن عائشة، صحيح مسلم: ٢/٩١٥ ←

الثانية: روى الإسترآبادي والبحراني بإسناد عن هاشم بن البريد عن زيد بن علي عليه السلام عن أبيه عن جدّه الحسين عليه السلام قال: كان رسول الله في بيت أم سلمه، فأتي بحريرة فدعا علياً عليه السلام وفاطمة والحسين والحسين (عليهم السلام) فأكلوا منها، ثم جلل عليهم كساءً خيبرياً، ثم قال { إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } فقالت أم سلمه: وأنا منهم يارسول الله؟ قال: أنت إلى خير[(١)].

الثالثة: روى ابن أعثم الكوفي: أنّ مروان بن الحكم طلب من الحسين عليه السلام أن يبايع يزيد، فقال عليه السلام: (إليك عني ياعدو الله فإنّا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء ويلك يامروان إليك عني فإنّك رجس وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } [(٢)].

تحليل النصوص: وجه الاستدلال بالآية والروايات أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) معصومون لأنهم طهروا من كل رجس، والرجس: اسم

ح٦٢٨٨، مختصر تاريخ دمشق: ١٢٣/٧

(١). تأويل الآيات الظاهرة ٤٤٩، تفسير البرهان: ٣١٢/٣ ح١٤ ورواه الطبري وابن قتيبة وابن منظور عن أم سلمه وفي البيت سبعة ميكائيل وجبرائيل ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). تاريخ الطبري: ٣٤١/٥، الإمامة والسياسة ٢٢٦/١، مختصر تاريخ دمشق: ٢١٠/٧.

(٢) تاريخ ابن أعثم: ٥٥/٥

جامع لكل شر ونقص، والخطأ وعدم العصمة شر ونقص فيكون بذلك مندرجاً تحت عموم الرجس الذاهب عنهم، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد والعصمة بالجملة ثابتة لهم[1]، وأيضاً فلأن الله عز وجل طهرهم، وأكَّدَ تطهيرهم بالمصدر حيث قال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أي ويطهركم من الرجس وغيره تطهيراً، إذ هي تقتضي عموم تطهيرهم من كل ماينبغي التطهير منه عرفاً أو عقلاً أو شرعاً، والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك فيكونون مطهرين منه، ويلزم من ذلك عموم إصابتهم وعصمتهم[2]، وقد دلت الروايات عند الفريقين بخصوص النزول فيهم، ووصف حديثهم بأحسن الأحاديث[3]، قال الحاكم في تعليقه على حديث أنس بن مالك، بأنه حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[4]، وقال القرطبي: قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الآية (إنما يريد الله) دليل على أنَّ: أهل البيت المعنيين في الآية هم المغطون بذلك المرط في ذلك الوقت[5]، وقال الواحدي: إنَّ آية التطهير نزلت في خمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين)[6]، وقال ابن تيمية: (أفضل أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين الذين أدار عليهم

---

(١) ظ. المخصص لابن سيده: ٣٥٨/١، لسان العرب، مادة رجس: ٩٤/٦، نظم الدرر، البقاعي: ١٢٩/٣ معاني الرجس.

(٢) ظ. خلاصة الكلام، المقريزي: ٤٦، وينظر الهامش مصادر الرواية أكثر من مئة مصدر من مصادر جمهور المسلمين

(٣) سنن الترمذي: ٣٥١/٥، تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٣.

(٤) المستدرك للحاكم: ١١٢/٣، مسند أحمد: ٢٥٩/٣، تفسر الطبري: ١٢/٢ موارد الآية.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي: ٣٠٢/٦.

(٦) أسباب النزول: ٢٣٩.

الكساء وخصهم بالدعاء[١].

إنَّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما فسر الآية الكريمة، قال قولاً صريحاً ليس فيه مجال للشك والريب (نزلت الآية في خمسة في علي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين)[٢]، بل لأجل سد قول المتلبسين وأهل الريب إنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي كل يوم باب فاطمة (عليها السلام) ويتلو آية التطهير، بل كل وقت صلاة على مرأى ومسمع من المسلمين، وهذا بنفسه يعد من أفضل السبل لنقض أقوال المغرضين الذين يتلبسون بالدين ويخلطون الأوراق بإدخال ماليس منهم فيهم وإخراج من كان منهم عنه، وقد أُثر هذا المعنى في روايات متضافرة منها:

أ - روى الحاكم عن أبي برزة، قال: (صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر شهراً فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة (عليها السلام) فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (السلام عليكم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[٣].

ب - روي عن أبي الحمراء، قال: (رابطت بالمدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة (عليهما السلام) فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة الصلاة {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ

---

(١) الفتاوى الكبرى: ٥/٣٣١.

(٢) مجمع الزوائد: ٩/١٦٧.

(٣) المستدرك: ٣/١٧١، تاريخ ابن عساكر: ٤/٢٠٩، تفسير ابن كثير: ٣/٤٩٢، تاريخ البخاري: ٩/٢٥-٢٦ فتح القدير: ٤/٢٨٠، شواهد التنزيل: ٢/٧٤.

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} وفي بعض ستة أشهر[١].

ونكتفي بهذا القدر من الروايات الدالة على خصوص نزول الآية بأهل البيت عليهم السلام وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فأفادت طهارتهم من كل دنس وعصمتهم من كل رجس، ولم أذكر هنا روايات عن أهل البيت (عليهم السلام) بخصوص نزول الآية لكي لا نطيل البحث في الآية الكريمة ودلالتها، فقد أُثر عن أهل البيت (علهم السلام) الروايات الكثيرة والمتظافرة أنّها نزلت بحقهم، بأسانيد لاتقبل الرد وبمتون لاتقبل النقض، وقد ملئت بها كتب الحديث والتفسير على السواء ومن أراد الاستزادة فليراجع شكل الكتب في مظانها[٢].

رابعاً: الطاعة: أي الطاعة المفروضة لهم من قبل الله عز وجل على العباد

قال تعالى: { أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ }[٣].

روى الطبرسي وابن شهر آشوب والعاملي والحويزي والمجلسي والبحراني والصافي بإسناد عن موسى بن عقبة عن الإمام الحسين قال

(١) المستدرك للحاكم: ١٧٢/٣، المعجم الكبير للطبراني: ٢٠٠/٢٢ إضافة إلى المصادر السابقة في الهامش السابق نقلت هذه الرواية، قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) مثل: كتاب الكافي، تفسير العياشي، تفسير الطبري، تفسير البرهان، بحار الأنوار، تفسير الصافي وغيرها من المصادر في تفسير آية التطهير.

(٣) النساء/٥٩.

(....نحن حزب الله الغالبون وعترة رسوله الأقربون وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثاني كتاب الله تبارك وتعالى. فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل {أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ} وقال {وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ والى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً}[1]، وأُحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان قال معاوية: حسبك ياأبا عبد الله قد بلغت)[2].

تحليل النص: وبيان وجه الاستدلال: مما لاشك أنَّ كتاب الله سبحانه لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها في إمام مبين وقد عرفنا من هو الإمام المبين في حديث سابق، فكيف يدع أمر القيادة سدى دون أن يحدد ملامح القادة الرساليين الذين جعلهم الله أئمة يهدون بأمره، وإذا كان رسول الله يوصي المسلمين بأنه إذا سار اثنان في صحراء أو طريق فليكن أحدهما إماماً، فكيف يترك هذه الأمة بلا إمام يرعاها، وإذا كانت الطيور لها إمام والحشرات كالنمل لها قائد وإمام، فلماذا لايكون البشر لهم إمام يحفظهم من الضياع والزلل؟؟.

إنَّ الإمام عليه السلام وظَّفَ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ثم

---

(١) النساء/٨٣.

(٢) الاحتجاج: ٢/٢٢، المناقب: ٣/٢٢٣، وسائل الشيعة: ٢٧/١٩٥ ح٣٣٥٧٦ ، نور الثقلين: ١/٥٠٨، بحار الأنوار: ٤٤/٢٠٥ ح١، عوالم الحسين (عليه السلام): ٨٤، تفسير الصافي: ١/٤٦٥، كنز الدقائق: ٢/٥٠٥.

ربط بينهما في بيانه أنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم القادة الربانيون فأشار إلى حديث الثقلين المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (إنِّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[١]، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[٢]، وقد سماهما بالثقلين: إعظاما لقدرهما وتفخيماً لشأنهما ويقال لكل نفيس خطير مصون ثقل[٣]، وكان التبليغ عاماً لجميع المسلمين وبمرأى منهم جميعاً وقد كرره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرات ومرات، فيسمع إعرابياً ذلك فجاء بحد السير يستنطق المبلغ عن الله عز وجل يستنطقه عن دينه _لأنه مسؤول عنه يوم القيامة[٤]_، قال الحسين عليه

(١) هذا الحديث الشريف روي بعدة أسانيد وهو من أشهر الأحاديث النبوية على الإطلاق: مسند أحمد: ١٤/٣ ح١٧ عن أبي سعيد الخدري، ورواه أيضاً عن زيد بن أرقم في: ٣٧١/٤، المستدرك على الصحيحين: ١٤٨/٣ بعدة أسانيد منها عن زيد بن أرقم في: ٣٧١/٤، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وكذلك المقريزي في إمتاع الإسماع: ٣٧٨/٥ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ١٧٦/٧ وينظر: شواهد التنزيل: ٤٢/٢ روى (٨٦) حديثاً في الحديث أعلاه وبأسانيد مختلفة في بيانه لتفسير الآية: من ح٦٥٧ إلى ح٧٤٣، تفسير الآلوسي: ١٩٥/٢٢، تفسير ابن كثير: ١٢٢/٤، تفسير البغوي: ١٢٥/٤، وروى مسلم في صحيحه قريباً منه: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي: ١٢٢/٦ ح٦٣٧٨، وينظر: المراجعات، شرف الدين الموسوي، معالم المدرستين: ٣٦٠/١، أصول الفقه المقارن: السيد الحكيم: ١٦٥.

(٢) سنن الترمذي: ٦٢/٢ وينظر سنن البيهقي: ٦٢/٢، قريباً منه، أمالي الصدوق: ٥٠ عن زيد بن ثابت.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ١٩٢/٨، النهاية في غريب الحديث: ٢١٦/١، لسان العرب: ٨٨/١١.

(٤) في تفسير ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن ولايته (عليه السلام) فضائل علي (عليه السلام) ابن عقدة الكوفي: ٩.

السلام: فقال رسول الله: (أنا نبي الله وعلي بن أبي طالب حبله) فخرج الأعرابي وهو يقول: آمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبله)[١].

قال الإمام علي عليه السلام: (إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرونه بمعصيته)[٢].

قال الصادق عليه السلام: (الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنهم معصومون مطهرون)[٣].

الإمام زين العابدين في الدعاء (وصلِّ على خيرتك اللهم من خلقك محمد وعترته الصفوة من بريتك الطاهرين، واجعلنا لهم سامعين مطيعين كما أمرت) [٤].

الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية: (إيانا عنى خاصة، أمر جميع الفريقين إلى يوم القيامة)[٥]، قال أبو بصير للإمام الصادق عليه السلام لما فسر الآية الكريمة: (إنَّ الناس يقولون: فما له لم يسم علياً وأهل بيته (عليهم السلام) في كتاب الله عز وجل؟ فقال عليه السلام قولوا لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسر ذلك، ونزل

---

(١) تفسير فرات: ٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥/٢٠٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/١٩٩.

(٤) الصحيفة السجادية: دعاء ٣٤/ ص١٣٨، ينابيع المودة: ٣/١٤٧.

(٥) الكافي: ١/٢٧٦ ح١ عن يزيد العجلي.

الحج فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسر لهم ذلك ونزلت (وأطيعوا الله) في علي والحسن والحسين)[١].

ولسنا بصدد عرض الروايات النازلة بتلك الآيات فإنّ ذلك مما أطبقت عليه الكتب، قال الرازي: إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع وجب أن يكون معصوماً[٢].

وبالختام يمكن أن نقول إنَّ لفظ أولي الأمر لا ينطبق إلا على الأئمة المعصومين لعدة وجوه منها:

١- إنَّ عنوان (أولي الأمر) إنَّما يصدق على من كان صاحباً للأمر واقعاً لامن كان متغلباً على الأمر بدون حق، كما أنّ صاحب المال مالكه لا الغاصب المتغلب الذي حاز المال بغير حق.

٢- إنَّ ولاية الأمر ذاتاً وابتداءً، إنما هي للخالق، لأنه المكون لكل شيء مبدئاً له، وأما الخلق فلا ولاية لبعضهم على بعض ذاتاً وإنما تثبت الولاية لبعضهم على بعض بجعله تعالى والانتهاء إلى أمره، ولايعقل أن تحصل الولاية من قبل تولية بعضهم بعضهاً لأن المولى فاقد للولاية في حد نفسه، فكيف تثبت الولاية لغيره من قبله؟

٣- إنَّ وجوب الطاعة يدور مدار الولاية، ضرورة أنّه مع عدم ولاية الأمر على المأمور لا تتحقق الطاعة، فاستحقاق الطاعة هو من شؤون

(١) الكافي: ١/٢٨٦، ح١، تفسير العياشي: ١/٢٤٩، شواهد التنزيل: ١/١٩١.

(٢) التفسير الكبير: ١٠/١٤٤ وينظر: مواهب الرحمن، السيد السبزواري (قدس): ٨/٣١٥ وما بعدها آيات العقائد، الحجازي: ٣٥٤، الكشاف، الزمخشري: ١/٦٣٥.

الولاية[١]، ونلاحظ أنّ الطاعة لأولي الأمر تتبع العصمة، فكيف يأمر الله بطاعة من ليس هو بمعصوم وقد يشكل خطراً على الدين وقد ينحرف عن جادة الشريعة فوجبت الطاعة لهم لكونهم معصومين.

خامساً: من شروط الإمامة أيضاً الأفضلية في التقوى والعدالة والعلم والجهاد[٢]

فالإمام يجب أن يكون أفضل الرعية مطلقاً وأنّ السيرة والتاريخ دونت لنا هذه المعاني سواء في سيرة الإمام علي عليه السلام أو أولاده (عليهم السلام)، وليس من مجال للشك في هذا الأمر من الروايات المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو حتى عن الصحابة حتى أُثر عن عمر بن الخطاب (لولا علي لهلك عمر)[٣]، وهذا القول ناجم عن تيقن فلم يقل عمر ذلك عبثاً بل بعدما رآه من حل المسائل العلمية والفقهية العويصة، وأُثر عن الإمام علي عليه السلام: (لايقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد، ولايسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين، وعماد اليقين،

---

(١) ظ. آيات العقائد، الحجازي: ٣٤٦-٣٤٧، الإمامة والولاية في القرآن، مطهري: ٥٣-٥٤، مصطلحات إسلامية، السيد العسكري: ١٧٥، الولاية التكوينية حقيقتها ومظاهرها: ١٧٥-١٨٤، ١٩٧-٢٠٨، الإمام الباقر (عليه السلام) وأثره في التفسير د. حكمت الخفاجي: ٣١٨، الروايات التفسيرية للإمام الرضا (عليه السلام) دراسة موضوعية، الباحث: ٧٤-٧٥.

(٢) ظ. الغيبة للطوسي: ٤٠، النافع يوم الحشر للعلامة: ٩٦، وينظر الاقتصاد للطوسي: ٣١٠.

(٣) تفسير السمعاني: ١٥٤/٥، تمهيد الأوائل، الباقلاني في قضية الحمل لمدة ستة أشهر، تفسير الرازي: ٢٢/٢١، وينظر: مناقب الموقف الخوارزمي: ٨١، مطالب السؤول: ٧٧، الاستيعاب: ٣٩/٣، مصنف عبد الرزاق: ٣٢٧/٧، المغني لابن قدامة: ١٣٥/١ في قضية المرأة الحامل المجنونة، وينظر: مطالب السؤول: ٧٧ المرأة المشتركة مع الرجل في الصفات الجينية.

اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي)[١].

لذا فإنّ شرط التقوى والعدالة والأعلمية شرط أساسي في الإمامة في الفكر الإمامي، فالتقوى هي حفظ النفس مما يؤذيه ويضره، وهي في الشرع حفظ النفس مما يؤثم، أما العدالة فهي فرع من العصمة ويجب على الحاكم أن يحكم بالسوية بين الرعية، أما عند غير الإمامية فليس بشرط حسب ماذهبوا إليه من أنّ الإمام لاينخلع بفسقه وظلمه، قال الباقلاني: لاينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود، ولايجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله)[٢]، وقال الايجي: لايشترط هذه الصفات لأنها لاتوجد فيكون اشتراطها عبثاً أو تكليفاً بما لايطاق ومستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها[٣].

ومن ثم فإنّ شرط العدالة مفقودة كذلك الأعلمية والتقوى وغيرها من الصفات فإنها غير موجودة عندهم حسب تعبير الأيجي الأخير. أما الإمامية فينظرون إلى الإمامة بأنها استمرار لوظائف النبوة فكل مايشترط في النبوة يشترط في الإمامة باستثناء الوحي ويجب أن يكون أعلم الناس بحاجة الخلق إليه، وفيما يلي نماذج روائية تفسيرية:

١ - قال تعالى ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾ [٤].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة (٢) ص٣٠.

(٢) التمهيد: ١٨، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٣٧٩، شرح العقيدة النسفية: ١٨٥.

(٣) شرح المواقف: ٨/٣٤٩-٣٥٠.

(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد الطوسي: ٢٤٤، ٢٩٦، قواعد المرام، البحراني: ١٧١، محاضرات في الإلهيات، السبحاني: ٣٤٥-٣٤٧.

روى الحميري قال: قال أبو عبد الله وأبو جعفر وعلي بن الحسين والحسين بن علي والحسن بن علي وعلي بن أبي طالب (عليهم السلام): (والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما كان أو يكون إلى أن تقوم الساعة {يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ}[1].

روى الصفار بإسناد عن جعيد الهمداني قال: قلت للحسين عليه السلام بأي شيء تحكمون؟ قال عليه السلام: (يا جعيد بحكم آل داود فإذا عيينا بشيء تلقانا به روح القدس)[2].

ودلالة الروايتين واضحة بأنهم أعلم الإنس بالشريعة، ويعلمونه ذلك بعلم من الله ورسوله.

٢-قال تعالى {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ}[3].

أخرج التستري أنَّهُ: سَمع الحسين بن علي رَجُلاً يقول: سلوني عما دون العرش فقال عليه السلام: (قد ادعى دعوة عريضة، ثم قال له: أيها المدعي أخبرني عن شعر لحيتك أشفع هو أم وتر؟ فسكت وقال: علمني يابن رسول الله! قال عليه السلام: شفع فإنّ الله تعالى قال {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ} فالمخلوقات زوج والوتر هو الله تعالى[4].

وقد استدل عليه السلام بالآية الكريمة لإثبات وحدانية الله تعالى وأبطل دعوى أعلمية المدعي للعلم.

---

(١) الرعد/٣٩.

(٢) قرب الإسناد: ٣٥٣ ح١٢٦٦، بحار الأنوار: ٤/٩٧ ذيل ح٥.

(٣) بصائر الدرجات: ١٥٢.

(٤) الذاريات: ٤٩.

وأرسل ملك الروم أسئلة إلى معاوية فيها المسائل العويصة حسب ظنه، عجز معاوية وأتباعه عن حلها، فأرسل ابنه يزيد إلى الإمام الحسين عليه السلام في وفد فأجابه الإمام الحسين عليه السلام وقال له: (إنّك سألتني عن أشياء ماهي من منتهى العلم إلا كالقذى في البحر، فأرسلها معاوية إلى ملك الروم، فقال لوفد معاوية إنها ليست من عنده إنها من فيض النبوة)[١].

وكذلك مارواه الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام الحسين عليه السلام أنَّهُ قال: (أيها الناس علمنا منطق الطير.. ثم بدأ عليه السلام بتفسير أصوات الحيوانات، وماهي من مكونات العلم عند أهل البيت (عليهم السلام)، التي ملأت الخافقين، ومع هذه العلوم الفياضة الغزيرة فإنه لم ينقل أحد إنَّ أهل البيت تعلموا ودرسوا عند أحد، وهذا دليل على أنَّ علمهم فيض رباني اكتسبوه كابراً عن كابر وأنَّهم أعلم الأمة[٢].

قال السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة المكرمة، إنَّه قيل لعمر: إنَّك تصنع بعلي من التعظيم شيئاً لاتصنعه مع أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال إنَّه مولاي[٣]، وقال يوماً آخر: (لقد أعطي علي عليه السلام ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم، فسئل وماهن؟ قال: زوجته فاطمة (عليها السلام) وسكناه المسجد لايحل لي فيه مايحل له، والراية يوم خيبر)[٤]، وأما في جهاد أهل البيت

---

(١) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ١٠/١٣٧.

(٢) قال القندوزي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أعلم أمتي علي بن أبي طالب) ينابيع المودة ١/٢١٦.

(٣) الفتوحات الإسلامية: ٢/٢٧٠، من حياة عمر بن الخطاب، عبد الرحمن البكري: ٧٠.

(٤) تاريخ الخلفاء: السيوطي: ١٧٢، أسد الغابة: ٤/٢٨، وينظر: حياة عمر بن الخطاب، ←

(عليهم السلام) فلا يشك في ذلك أحد أبداً من الإمام علي عليه السلام وسيرته الجهادية كتبت بسطور من ذهب ونكتفي بهذا القدر من الشروط مع وجود شروط أخرى ذكرتها كتب العقائد.

ثالثاً: عدد الأئمة: أخبرت الأحاديث الشريفة أنّ الإمامة لاتخرج عن أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك يدل على عدم توافر شروط الإمامة في غير هذا البيت، لعدم انطباقها على الخلافة الراشدية ولا على حكام الدولتين الأموية والعباسية، وقد أشارت هذه الأحاديث مرة بذكر الإمامة في قريش وأخرى في بني هاشم وثالثة في ذرية النبي من فاطمة (عليها السلام) ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث بحمل العام على الخاص، فتكون النتيجة: أنّ الإمامة منحصرة في ذرية فاطمة (عليها السلام) والذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم وقد تبنى أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) حصر عدد الأئمة باثني عشر إماماً تبعاً لما وقع بين أيديهم من الروايات الصحيحة الدالة على ذلك.

ذكر المحقق الصافي أنَّ الروايات التي ذكرت أنَّ الخلفاء من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم اثنا عشر قد تصل إلى مايتجاوز (٢٧٠) رواية من طرق الفريقين[١].

لكن العدد أكثر من ذلك بكثير كما ورد في معجم أحاديث المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[٢].

البكري: ٣١٤-٣٣٠.

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ١٠.

(٢) معجم أحاديث المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الشيخ الكوراني: ٢/٢٦٥.

وقد ذكر هذا العدد في كتب جمهور المسلمين في أحاديث شريفة منها في صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند أحمد، سنن الترمذي، سنن أبي داود، المعجم الكبير للطبراني، حلية الأولياء، مستدرك الحاكم، صحيح مسلم بشرح النووي ومشكاة المصابيح، السلسلة الصحيحة للألباني، عون المعبود في شرح سنن أبي داود، الصواعق المحرقة، تاريخي الخلفاء، كنز العمال وغيرها من كتب الحديث[١]، ونأخذ ثلاثة نماذج منها:

روى البخاري بسنده عن جابر بن سمرة، أنَّه قال سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنَّه قال: كلهم من قريش)[٢].

روى مسلم في صحيحه بتسعة طرق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لايزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)[٣].

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن مسروق فقال سألت عبد الله بن

---

(١) صحيح البخاري، باب الاستخلاف: ١٦٤/٤، صحيح مسلم بتسعة طرق: ٧٠٦/٢، مسند أحمد: ٩٠/٥و٩٣ و٩٧ و١٠٦ و١٠٧، سنن الترمذي: ٥٠١/٤، سنن أبي داود: ١٠٦/٤، ح٧٢٧٩ و٤٢٨١، معجم الطبراني: ٢٣٨/٢ ح١٩٩٦ حلية الأولياء: ٣٣٢/٤، مستدرك الحاكم: ٦١٨/٣، صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٠١/١٢، مشكاة المصابيح للتبريزي: ٣٢٧/٣ ح٥٩٨٣و السلسلة الصحيحة للألباني/ ح٣٧٦،عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ٢٦٢/١١ شرح حديث: ٤٢٥٩، الصواعق المحرقة: ١٢، تاريخ الخلفاء: ١٠، كنز العمال: ٢٧/١٣.

(٢) صحيح البخاري: ١٦٤/٤باب الاستخلاف.

(٣) صحيح مسلم: ٧٠٦/٢ بتسعة طرق من ح٤٧٢٤-٤٧٣٣، وفي روايات أخرى عن ثوبان: حتى تقوم الساعة: ٧٤٠/٢ ح٤٩٧٥ وينظر الحديث: ٤٦٧٢ قريب منه.

مسعود، فقال ابن مسعود: (لقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اثنا عشر خليفة كعدة نقباء بني إسرائيل)[1]، هذا بالإضافة إلى عشرات مصادر الإمامية.

عند تحليل الروايات نستنتج خصوصيات ودلالات منها:

١- نصت على عدد الأئمة قبل أن يكتمل عدد الأئمة عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

٢ - إنَّ هذه الروايات لايمكن لأحد أن يتهم أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بوضعها أو اختلاقها بعد أن آمنوا بأن عدد الأئمة اثنا عشر، وذلك بعد ورودها في صحاح ومسانيد المذاهب الأخرى من المسلمين وهي المعول عليها عندهم، وكذلك أنّ أسانيدها موثقة وحسب الموازين الرجالية عندهم.

٣ - إنَّ قسماً من هذه الروايات شبهت الأئمة والخلفاء كنقباء بني إسرائيل، عبر السيد محمد تقي الحكيم في مقتضى هذا التشبيه، أن يكون هؤلاء معنيين بالنص، وذلك لقوله تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً } وبالطبع أنَّ ذلك رفض لنظرية اختيار الأمة أو انتخاب أهل الحل والعقد فلابد من الرجوع إلى من عصمه الله[2].

٤ - إنَّ هذه الروايات دلّت على بقائهم مابقي الدين الإسلامي أو حتى تقوم الساعة.

٥- أكدت الروايات بأجمعها أنَّ هؤلاء الخلفاء كلهم من قريش، ويتبين

---

(١) ٢/٥٥ ح٧٣٨١ المستدرك: ٤/٥٤٦ ح٨٥٢٩ وتفسير السمعاني: ٢/٢٦ تفسير القرطبي: ٩١/٢١٤.

(٢) الأصول العامة: ١٨٠ وينظر: أصول العقيدة: السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله): ٢٥٢، نظرية عدالة الصحابة: ٢٥٧-٢٦٦، مناهج بحث الإمامة، السيد كمال الحيدري: ٨٩-٩٣. والآية في المائدة/١٢.

في ضوء ماتقدم أنَّ معرفة الأئمة يأتي إما:

أ- عن طرق النقل، أي من خلال الروايات المنقولة عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) والتي تنص بأسمائهم.

ب- عن طريق السيرة التاريخية (الدليل التاريخي) كما سماه السيد محمد تقي الحكيم (قدس) حيث قال: (إنَّ هؤلاء الأئمة الاثنى عشر، قد ادعوا لأنفسهم الإمامة في عرض الفترات الزمنية واتخذوا من انفسهم، كما اتخذهم الملايين من أتباعهم، قادة للمعارضة السلمية للحكم القائم في زمنهم وكانوا عرضة للسجون والمراقبة، وكثير منهم قتل بالسم، وفيهم من استشهد في ميدان الجهاد على أيدي القائمين بالحكم، وفي هؤلاء من تولى الإمامة وهو ابن عشرين سنة كالحسن العسكري عليه السلام بل فيهم من تولى منصبها وهو ابن ثمان كالإمامين الجواد والهادي (عليهما السلام) ومن المعروف عن الشيعة ادعاؤهم العصمة لأئمتهم الملازمة لدعوى الإحاطة في شؤون الشريعة جميعها، بل ادعوا الأعلمية في جميع الشؤون وهم أنفسهم صرّحوا بذلك[١]، ولنذكر بعض النماذج الروائية المأثور عن الإمام الحسين عليه السلام.

١- قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢].

روى الصدوق والطبرسي والطبري الإمامي بإسنادهم عن عبد الرحمن ابن سليط، قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم التاسع من ولدي، وهو

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن: ١٨١.

(٢) التوبة/ ٣٣.

الإمام القائم بالحق يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها أقوام ويتثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون لهم ويقال لهم: (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)(١)، أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

دلت الرواية على عدد الأئمة وسمتهم بالمهديين، لأنهم يهدون الناس إلى الحق والفضيلة وسيرتهم خير شاهد على ذلك، وأنهم المهديون الذين يهدون الناس إلى دين الحق دين الإسلام، وأنّ آخرهم سيقوم بإرجاع الحق إلى أهله وفق مافرض الله تعالى في محكم كتابه.

٢-قال تعالى: { وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ } (٣).

روى الخزار القمي والبحراني والمجلسي بإسنادهم جميعاً عن إسماعيل بن عبد الله قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام لما أنزل الله تبارك وتعالى { وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ } سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تأويلها: فقال: والله! ماعنى غيركم، وأنتم أولوا الأرحام فإذا مت فأبوك علي أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك

---

(١) يونس/٤٨.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٦٨/١ باب ٦ ح٣٦، كمال الدين وإتمام النعمة: ٣١٧/١ باب٣٠ ح٣، إعلام الورى: ٣٨٤، كفاية الأثر: ٢٣١، الصراط المستقيم للعاملي: ٢١١/٢ معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للكوراني: ١٤٠/٥ وروى الكليني عن الإمام الكاظم: ٢٢٣/١ ح١١٧٢.

(٣) الأنفال: ٧٥.

الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أولى به قلت: يارسول الله فمن بعدي أولى به قال: ابنك علي أولى بك من بعدك، فإذا مضى فابنه محمد أولى به من بعده، فإذا مضى فابنه جعفر أولى به من بعده، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى به من بعده، فإذا مضى موسى فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى به من بعده، فإذا مضى محمد فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى به من بعده، فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك، الأئمة التسعة من صلبك أعطاهم الله علمي وفهمي، طينتهم من طينتي فالقوم يؤذوني بهم لا أنالهم الله شفاعتي) (١).

وقد دلت الرواية الشريفة على عدد الأئمة مع التنصيص على أسمائهم.

روى الخزار القمي بإسناده عن يحيى بن يعمن، قال: كنت عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه رجل من العرب متلثماً شديد السمرة سلم وردّ الحسين عليه السلام فقال: (يابن رسول الله مسألة، قال عليه السلام: هات،... فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل، قال: فسمهم لي؟ قال: فأطرق الحسين عليه السلام ملياً ثم رفع رأسه فقال: نعم أخبرك يا أخا العرب إن الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي عليه السلام والحسن وأنا وتسعة من ولدي منهم علي ابني وبعده محمد ابنه وبعده جعفر ابنه، وبعده موسى ابنه وبعده علي ابنه وبعده محمد ابنه

---

(١) كفاية الأثر: ١٧٥، تفسير البرهان: ٣/٢٩٣، ح١٠، بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٤٣ ح٢٠٩ و إثبات الهداة: ٥٤٥ ح٥٥٢ وفي الكافي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنها نزلت في عقبى الحسين (عليه السلام): ١/ ٢٣٥.

وبعده جعفر ابنه وبعده موسى ابنه وبعده علي ابنه وبعده محمد ابنه وبعده علي ابنه وبعده الحسن ابنه وبعده الخلف المهدي هو التاسع من ولدي، يقوم في آخر الزمان فقام الأعرابي وهو يقول:

مسح النبي جبينه ... فله بريق في الخدود

أبواه من أعلى قريش ... وجده خير الجدود(١)

وقد دلت الروايتان الشريفتان على أنَّ عدد الأئمة اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل، ثم نص عليه السلام على أسمائهم قبل وجودهم في الأرض.

وبهذا القدر نكتفي من الروايات الأخرى التي تشير إلى الإمامة وأدوارها في الحياة الإسلامية، وكفى اجتماع الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة وقد أوضح فيه كل شيء من تفسير وعقيدة وأحكام، كذلك أنَّه أُثر عنه الكثير من الروايات التي توصف الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعصره وأنّه الإمام الثاني عشر عليه السلام، وقد أحصيت حوالي أكثر من عشرين رواية فقط في الإمام الثاني عشر عليه السلام أما في عناوين العقائد الأخرى فلم أجد روايات تفسيرية لتكون بحثاً مستقلاً بل وجدت رواية تفسيرية واحدة في الشفاعة، رواها الحاكم النيسابوري في تفسير ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾(٢) عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه

---

(١) كفاية الأثر: ٢٣٢، غاية المرام، البحراني: ١/٢٣٢، باب ١٥ ح٣٤، الصراط المستقيم العاملي: ٢/١٥٦ اب١ ح٨، درر الأخبار حجازي ٢٥. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الكوراني: ٣/١٨٦.

(٢) الشعراء/١٠٠ - ١٠١.

(٣) شواهد التنزيل: ١/٤١٩، بحار الأنوار: ٤٣/٦٤ح٥٣

عن الحسين عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في شيعتنا { فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ } وذلك أنّ الله تعالى يفضلنا حتى إنا نشفع ويتشفع لما رأى ذلك من ليس منهم قالوا (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

وروى ابن عساكر عن الحسين عليه السلام عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أعطيت الشفاعة للمذنبين من أمتي يوم القيامة)[(١)].

وقد دلت الرواية على أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) يشفعون للمذنبين يوم القيامة محصورة بالمؤمنين.

وبهذا القدر نكتفي بالبحث العقائدي التفسيري حصراً ونرجو أن لانكون قد أسأنا الأدب في التعامل مع الروايات لوجود الخلاف الفكري في تلك المباني، وكذا أنَّ البحث عن شخص عظيم دانت له الإنسانية بالفضل، وخرت له ساجدة معترفة بعلو قدره وسمو مكانته، فقد علا إسمه الخافقين وتسابق في البحث والكتابة عنه المسيح واليهود لا المسلمين وحدهم العرب وغيرهم[(٢)] وأنّ حبهم ينفع كل إنسان مهما كانت عقيدته وانتماؤه. روى المغازلي بإسناده عن عقيصا (وهو أبو سعيد دينار) قال: (سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: (من أحبنا نفعه الله بحبنا وان كان أسيراً في الديلم،

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤١/٢٥٥ وينظر: مسند داود بن سليمان الغازي، حديث سلسلة الذهب في الشفاعة: ص١٧٦ ح١١٠.

(٢) ظ. الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي، د. أنطوان بارا، مقدمة الطبعة الأولى المرجع المعظم السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس) مقدمة الطبعة الثانية الدكتور محمد بحر العلوم، مقدمة الطبعة الثالثة: د. اسعد علي..

وإن حبنا ليساقط الذنوب كما تساقط الريح الورق)[١].

كذلك إنَّ النعيم الأعظم هو حب أهل البيت (عليهم السلام)[٢]، ويمكن أن نلحظ ذلك بوضوح في الجمع بين المنهج الأخلاقي والمنهج العلمي في توضيح المسائل للسائلين وهذا ليس بالغريب لأنهم من بيت الفضيلة والهداية بل هم عنوان لكل فضيلة، وقد خص الإمام الحسين عليه السلام بميزات خاصة انفرد بها عن بقية المعصومين عليهم السلام وتوالت الأخبار في ذلك عن الصحابة والتابعين منها عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال في الحسين عليه السلام (الإجابة تحت قبته -أي إجابة الدعاء- والشفاء في تربته والأئمة من ذريته)[٣]، وقد أحب الإمام الحسين عليه السلام جميع المخلوقات كل أصنافها وأحبه البشر من كل الأجناس حتى قتلته كانوا يقتلونه ويبكون عليه، وأنّ حب أهل البيت (عليهم السلام) مما اجتمع عليه المسلمون لأن حبهم فرض من الله تعالى قال تعالى: { قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى }[٤].

---

(١) مناقب ابن المغازي: ٤٠.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ١/١٠٤ حديث رواة الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) ظ. كفاية الأثر الطبري: ١٧ وينظر: عدة الدعي ابن فهد الحلي: ٤٨ العوالم للإمام الحسين عليه السلام: ٧١٦ وسائل الشيعة: ١٤/٥٣٧، وقد رووا جميعاً إن الله تعالى قد عوض الحسين (عليه السلام) عن قتله بأربع خصال: جعل الشفاء في تربته وإجابة الدعاء تحت قبته والأئمة من ذريته، وأن لاتعد أيام زائريه من أعمارهم.

(٤) الشورى/٢٣ وينظر: سبب نزولها الكافي ٨/٩٣ ح٦٦ موسوعة كلمات الإمام الحسين، الشريفي: ١٣٦ ومصادره، مناظرة بين الزهراء (عليها السلام) وابي بكر وعمر.

الفصل الرابع

الجهود التفسيرية الفقهية عند الإمام الحسين (عليه السلام)

المبحث الأول: العبادات

المبحث الثاني: العقود

المبحث الثالث: الإيقاعات وغيرها

توطئة

القرآن الكريم كتاب هداية لجميع الخلق بلا استثناء، وهو دستور الخالق لإصلاح المخلوقين، وقانون السماء لهداية الأرض في الأمور الدينية والدنيوية، وهو برهان الرسالة المحمدية ودليلها، قال تعالى ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [١]، فهو مصدر التشريع الإسلامي يستند إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه، وليس لأحد حق في تشريع حكم بدون أمر من الله وبيان من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن جعلهم أمناء على خلقه، وهذا كله لحفظ عقيدة الإنسان وحفظه من الانزلاق في مهاوي الرذيلة وتنظيم حياته مع الفرد والمجتمع معاً للارتقاء به إلى المراتب العليا السامية[٢].

إنَّ المجتمعات الإنسانية - مهما كانت ومتى وأينما كانت- لا تخلو من قواعد تبني عليها نظمها الاجتماعية بسبب الرغبة الموجودة في الذات

(١) فصلت/ ٤٢.

(٢) ظ. آيات الأحكام، اليزدي (قدس): ٨-٩، البرهان في علوم القرآن، السوداني: ٢/٣٣٧.

الإنسانية نحو الحياة الاجتماعية حتى قيل إنّ: (الإنسان مدني الطبع) [١] أي لايمكن تعيشه إلا باجتماعه مع أبناء نوعه، فحثته هذه الرغبة الى أن جعلته يفكر في تنظيم حياته الاجتماعية منذ البداية[٢].

ولم يترك الله سبحانه وتعالى الإنسان وحده في خضم الحياة بل شملته عناية الذات الإلهية المقدسة، فوهبت له العقل والفطرة وأرسل إليه الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ففازت المجتمعات الإنسانية التي سارت فيها على ذلك النهج وحصلت على الهدايتين التكوينية والتشريعية ولولا تعاليم الأنبياء (عليهم السلام) التي جاءت من الذات المقدسة لأصبحت الحياة الإنسانية ظلمات في ظلمات، إذ لاقدرة للعقل وحده في تسيير الحياة وتنظيم شؤونها بعد ضعفه عن مقاومة الشهوات والرغبات التي تؤثر في شخصية النوع الإنساني وهذا ما نشاهده اليوم في المجتمعات التي رفضت تعاليم السماء حيث أخذت تحس بالويلات والمشاكل والفساد الأخلاقي والاجتماعي على السواء.

ولما كانت الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين (صلوات الله عليهم أجمعين) فإن ذلك يقتضي بطبيعة الحال أن تتسم بالكمال وهذا مانشاهده بالوجدان فقد إمتازت على غيرها من الشرائع السماوية، بالاستيعاب والشمولية وموافقتها للفطرة الإنسانية، إضافة إلى خصوصيتها بالدوام والاستمرارية[٣].

---

(١) نهج الإيمان، ابن جبر: ٤٢، هداية المسترشدين، الشيخ الشيرازي: ١/٢٠٥.

(٢) ظ. الإعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق: ٨١-٩٦، وينظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان: ٧.

(٣) ظ: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان: ٨.

والإمام الحسين عليه السلام امتداد للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحجة الله على خلقه لذا كان له أثرٌ بارزٌ في الشريعة الإسلامية وتنظيم حياة المجتمع الإسلامي وسوف يتناول البحث في هذا الفصل الروايات التفسيرية ذات البعد الفقهي التشريعي، وأغلبها مروية عنه عليه السلام أو رواها عن جده أو أبيه صلوات الله عليهم وقد انتظمت في ثلاثة مباحث: العبادات، العقود، والإيقاعات والأحكام، وكان النصيب الأكبر للمبحث الأول –العبادات- مع ندرتها في الأخريات وعلى العموم يجد القارئ قلة الروايات التفسيرية مع وجود روايات فقهية تحقق أطروحة جامعية واسعة الأبعاد، ويمكن أن نعزو ذلك إلى الظرف السياسي العصيب الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام ومن الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول: العبادات

أولاً: الصلاة

١- الحث على الصلاة

قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[(١)].

روى زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال: قال: أبي عليه السلام: (الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، وهي قول الله عز وجل: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[(٢)].

الحديث الشريف روي أيضاً عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) بطرق أخرى منها مارواه الطبراني بإسناد عن أبي سعدي الخدري أنّه سمع رسول الله

(١) هود/ ١١٤.

(٢) مسند زيد بن علي (عليهما السلام): ١١٣ باب فضل الصلاة، مستدرك الوسائل: ١١٥/٣ ح٧ عن علي (عليه السلام).

صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الصلوات الخمس كفارات مابينها..)[١]، وهذه الرواية على وجه العموم تفسر الصلوات الخمس هنا بالفرائض الخمس الواجبة وذلك بالدوام على المحافظة عليها، وهو المروي عن ابن عباس.

وروي عن أهل البيت (عليهم السلام) معنيان أحدهما: فسّر الحسنات بصلاة الليل أو الاستغفار من الذنوب والندم عليها وهي أفعال حسنة وتمحو السيئات، والآخر: الصلاة الواجبة التي هي أولى الأفعال الحسنة وأعظمها شأناً وهي تكليف تقع على كل شخص بالغ وعليه تكون دلالة الحديث الشريف:

١ - حث على أداء الصلاة والمداومة عليها خاصة الصلاة المفروضة الواجبة لما لها من درجة رفيعة وثواب جزيل، وخصيصة تكفير ما بينها من السيئات.

٢ - أداؤها من الأفعال الحسنة، والأفعال الحسنة تمحو السيئة وتذهب بها كما هو مذكور في قوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[٢].

٣ - أداء الصلاة والمداومة عليها تنقي القلب وتطهر الروح من الآثام والموبقات والمعاصي، فيكون لها أثر كأثر الماء الذي يقوم بتطهير البدن من الأوساخ المادية، وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أسانيد منها ما وصى به الإمام علياً عليه السلام حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) المعجم الكبير: ٣٨/٦ مسند/ أبي سعيد الخدري، ورواه ابن شيبة في المصنف عن سلمان المحمدي: ٢٨٠/٢ ح٢، ح٣ بإسناد آخر، كنز العمال: ٢٨٥/٧، ح١٨٩٤، ١٨٩٥.

(٢) هود/ ١١٤، وينظر: تفسير الميزان: ٣٣٢/٤، تفسير الأمثل: ٢٠٧/٣، شرح أصول الكافي: ٣٠/١، الحاشية على أصول الكافي، رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني: ١٢٨، وينظر تفسير الرازي عن ابن عباس قال: الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب.

(ياعلي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهرٍ جارٍ على باب أحدكم ما ظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك الصلوات الخمس لأمتي) [(١)].

في حديث إبراهيم بن عمر اليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار) [(٢)]، وفي حديث آخر رواه سماعة[(٣)] قال سألت أبا عبد الله عليه السلام في جوابه على مسألة فقال: (إن الخطيئة لاتكفر الخطيئة ولكن الحسنة تحط الحطيئة)[(٤)]، وكلا الحديثين يؤديان معنى واحد، أنّ الحسنة سواء بالليل أم بالنهار تحط الخطايا وتمحو الذنوب.

وفي رواية فضل بن عثمان المرادي[(٥)] قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع من كن فيه وان عملها -أي السيئة- أجّل سبع ساعات وقال: صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو

---

(١) تفسير العياشي: ٢/١٦١ ح٧٤، تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٠٩، الحديث برواية أبي حمزة، وروي الحديث بلفظ آخر عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أرأيتم لو أنَّ بباب أحدكم نهراً) ظ. المصنف لابن أبي شيبة: ٢/٢٨٠، المعجم الكبير: ٦/٣٨، الدر المنثور، السيوطي: ٣/٣٥٥ عن سلمان المحمدي (رض).

(٢) الكافي: ٣/٢٦٦ ح١، تهذيب الأحكام: ٢/١٢٢ ح٢٣٤، وسائل الشيعة: ٨/١٤٦.

(٣) سماعة: سماعة بن عبد الرحمن المزني: كوفي إمامي من أصحاب الإمام الصادق وهو ثقة ظ. الفائق في الرواة وأصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) الشبستري: ٢/٩٩، وينظر: رجال الطوسي: ٢١٤، جامع الرواة، الأردبيلي: ١/٣٨٤، معجم رجال الحديث: ٨/٢٩٧.

(٤) الكافي: ٥/١٢٦ ح٩، تهذيب الأحكام: ٦/٣٧٠ ح٨٩، وسائل الشيعة: ١١١/١٤٧ ح٥٢.

(٥) فضل بن عثمان المرادي: من أصحاب الإمام الصاد ق (عليه السلام)، ذكر السيد الخوئي (قدس) اختلاف اسمه بين فضل أو فضيل) ظ: معجم رجال الحديث: ٤/٣٤٢، قال غلام رضا عرفانيان: ثقة. مشايخ الثقات: ١٤٠

صاحب الشمال لاتعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها فإنّ الله عز وجل يقول {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[(١)]، والحديث يبين أنّ الإنسان إذا إرتكب سيئة ثم بعد ذلك جاء بفعل حسن وإنّ الحسنة بعشرة أمثالها فتمحو السيئة[(٢)] ويمكن الجمع بين الأحاديث الشريفة أنّ كل فعل حسن كالصلاة المفروضة أو المستحبة لها أثر على فعل الإنسان.

٢ - الحث على الصلوات المستحبة

١ - قال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}[(٣)].

روى زيد بن علي عن أبيه عن جدّه الحسين عليه السلام قال: قال أبي لاتدعن صلاة ركعتين بعد المغرب، لا في سفر ولا في حضر فإنها قول الله عز وجل: {وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} ولاتدعن صلاة ركعتين بعد طلوع الفجر قبل أن تصلي الفريضة لا في سفر ولا في حضر فهي قول الله عز اسمه وجل ذكره {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}[(٤)(٥)].

قبل الدخول في دلالة الرواية نشير إلى المعنى اللغوي للآيتين: فسر الإدبار في الآية الأولى {وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}[(٦)]، أواخر الصلوات وفسر الإدبار في الآية الثانية {وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}[(٧)] أي إذا أدبرت النجوم وخفقت وغارت

(١) الكافي: ٢/٤٣٠ ح٤، ووسائل الشيعة: ١٦/٦٥، ح١.

(٢) ظ. شرح أصول الكافي المازندراني: ١/١٦٦.

(٣) ق/٤٠.

(٤) الطور/ ٤٩.

(٥) مسند زيد بن علي عليهما السلام: ١٣١، باب صلاة التطوع.

(٦) ق/ ٤٠.

(٧) الطور/ ٤٩.

ومنه إدبار الليل أي خرج وذهب كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[١]، ويطلق على هذا الوقت (إدبار النجوم) آخر أوقاتها[٢].

فيكون وصف كمن يأتي يبحث عن حاجة بعد أن أدبر القوم، وهذا الوقت بالذات مأمور به بذكر الله وتسبيحه لأنه تشهده ملائكة الليل والنهار، كما هو في تفسير الروايات للآية ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٣].

الرواية الشريفة هي وصية من الإمام علي عليه السلام إلى ابنه الحسين عليه السلام وفيها يوصيه: بالمحافظة على أداء الصلوات المستحبة ومنها النوافل التي تصلى بعد صلاة المغرب، ومادام العدد محصور بركعتين فتكون غير نافلة المغرب التي هي أربع ركعات بل هي نافلة مستحبة أخرى (تسمى صلاة الغفيلة) ولكن لها أهمية تربوية وأخلاقية فحمل الوصية هنا على الإستحباب[٤].

---

(١) المدثر/ ٣٣.

(٢) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٦٤، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٩٧/٢، إملاء ما مَنَّ به الرحمن العكبري: ٢٤٣/٢، وينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري: ١٣/٤.

(٣) الإسراء: ٤٧٨ وينظر الكافي: ٢٨٣/٣، رواية عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذا المعنى من لايحضره الفقيه، الصدوق: ٢٢٢/١ ح٦٦٥ تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٣٧/٢ ح١١٦، شرح أصول الكافي: ٤٨٢/١٢ وينظر أيضاً المعنى: صحيح البخاري: ٢٢٧/٥، باب التفسير، سنن ابن ماجة: ٢٢١/١ ح٦٧ حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال السيد الطباطبائي: هذا المعنى قد بلغ حد التواتر، تفسير الميزان: ١٧٨/١٣.

(٤) ظ: جواهر الكلام، الشيخ الجواهري: ٢٢٢/٧.

أما الركعتان بعد طلوع الفجر هما نافلة الفجر التي تؤدى قبل صلاة الفريضة، وهذا العدد مذكور في تفسير الآيتين وقد روي عن الإمام علي عليه السلام[(١)]، وهو المروي عن الإمام الحسن عليه السلام وابن عباس وغيرهم[(٢)].

وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في صحيحة زرارة بن أعين، قال: قلت له (وأدبار النجوم) قال عليه السلام ركعتان قبل الصبح، قلت: (وأدبار السجود) قال عليه السلام (ركعتان بعد المغرب)[(٣)].

كذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يدعو عباده في القرآن الكريم إلى الذكر والتسبيح، فقد ورد نظير هذا المعنى مع اختلاف يسير، حيث قال رب العزة: ﴿ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى ﴾[(٤)]، ومن ثم تبين مما تقدم الإجماع على التفسير المشار إليه من قبل أهل البيت وصحابة رسول الله (صلوات الله عليهم).

٢- قال تعالى ﴿ إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾[(٥)].

---

(١) دعائم الإسلام، المغربي: ٢١٠/١، تفسير القرطبي: ٢٥/١٧، فتح القدير، الشوكاني: ٨١/٥ الدر المنثور: السيوطي: ١١٠/٦ وفي المصدرين الأخيرين عن علي (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) أحكام القران، الجصاص: ٥٤٤/٣ وينظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٦، دعائم الإسلام، المغربي: ٢٠٩/١، المصنف لابن أبي شيبة، ٤٠٤/٢ ح٣٢٤ المبسوط، السرخسي: ١٥٧/١ روها عن الإمام الحسن (عليه السلام) جميع المصادر.

(٣) الكافي: ٤٤٥/٣ ح١١ باب النوافل، وسائل الشيعة: ٧٣/٤ ح٤٥٤٥، زبدة البيان، المحقق الأردبيلي (قدس): ٦١.

(٤) طه/ ١٣٠ وينظر: تفسير الأمثل: ٥٨/١٧، أضواء البيان في تفسير القرآن، الشنقيطي: ٤٣١/٧.

(٥) المزمل/ ٦.

قال السيوطي: أخرج ابن المنذر عن الحسين بن علي عليهما السلام أنّه رؤي يصلي فيما بين المغرب والعشاء فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: (إنها من الناشئة)[١].

في هذه الرواية الشريفة حث على أداء نافلة أخرى وأيضاً تؤدّى بين المغرب والعشاء وذلك عند نشوء الليل وحلوله مع العلم وجود روايات تدل على معنى آخر وهو حث على القيام لأداء صلاة الليل، في رواية هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ قال عليه السلام: (قيامه عن فراشه لايريد إلا الله عز وجل)[٢].

لكن عند الرجوع إلى معنى (نشوء الليل) في اللغة نجده: أول ساعاته وقيل: الناشئة والنشيئة إذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت، ومنه: ناشئة الليل وقيل ماينشئ في الليل من الطاعات والناشئة أول النهار والليل[٣].

وبذلك يمكن أن نقول إنَّ من معاني ناشئة الليل: أول دخوله ويكون الإنسان على حالة من الغفلة، فهنا حث على أداء صلاة نافلة تذكر الإنسان وربما هي (صلاة الغفيلة) ونجد ذلك في موروث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (تنفلوا في ساعة

(١) الدر المنثور: ٢٧٨/٦.

(٢) الكافي: ٤٤٦/٣ ح١٧، باب صلاة النوافل، من لايحضره الفقيه، الصدوق ٤٧٣/١ ح١٣٦٤، تهذيب الأحكام: ١٢٠/٢ ح٤٥٠، قال المازندراني الرواية صحيحة الإسناد: ظ. شرح الكافي: ١٣٩/١.

(٣) لسان العرب: ١٧٢/١، شرح نهج البلاغة، أبي الحديد المعتزلي: ٢٨/٧، وقال ابن شيبة: إن ناشئة الليل بلسان الحبش: قيام الليل، أي دخوله ، المصنف: ١٥٩/٧.

الغفلة ولو بركعتين خفيفتين إنّهنّ تورثان دار الكرامة ودار السلام وهي الجنة وساعة الغفلة بين المغرب والعشاء)[١].

وعن زين العابدين عليه السلام إنَّهُ عليه السلام كان يصلي بين العشائين ويقول: (أما سمعتم قول الله إن ناشئة الليل، هذه ناشئة الليل)[٢].

وروى الشيخ الكليني والطوسي بإسنادهما عن أحدهما (عليهما السلام) في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ قال عليه السلام: (هي ركعتان بعد المغرب)[٣].

وأخرج الشوكاني عن أنس في تفسير الآية قال: ما بين المغرب والعشاء، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي مابين المغرب والعشاء، قال الشوكاني، وقد روي عن محمد بن المكندر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (إنها من صلاة الأوابين)[٤].

ونختم الاستدلال بالروايات على مايذهب إليه البحث بهذه الرواية الشريفة، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من صلى بين العشائين ركعتين يقرأ في الأولى الحمد ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الثانية الحمد وقوله ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

(١) من لايحضره الفقيه: ٥٦٥/١ ح١٥٥٩، تهذيب الأحكام: ٢٤٣/٢ ح٩٦٣ عن السكوني عن جعفر الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثواب الأعمال: ٤٤ بإسناد آخر وينظر مستند الشيعة، النراقي: ٤٣٠/٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٣٢/٨٤، تفسير الكشاف: ١٧٧/٤، تفسير البغوي: ٤٠٩/٤، فقه القرآن، الراوندي: ١٧١/١.

(٣) الكافي: ٤٦٨/٣ ح٦، تهذيب الأحكام: ١٨٨/٣ ح٤٢٨ لكن ادعاءها يختلف عما هو عليه.

(٤) نيل الأوطار: ٦٥/٣.

الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ.. }[(١)]، الرواية الشريفة تحدثت عن تفسير الناشئة بتلك الركعتين بين المغرب والعشاء وتأكيد على ثوابها العظيم كما هو في آخر الرواية الشريفة وهي ما تسمى بـ(صلاة الغفيلة).

ومن ثم يمكن الجمع بين الرأيين معاً فيمكن أن تصلى ناشئة الليل نافلة عند دخول الليل وحلوله لكي ينتبه الإنسان ويحذر ويتذكر بلقاء الله عز وجل ونعمه التي أنعم عليه ومنها نعمة الليل الذي جعله الله سبحانه راحة للإنسان من تعب النهار وشقائه، ويمكن أن تفسر قيام الإنسان عند نهوضه من النوم وقبل حلول الفجر للقيام بأداء بعض العبادات التي تقرب الإنسان إلى الله وقد قال تعالى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً }[(٢)]، وهذا كله من أجل سعادة الإنسان وبنائه روحياً واستعداده للقاء الله عز وجل وهذا ما أكد عليه علماء الأخلاق والسلوك[(٣)]، ومن ثم يمكن القول في الروايتين إنهما تفسران كصلاة الغفيلة والله أعلم.

٣ - الجهر بالبسملة

أخرج المحدث النوري: عن رسول الله وعن علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، أنهم كانوا يجهرون بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) فيما يجهر فيه

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٤٢٩/٥ ح١٠٢٢ أخرجها عن المصباح للشيخ الطوسي.

(٢) الطوسي/ ٧٩.

(٣) ظ. النظرات حول الإعداد الروحي، الشهيد حسن معن: ٧٠، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع): ٨٥/٤، كيف تبني شخصيتك الروحية العلامة السيد حسين نجيب: ١١٦.

بالقراءة من الصلوات في أول فاتحة الكتاب، وأول السورة في كل ركعة ويخافتون بها فيما يخافت فيه تلك القراءة من السورتين جميعاً، وقال الحسين ابن علي عليهما السلام: (اجتمعنا ولد فاطمة عليها السلام على ذلك)[(١)].

وقد نقل الإجماع الأخير (اجتمعنا ولد فاطمة (عليها السلام) على ذلك) عن الحسن بن علي عليهما السلام[(٢)]، وعن علي بن الحسين عليهما السلام[(٣)].

قال المجلسي: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (التقية ديني ودين آبائي، ولا تقية في ثلاث: شرب المسكر، والمسح على الخفين وترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم)[(٤)]، ثم قال-المجلسي-: يجب الجهر بالبسملة في مواضع الجهر، ويستحب في مواضع الإخفات في أول الحمد وأول السورة عند علمائنا[(٥)].

وأخرج الطبراني بسنده إلى يحيى بن حمزة الدمشقي أنّه قال: صلى بنا المهدي -العباسي- فجهر بـ(بسم الله الرحمن الرحيم، فقلت له في ذلك: فقال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن ابن عباس (إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم وجاء عن أولاد علي (عليهم السلام) قولهم: اجتمع آل محمد على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[(٦)].

إنَّ الجهر بالبسملة عدّ في أخبار وفقه آل البيت (عليهم السلام) من

---

(١) مستدرك الوسائل: ٤/١٨٩، ح١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٨٢/٨١ ح٢٢.

(٣) دعائم الإسلام: ١/١٦٠، باب صفات الصلاة.

(٤) بحار الأنوار: ٨٢/٨٢ ح٢٢.

(٥) المصدر نفسه والصفحة. ونقل أقوال مذاهب المسلمين الأخرى.

(٦) المعجم الكبير: ٤/١٣٥ ح٦٥١ قال: إسناده صحيح، تفسير الثعلبي: ١/١٠٦ رواه عن الإمام الرضا (عليه السلام).

علائم المؤمن، وهذا ما تؤكده وحدة الروايات في المعنى والتي تحتم بوجوب الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية واستحبابها في الإخفاتية وهو المشهور بين علماء الإمامية (تكاد تكون إجماعاً)[١]، وقال سيد سابق: أصح حديث ورد في الجهر بالبسملة[٢]، وحقق السيد الخوئي (قدس) الأقوال في البسملة[٣].

قال الرازي: إن علياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالبسملة، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً في أبطال آثار علي عليه السلام وأنّ الأخذ بقول علي عليه السلام أولى لأنه بقي طول عمره على هذا الأمر[٤]، وهذه المبالغة من الإمام علي عليه السلام كما صرّح الرازي دلالة على وجوبها عنده عليه السلام وهو رأي أولاده الأئمة المعصومين عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام.

وإلى غيره من الأخبار الدالة على وجوب الجهر بالبسملة وهو رأي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) عموماً ومنهم الإمام الحسين عليه السلام وهو ماعليه مذهب الإمامية[٥].

---

(١) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري: ٣٨٥/٩.

(٢) فقه السنة: ١٣٦/١.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٤٦٦، ٤٧٦، ٥٥١-٥٥٣.

(٤) تفسير الرازي: ١٩٥/١.

(٥) ظ. فتاوى ابن الجنيد: ٥٦، نهاية الأفكار الشيخ ضياء الدين العراقي (ره): ٤٦١/٣، مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم (قدس): ٢٠٧/٦، مصباح الفقاهة، كتاب الصلاة، السيد الخوئي (قدس): ٤٢٠/٣، تحرير الوسيلة: السيد الخميني (قدس): ١٦٦/١، وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيد علي الشهرستاني ١٩٦/٢ وينظر: إكليل المنهج في تحقيق المطلب، محمد جعفر الكرباسي: ٤٢٥.

ثانياً: الصوم (العلة من الصوم وثوابه)

قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

ثواب الصوم: روى الشيخ المفيد بإسناده عن الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: (جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (....فأخبرني عن الثامن لأي شيء افترض الله صوماً على أُمتك ثلاثين يوماً وافترض على سائر الأمم أكثر من ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم (إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثين يوماً فافترض على ذريته ثلاثين يوماً ومايأكلونه بالليل فهو تفضل من الله على خلقه وكذلك كان لآدم عليه السلام ثلاثين يوماً كما على أمتي ثم تلا هذه الآية ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2]، قال: صدقت يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما جزاء من صامها: فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مامن مؤمن يصوم يوماً من شهر رمضان حاسباً محتسباً إلا أوجب الله تعالى له سبع خصال أول الخصلة يذوب الحرام من جسده، والثاني: يتقرب إلى رحمة الله، والثالث: يكفر خطيئته ألا تعلم أنّ الكفارات في الصوم يكفر، والرابع: يهون عليه سكرات الموت، والخامس: آمنه الله من الجوع والعطش يوم القيامة، والسادس: براءة من النار، والسابع: أطعمه الله من طيبات الجنة،

---

(١) البقرة/ ١٨٣.

(٢) البقرة/ ١٨٣.

قال: صدقت يامحمد...)[١].

العلة من الصوم: قال ابن شهر آشوب: سئل الحسين بن علي عليهما السلام: (لم افترض الله عز وجل على عبيده الصوم؟ قال عليه السلام: (ليجد الغني مَسَّ الجوع فيعود بالفضل على المساكين)[٢].

تحليل الروايتين الشريفتين: الصوم من الفرائض التي أوجبها الله سبحانه على كل فرد مكلف بلغ سن التكليف الشرعي، وبالإضافة إلى أثره العبادي فإنّ له آثاراً أخلاقية وروحية جمة، إنّ للصوم أهدافاً فردية واجتماعية كذلك له فوائد صحية شهد له العلماء والأطباء ومن ثم فإنّ الصوم نعمة إلهية أنعم بها الواهب للنعم على المجتمع الإسلامي فقطف ثمارها المسلمون على مرّ السنين والأعوام.

وكفى بالصوم هدفاً أنَّهُ يربي المسلمين على مبادئ الإسلام، وأحكامه وتشريعاته الإنسانية كل سنة في شهر رمضان المبارك وتصونهم من الانهيار والضياع والتمزق، وتجعلهم وحدة متماسكة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وقد جعل الله الصوم في شهر الرحمة والبركة والخير خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: (إنّ أبواب الجنة مفتحة في هذا الشهر فاسألوا ربكم أن لايغلقها عليكم، وانّ أبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم أن لايفتحها عليكم وانّ الشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لايسلطها عليكم)[٣]، ويمكن أن نستنتج من الروايات الشريفة

---

(١) الاختصاص: ٢٩-٣٠.

(٢) المناقب: ٤/٦٨.

(٣) أعيان الشيعة: ١/٢٩٩ من خطبة له صلى الله عليه وآله وسلم في إستقبال شهر رمضان ←

مجموعة من الأهداف منها:

١- **التقوى**: وهي باختصار طاعة الله، وهي كرامة إلهية خصّ الباري بها المؤمنين من عباده بل هي أرقى الكرامات الإنسانية قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[١] فالصوم وسيلة تربوية ومقدمة أخلاقية تطهر النفس بالجوع والعطش وتحميها من الشهوات التي تقوى بالأكل والشرب وتوجهها نحو الله تعالى، فقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (خصاء أمتي الصوم)[٢] وأراد بذلك صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ الصيام يميت الشهوات ويشغل اللذات كما أنّ الخصاء يكسر النزوة ويقطع الشهوة[٣].

وأُثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم، (الصوم نصف الصبر)[٤]، و(الصبر نصف الإيمان)[٥]، إذن الصوم درجة مهمة لإستكمال الإيمان، وهو درجة مهمة للوصل إلى تقوى الله تعالى وباعتبار التقوى مقياس قبول الأعمال، حيث قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[٦].

٢-الإرادة: الإرادة ملكة مانعة عن فعل المحرمات[٧]، والصوم بصفته

وينظر: تفسير الأمثل: ١/١٦٨.

(١) الحجرات/ ٣.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٦/٢ زبدة البيان، الأردبيلي (قدس): ١٤٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٣/٨، تاج العروس: ٧/٧٧، مجلة تراثنا: ٥/١١٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ١/٩٠ وينظر: شرح رسالة الحقوق السيد علي القبانجي: ٣٨٨.

(٥) شرح أصول الكافي: ٨/٧٧٧، المستدرك على الصحيحين: ٧/٤٤٦.

(٦) المائدة: ٢٧.

(٧) جامع السعادات، النراقي: ١/٦٦.

فريضة شرعية واجبة تستهدف تربية المسلم على القيم والمثل الإسلامية لأنه من صام صامت جوارحه فليكن على الصائم (وقار الصائم) [١] وعن علي عليه السلام قال: (صوم اللسان خير من صوم البطن)[٢]، وعن زين العابدين عليه السلام: (الصيام جنة من النار)[٣]، وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، (إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وجميع جوارحك)[٤]، أي عن جميع المحرمات بل المكروهات وهنا تتضح الإرادة القوية أُثر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنّه سمع امرأة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطعام فقال لها: (كلي، فقالت: إنّي صائمة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب)[٥]. إذن الصوم إرادة وعزيمة تمنع الإنسان عن فعل المحرمات أو المكروهات فمن لم تكن له إرادة فهو بعيد عن أخلاقيات الصائم.

٣-المساواة: الحديث يدلنا على المساواة بين الغني والفقير، فكما أن الصوم يشعر الأغنياء بجوع الفقراء، فهو يشعرهم بالمساواة أيضاً لأنهم يصومون في وقت واحد في جميع أنحاء العالم بحلول شهر رمضان المبارك ويفطرون في يوم واحد بحلول عيد الفطر المبارك وغيرها من الأهداف

---

(١) من لايحضره الفقيه، الصدوق: ١٠٩/٢ من حديث للإمام الصادق (عليه السلام).

(٢) عيون الحكم والمواعظ ، الواسطي: ٣٠٥.

(٣) تحف العقول: ١٨٦ في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام).

(٤) الكافي: ٨٧/٤ ح١ آداب الصائم، من لايحضره الفقيه، الصدوق: ١٠٩/٢.

(٥) الكافي: ٨٧/٤ ح٣ رواه الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

التربوية الأخرى بالإضافة إلى الهدف الطبي للصوم، ونختم في تحليل هذه الرواية إلى رواية شريفة مأثورة عن الإمام الحسين فيها بيان وإشعار بالندم لمن لم يصوموا، وسرورٌ لمن أطاع الله عز وجل، قال الصدوق رحمه الله: (نظر الحسين بن علي عليه السلام إلى الناس في يوم الفطر يلعبون ويضحكون فقال لأصحابه: والتفت إليهم (إن الله عز وجل خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه فسبق فيه قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا فالعجب كل العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون، ويخيب فيه المقصرون وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته)[1].

والرواية الشريفة درس تربوي وعقائدي مهم فلو كشفت الحجب ورأى الناس ما أعد الخالق للصائمين من عباده، لشغل كل محسن على زيادة إحسانه أي أعماله الصالحة أو تأسف على قلة إحسانه، وتأسف المسيء لإساءته بالتعدي على أحكام الشرع المقدس، فعليه أن يسعى في تدارك سيئاته بالكف عن اللهو واللعب، وأن ينتبه إلى مآله الذي لامفر منه. وهناك رواية أخرى في استحباب صوم يوم عرفة لمن كانت له القدرة رويت بخمسة أسانيد[2].

---

(١) ظ. من لايحضره الفقيه: ٢/١٩٢ ح٢٠٦٣ منها بإسناد سالم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) جامع أحاديث الشيعة: ٦/٣٩ وفي بعض نسخ الفقيه عن الحسن (عليه السلام) في باب النوادر وروى الشيخ الكليني حديثاً يشبهه تماماً عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) بإسناد عن أحمد بن عبد الرحيم: الكافي: ٤/٢٥٦ ح٦٧٢٦.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، الشريفي: ٨٢٧-٨٢٩ ومصادرها عن الكتب الأربعة.

ثالثاً: الحج

الحج لغة: القصد[١].

الحج اصطلاحاً قصد بيت الله الحرام للتقرب إلى الله بأفعال مخصوصة في زمان مخصوص ومكان مخصوص من حج أو عمرة[٢].

وقد دلت سيرته العلمية على أنَّهُ عليه السلام كان يحث على الحج والعمرة معاً وكان يحج ماشياً على القدم، فقد روى الفريقان وبأسانيد متعددة عن الإمام الحسين عليه السلام: (أنّه حج خمساً وعشرين حجة إلى الحرم ونجائبه تقاد معه وهو ماش على القدم)[٣].

وروى عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الخطايا ويجلبان العبد إلى الرزق)[٤]، ودلت سيرته عليه السلام على احترام مكان الحج (الكعبة المشرفة) فخرج يوم الثامن من ذي الحجة وحل إحرامه- بعد أن دس يزيد الرجال لقتله داخل الكعبة وهتك حرمتها- فخرج عليه السلام حفاظاً على قدسية ذلك المكان المعظم وسلبهم تلك القدرة في الاعتداء على قدسية الكعبة[٥].

(١) لسان العرب: ٢/٢٢٦، تهذيب اللغة، الأزهري: ٣/٢٤٩، تاج العروس: ٥/٤٥٩.

(٢) المبسوط للشيخ الطوسي: ١/٢٩٦، شرائع الإسلام: ٢/٩٩، القاموس الفقهي د.سعدي: ٧٦.

(٣) من لايحضره الفقيه: ٢/٢١٩ ح٢٢١٩ المحاسن: ١/١٤٦ ح٢٠٤، ترجمة ابن سعد: ٣٥ ح٢٣٠.

(٤) الجعفريات: ٦٧، مستدرك الوسائل: ٨/٤٧ ح٤٠ وينظر: سنن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ٨/٧٥ روايات أخرى.

(٥) ظ. تاريخ ابن أعثم: ٥/١٤، الكامل في التاريخ: ٢/٥٣٠، البداية والنهاية: ٨/١٥٧.

١-وجوب الحج والاستطاعة واستحباب العمرة: قال تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً }[١]. روى زيد بن علي عليهما السلام عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال في قول الله عز وجل: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً } قال أبي عليه السلام: السبيل الزاد والراحلة، وقال عليه السلام: ولما نزلت هذه الآية قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، فقال: يارسول الله الحج واجب علينا في كل سنة أو مرة واحدة في الدهر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بل مرة واحدة، ولو قلت في كل سنة لوجب، قال: يارسول الله فالعمرة واجبة مثل الحج؟ قال: لا، ولكن إن اعتمرت خيراً لك)[٣].

تحليل النص: الرواية الشريفة أشاد بها العلماء من الفريقين ومنهم العلامة الحلي رضي الله عنه وابن عبد البر[٤].والحج من العبادات المركبة فبعض العبادات بدنية محضة كالصلاة والصوم وبعضها مالية محضة كالزكاة والخمس، ومركبة كالحج حيث جمع سبحانه في هذه الفريضة مابين الأمرين: المادي والبدني، فكانت هذه الفريضة أصعب الفرائض، ونلمس من الرواية الشريفة أنّ فريضة الحج فرضها سبحانه كل عام لمن استطاع بيد أنّه سبحانه خفف على عباده كافة بل إن المطلوب مرة واحدة، وهذا واضح من جواب

(١) آل عمران/ ٩٧.

(٢) الرجل هو الأقرع بن حابس: سنن البيهقي: ٣٢٦/٤، المستدرك على الصحيحين: ٢٩٣/٢ عن ابن عباس.

(٣) مسند زيد بن علي (عليهما السلام): ٢٢٣.

(٤) تذكرة الفقهاء كتاب الحج: ٣٩٨/١، منتهى المطلب: كتاب الحج: ٨٥٣/٢، التمهيد: ٢٩١/١.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو قلت لوجبت مصدرة بـ(لو)، وهي حرف يدل على امتناع الشيء لوجود غيره[١]، وقد اتفق المسلمون على وجوب الحج في العمر مرة واحدة[٢].

أما العمرة والتي هي: زيارة بيت الله الحرام بنحو خاص[٣]، قد تكون مفردة مستقلة عن الحج ووقتها طوال أيام السنة بالاتفاق وأفضل أوقاتها في شهر رمضان المبارك وهي هنا من السنن المؤكدة المحمولة على الاستحباب، فإذا انضمت العمرة إلى الحج قالت الإمامية بوجوبها، وإلى ذلك ذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وقول لأبي حنيفة النعمان، وهو المروي عن الإمام علي عليه السلام وابن عباس وعبد الله بن عمر[٤]، وقيل هو سنة عن أبي حنيفة ومالك[٥]، أما الاستطاعة فهي شرط لوجوب الحج بالاتفاق[٦].

وحدود الاستطاعة كما فسرت في الرواية أنّها: الزاد والراحلة الذي

---

(١) شرح شذور الذهب لابن هشام: ٧٦/٢.

(٢) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني: ١٢٢/٢، كنز العرفان، المقداد السيوري، ٣٧٨/١، أحكام القرآن، الجصاص: ٣٧٧/١، فقه السنة، سيد سابق: ٦٢٩/١.

(٣) القاموس المحيط: ٩٥/٢ مفردات الراغب: ٥٨٦، تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٨/٧، آيات الأحكام، اليزدي: ٤٠٦/١، تبيين الحقائق، الزيلعي: ٤٠/٢.

(٤) كنز العرفان: ٤٠١/١، فقه القرآن، الراوندي: ٢٦٧/١، أحكام القرآن، الجصاص: ٣٢٢/١، الميزان الكبرى، الشعراني: ٥٣٠/٢، التفسير الكبير للرازي: ١٤١/٥، أحكام القرآن لابن العربي: ١٦٩/١و فتح القدير: ١٩٥/١، تفسير المنار: ٢٨١/٥، فقه السنة: ٧٥٠/١.

(٥) أحكام القرآن، الجصاص: ٣٢٢/١، تفسير الطبري: ٢١٥/٢، روائع البيان، الصابوني: ٢٤٤/١.

(٦) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٤٩/٧، المغني، ابن قدامة: ٣٦٣/٣.

هو السبيل ومعناه: من وجد إليه طريقاً - أي إلى الحج- بنفسه وماله[١].

ويكون معناه: من كانت له مؤونة قدر الكفاية من القوت والمشروب ذهاباً وعودة وبالراحلة مثله، وأن يكون له مايُمون عياله حتى يرجع فضلاً عما يحتاج إليه ولو قصر ماله عند ذلك لم تجب عليه[٢].

وقد فسرت بعض الروايات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) السبيل بالزاد والراحلة مع الصحة[٣]، ولأنه من لم يكن قادراً لعجز في بدنه وعلة في جسده، معذور شرعاً لسقوط التكليف عنه شخصاً لأن الله سبحانه وتعالى {لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها}[٤].

٢-أشهر الحج: قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ}[٥].

روى زيد بن علي عن أبيه عن جدّه الحسين عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام: (أيام النحر ثلاثة من يوم العاشر من ذي الحجة في أيها ذبحت أجزأك وأشهر الحج وهي قول الله عز وجل {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ}[٦] شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة والأيام المعلومات أيام العشر والمعدودات هي أيام التشريق، فمن تعجل في يومين فنحر بعد يوم النحر بيومين فلا إثم

(١) مجمع البيان، الطبرسي: ٢/٦٠٨.

(٢) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٧/٤٩، المغني لابن قدامة، ٣/٣٦٣.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/١٣١، عن الأمام الرضا (عليه السلام) رواه الفضل بن شاذان، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) رواه جعفر الكناسي، بلفظ مقارب، ظ: وسائل الشيعة: ٨/٢٣، باب٨ ح٧.

(٤) البقرة/ ٢٨٦.

(٥) البقرة/١٩٣.

(٦) السورة والآية نفسها.

عليه ومن تأخر فلا إثم عليه)[١].

وقد ذكرت هذه المعاني في تفسير الآية ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[٢]، بروايات مأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) وبأسانيد متعددة[٣].

وتسمى الأشهر الثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بأشهر الحج مع العلم أنّ أعمال الحج تبدأ في العشرة الأولى من ذي الحجة والسبب في ذلك أنّ الحاج يحتاج إلى هذه الفترة الزمنية للإستعداد للحج وتهيئة مايلزم له وكذلك أنّ نحر الذبائح يبدأ من يوم العاشر من ذي الحجة بعد قضاء مناسك الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ثم رمي الجمار، وأيام التشريق هي الأيام المعدودات وهي أيام النفر والارتحال وسميت بـ (أيام التشريق) وذلك لشروق الشمس على الذبائح بعد النحر، وأول يوم من أيام النفر هو اليوم الثاني عشر من ذي الحجة ويكون بعد الزوال وفي اليوم الثاني من النفر وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة يجوز قبل الزوال[٤].

سأل أبو أيوب الخزار الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنا نريد أن

(١) مسند زيد بن علي (عليهما السلام): ٣٤٣.

(٢) البقرة/ ٢٠٣.

(٣) ظ. تفسير العياشي: ١/١١١-١١٩ من ح ٢٣٩، الكافي: ٤/٢٥٣ ح٢، ص: ٣٣٧ من ح١ ص٥٢٠ من ح١ -ح١٠ باب النفر، وينظر الأحكام ليحيى بن الحسين ١/٢٠٩ جواهر الكلام: ٣٦/٢.

(٤) ظ. المبسوط للشيخ الطوسي: ١/١٧١ شرائع الإسلام، المحقق الحلي: ٢/٢٥٠و كتاب الحج، السيد الخوئي (قدس): ٢/٢٢٩ وينظر: أساس البلاغة: ١/٢٤١، المحيط في اللغة، مادة شرق: ١/٤٣٦ المخصص لابن سيده: ٣/١٧٣.

نتعجل؟ فقال عليه السلام: لاتنفروا في اليوم الثاني حتى تزول الشمس، أما اليوم الثالث فإذا انتصف فانفروا فإن الله يقول (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) فلو سكت لم يبق أحد إلا يعجل ولكنه قال جل وعز: ﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[١].

وقد تضافرت الروايات في بيان تلك المعاني وأشار الفقهاء إلى نفس مضمون بحث الرواية الشريفة[٢].

هناك روايات فقهية كثيرة في باب الحج وقد وصلت إلى أكثر من عشرين رواية فقهية تتعلق بالحج والعمرة وأحكامها[٣].

رابعاً: الخمس

قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[٤].

روى الحسكاني والبحراني وغيرهم بإسنادهم عن عمرو بن عبد الجبار ابن عمرو قال: حدثني أبي عن علي بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام قال في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ قال أبي عليه

---

(١) تفسير العياشي: ١/١١٩ ح٢٨٣ والآية من سورة البقرة: ٢٠٣.

(٢) ظ. على سبيل المثال: جواهر الكلام، الشيخ الجواهري النجفي: ٢٠/٣٦.

(٣) ظ. موسوعة كلمات الإمام الحسين، الشريفي: ٨٤٣-٨٤٧.

(٤) الأنفال/ ٤١.

السلام: (لنا خاصة، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً كرامة أكرم الله تعالى نبيه وآله بها، وأكرمنا عن أوساخ أيدي المسلمين)(١).

تحليل النص: هذه الرواية الشريفة من أحاديث سلسلة الذهب تتحدث عن الخمس وهي فريضة من الفرائض الإسلامية والغنيمة قيل معناها: الفائدة وقيل ما أُخذ من الكفار من غير قتال فهي فيء، وإن كان مع القتال فهي غنيمة وهو مذهب الإمامية والشافعية(٢)، والفقه الإمامي يرى أنّ الفيء للإمام خاصة يجب فيه إخراج الخمس وكذلك مطلق الفائدة المكتسبة(٣). ويرى الزمخشري حتى الخيط والمخيط(٤)، وعند الإمامية يجب الخمس بعد إخراج المؤونة وهو المروي عن الباقر عليه السلام أنَّهُ قال: (الخمس مما يفضل عن مؤونته)(٥).

واتفق فقهاء المسلمين على وجوب الخمس في الشريعة الإسلامية كذلك أنّ الخمس يقع في بني هاشم وبني عبد المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (بنو عبد المطلب ما فارقونا في جاهلية ولا إسلام وبنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد)(٦)، ونقل الزمخشري عن ابن عباس: أنّه كان يقسم - أي الخمس- على ستة وأنّ أبي بكر منع بني هاشم

---

(١) شواهد التنزيل: ٢١٨/١ ح٢٩٢، غاية المرام: ٣٢٤، باب١٩، بحار الأنوار: ١٣٩/٣٣، شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي (قدس): ٦٣٥/١٤ وروى الثقفي في الغارات: ١٢٣.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي: ٣٩٤/١، كنز العرفان، السيوري: ٣٦٥/١.

(٣) الخلاف للطوسي: ١١٨١/١-١٨٣، جواهر الكلام، النجفي: ١٦/٥-٢٧.

(٤) تفسير الكشاف: ٢٢٠/٢.

(٥) التهذيب للطوسي: ٣٨٤/١.

(٦) زبدة البيان، الأردبيلي: ٢٨٠/١، تذكرة الفقهاء الحلي: ٤٣٤/٥، الجامع لحكام القرآن، القرطبي: ١٢/٨، أحكام القرآن بن العربي: ١٦٠/٣.

من الخمس[١].

واختلف في تقسيم الخمس عن مذهب الإمامية فمنهم من يسقط سهم الله ومنهم من يسقط سهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو عند أبي حنيفة ومنهم من جعله لعامة المسلمين[٢] خلاف الإمامية أنّ سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع سهم ذوي القربى للإمام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن ينوب عنه وسهم ليتامى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لايشركهم في ذلك غيرهم لأنّ الله حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخاً وعوضهم عن ذلك بالخمس، وهو ما أكدته مرويات أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن كتب غيرهم[٣] وروى ابن حنبل عن ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام ماتعقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أخذت تمرة فلكتها في فيّ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألقها فإنها لاتحل لنا الصدقة)[٤]، وقد تأست السيدة زينب (عليها السلام) بجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما جيء بالسبايا من آل محمد فرقّ الناس لحالهم فتصدق البعض بتمرات على الأطفال فأمرت السيدة (عليها السلام) برمي التمرات وقالت: (إن الصدقة محرمة علينا)[٥].

---

(١) تفسير الكشاف: ٢/٢٢١.

(٢) المبسوط، السرخسي: ٣/١٧، الهداية، المرغياني: ٢/١٠٨، فقه السنة: ١/٣٧٧٦.

(٣) ظ. وسائل الشيعة: ٩/٥١٨ ح٢، تفسير الصافي: ٢/٣٠٣، أنوار التنزيل: ٣/٩٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ١/٢٠١. وهنا إشكال في الرواية على أكل التمرة حسب العقيدة الإمامية في وجوب عصمة الإمام منذ ولادته إلى آخر حياته

(٥) اللهوف: ٧٥.

خامساً: الصدقات (الصدقة المستحبة)

قال تعالى: ﴿ وَفِي أموالهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[١].

روى ابن حنبل[٢] وابن داوود[٣] والبيهقي[٤] والجصاص[٥] والثعلبي[٦] وابن كثير[٧]، والسيوطي[٨] والطبرسي وغيرهم في تفسير الآية ﴿ وَفِي أموالهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ بإسنادهم عن فاطمة بنت الحسين عليها السلام عن أبيها الحسين بن علي عليه السلام قال: قال سول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (للسائل حق وان جاء على فرس)[٩].

هذا الحديث من الأحاديث المشهورة وقد عَدَّهُ بعض المحدثين لا أصل له[١٠]، وفي الجانب الآخر نجد من وثق الحديث سنداً ومتناً، فقد عدَّ ابن حبان

---

(١) المعارج: ٢٤-٢٥.

(٢) مسند أحمد: ٢٠١/١، ورواه مالك في الموطأ عن زيد بن أرقم: إعطوا السائل وإن جاء على فرس، ٩٩٦/٢.

(٣) سنن ابن داود: ٣٧٥/١، المعجم الكبير: ١٣١/٣ ح٨٩٣ بنفس السند.

(٤) السنن الكبرى: ٢٣/٧، الاستذكار لابن عبر البر: ٦٠٠/٨ ح٨٧٨ من ضمنه بنفس السند.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٢/١.

(٦) الكشف والبيان: ٥٢/٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢١٤/١ تفسير أبي الفتوح الرازي: ٢٦٧/١، ٥٤٨/٥.

(٨) الدر المنثور: ١٧١/١، تنوير الحوالك: ١٧١٩ أحدهما عن فاطمة (عليها السلام) والآخر عن زيد بن أسلم.

(٩) جوامع الجامع: ١٧٨/١، شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ٦٠١/٣٣ أخرجه عن السيدة فاطمة (عليها السلام).

(١٠) ظ. الرعاية في علم الدراية الشهيد الثاني (رض): ١٠٦، الفوائد الرجالية، كورجي الشيرازي: ١٩٣.

رجاله وسنده من الثقات[١] قال ابن حجر: لايصح هذا الكلام لأنّ الحديث مروي عن الحسين عليه السلام وإسناده جيد ورجاله ثقات[٢]، وقد أخرجه ابن سلامة بسند آخر عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام[٣]، وقال الخواجائي له أصل أصيل لكنه نقل بالمعنى[٤]، ومن ثم لايبقى مجال للشك في نسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي رواه الإمام الحسين (عليه السلام).

تحليل النص الشريف: حض على الإعطاء ويحمل على الصدقة المستحبة وقيل الواجبة لأنه حق معلوم، فالحق وضع الشيء في موضعه على مايقتضيه الشرع والعقل من قولهم حق الشيء، والمال عبارة في الشرع عن مقدار معين[٥]، كذلك يدل على عدم رد السائل وإن كان على هيئة حسنة ومنظر بهي ومركب جميل فقد يكون وراءه عائلة أو دين أو من الغزاة أو من الغارمين. أو غير ذلك[٦]، وقد قال تعالى ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[٧] فالآية الكريمة على عموم وتنهى عن رد السائل وروى أبو الفتوح الرازي أن سائلاً كان يسأل: (فقال الحسين بن علي عليه السلام أتدرون مايقول؟ قالوا لا يابن رسول

---

(١) القول المسدد في مسند أحمد: ١٠٤.
(٢) مسند الشهاب: ١/١٩١.
(٣) جامع الشتات: ٢٢٤ وينظر أيضاً مستدرك الوسائل: ٧/٢٠٣ ح٨٠٣ أخرجه عن أبي الفتوح.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/١١٣.
(٥) التبيان في تفسير القران، الطوسي: ١٠/١١٣
(٦)النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢/٣٢٧، لسان العرب: ١١/٣١٩ فصل السين فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٥/١٧٠ وينظر تعليق الغزالي على الرواية.
(٧) الضحى/ ١٠.

الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عليه السلام: (يقول أنا رسولكم إن أعطيتموني شيئاً أخذته وحملته إلى هناك وإلا أرد وكفي صفر)[١].

ويمكن أن تحمل تلك الآثار على الصدقة غير المفروضة وهذا ما قاله العلامة الحلي رحمه الله إذ يرى أنّ الآية عامة دخلها التخصيص بالسنة المتواترة فلايخرج اللفظ عن حقيقته وقوله وفي أموالهم حق ليس المراد الزكاة لأنها نزلت بمكة قبل فرض الزكاة وإلى هذا المعنى ذهب البحراني إذ يقول: الحق المعلوم هو غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه أنّه في ماله ونفسه ويجب أن يفرضه على قدر طاقته ووسعه واستدل بحديث شريف مروي عن الإمام الصادق عليه السلام [٢].

ويمكن أن نستنتج مما تقدم أنّ الحق المعلوم هو الصدقة المستحبة المؤكدة التي يخرجها الإنسان كل يوم أو كل جمعة أو كل شهر لثوابها.

سادساً: الجهاد قال تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }

سئل الحسين عليه السلام عن الجهاد سنة أو فريضة؟ فقال عليه السلام: (الجهاد على أربعة أوجه فجهادان فرض وجهاد سنة لايقام إلا مع فرض وجهاد سنة، فأما أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله، وهو من أعظم الجهاد، مجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض، وأما الجهاد الذي هو سنة لايقام إلا مع فرض، فإنّ مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة، لو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب، وهو سنة على الإمام وحده أن يأتي

(١) تفسير أبو الفتوح: ٥٤٨/٥، مستدرك الوسائل: ٢٠٣/٧ ح٨٠٣٥.

(٢) تذكرة الفقهاء: كتاب الزكاة: ١٥٢.

العدو مع الأمة فيجاهدهم، وأما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنها إحياء سنة وقد قال رسول الله: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيام من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً)[١].

تحليل النص: لقد بث الإسلام في المسلمين روح الجهاد فكان تطلعهم نحوه لوجه الله ويطمعون الإستشهاد في سبيل الله والدفاع عن قيم الإسلام، الحق، العدالة، الفضيلة وماسواها، فكان الإسلام مصنع المجاهدين الأبطال ومنهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يضحي بنفسه وينام على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خوفاً عليه من الغيلة والقتل فأنزل الله فيه قرآناً يمجّده المسلمون في كل لحظة ويباهي به الله تعالى ملائكته، حيث قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ }[٢]، وهاهو عمرو بن الجموح أنموذج إسلامي آخر، وهو على كونه أعرج وليس عليه من حرج في عدم الجهاد لكنه رغب في الجهاد في معركة بدر بين يدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الأبرار لكنه منع من قبل أبنائه لكونه معذوراً شرعاً، وأنّ أبناءه من المجاهدين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المعركة، فتأسف أسفاً شديداً، ولاحت الفرصة في أحد فقدم

---

(١) تحف العقول: ١٧٣، صحيفة الحسين (عليه السلام) القيومي: ٣٢، حياة الحسين (عليه السلام) القرشي (ره): ١/١٥٥ وروى الكافي: ٥/٩ ح١، الخصال: ٢٤٠، التهذيب: ٦/١٢٤، رواية مثلها عن فضيل بن عياش عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) باب الجهاد.

(٢) البقرة/٢٠٧ وينظر سبب نزول الآية: شواهد التنزيل ١/١٢٣ ح١٣٣ وذكر مبيت الإمام (عليه السلام) على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العثمانية الجاحظ: ٣٢٦، على سبيل المثال لا الحصر.

إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه الأذن في الجهاد وأنّه (يريد أن يطأ بعرجته الجنة) فنزل إلى ساحة الأحرار وهو يقول: (اللهم ارزقني الشهادة ولاتردني إلى أهلي خائباً) ففاز وسعد وحصل على مايريد[١].

ومثلما أوجب جهاد الكافرين والمشركين، كذلك أوجب جهاد المنافقين على السواء، قال تعالى: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}[٢]، فالله سبحانه قد ساوى بين جهاد الكفار والمنافقين على السواء وذلك لأن النفاق مسلك شيطاني مبطن بالكفر الشديد، وهو أعظم خطراً على الإسلام والمسلمين من الكفر والشرك لأن الكافر والمشرك لايحتاج إلى تمييز فهو جلي ظاهر إلى العيان أما المنافق فظاهره النسك والعبادة وهمه الأكبر القضاء على الإسلام، فالمنافق لايعرف النبوة ولا الرسالة بالقيمة الحقيقية لها، بل يعرف السلطة والقوة والقهر والغلبة فهو ينظر من هذا المنظار وماجهاد علي وأولاده (عليهم السلام) إلا أنموذج سامي لجهاد الكفار والمشركين والمنافقين على السواء وقد بين الإمام عليه السلام أنواع الجهاد الأربعة على نحو واضح وهي:

الفرض والفريضة ما أمر الله تعالى به في كتابه وتشدد في أمره وهو لايكون إلا واجباً لقوله تعالى {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}[٣].

---

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦٢/٤ أسد الغابة: ٣٤٢/٢، الاستيعاب: ٣٦٢/١ ترجمته وقصته وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه.

(٢) التوبة/٧٣.

(٣) التوبة: ٧٣.

والسنة ماسنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون واجباً أو مستحباً والواجب كجهاد النفس الذي وصفه الإمام عليه السلام بأعظم الجهاد وسماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالجهاد الأكبر فقد أُثر عنه أنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم قال للمجاهدين بعد رجوعهم من إحدى الغزوات (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر،فقيل يارسول الله: وما الجهاد الأكبر؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: جهاد النفس)[١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٢] إلى غير ذلك. وكذلك جهاد العدو القريب الذي يخاف ضرره قال الله سبحانه ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾[٣] وكذلك كل جهاد مع العدو قال تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[٤]، إلى غير ذلك وهذا هو الفرض الذي لا تقام السنة إلا به، والجهاد الذي هو سنة على الإمام هو أن يأتي العدو بعد تجهيز الجيش حيث كان يؤمن ضرر العدو ولم يتعين على الناس جهاده قبل أن يأمرهم به صار فرضاً عليهم وصار من جملة مافرض الله عليهم فهذه هي السنة التي تقام بالفرض وأما الجهاد الرابع الذي هو سنة فهو مع الناس في إحياء كل سنة بعد اندراسها واجبة كانت أو مستحبة فإنّ السعي في ذلك جهاد مع من أنكرها[٥].

---

(١) الكافي: ١٢/٥ ح٣ باب وجوه الجهاد الراوية بسند عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) معاني الأخبار، الصدوق: ١٦٠ ح١ عن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) وينظر فتح القدير: ٦٦٩/٤ مع اختلاف اللفظ.

(٢) العنكبوت/ ٦٩.

(٣) التوبة/ ١٢٣.

(٤) التوبة/ ٥.

(٥) الكافي: ٩/٥ ح١ الهامش، منتهى المطلب، العلامة الحلي: ٩٩٦/٢. شرائع الإسلام: ٣٢٣/٢ ←

هذا البيان المفصل منه عليه السلام ينبئ عن علم محيط بالشريعة، وينبئ عن خِطِّه الجهادي عليه السلام فيقول في إحدى خطبه: (أريد أن أسير بسيرة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أي إحياء السنة التي درست من قبل الحكومات الفاسدة والظالمة ثم يقول عليه السلام: (وأنا أولى من قام بنصرة دين الله لإعزاز شرعه والجهاد في سبيله، وأنا أولى من غيري لتكون كلمة الله هي العليا)[١].

فانطلق الإمام الحسين عليه السلام في جهاده عن شجاعة واعية وكان جهاداً نيراً وإقدامه على هدى وبصيرة وقد استدعى حكم الجهاد في سبيل الله تعالى لأنه (أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لمحارم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسوله يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن)[٢].

وهذه هي شروط الجهاد وقد تمت، ولأن الدين والمسلمين في خطر عظيم، فلابد أن تقدم الدماء وترخص الأرواح وكل شيء في سبيل دين الله وكان ماكان، ويمكن أن تتضح الصورة أكبر لمضمون ومعنى الخطاب الحسيني الذي وجهه إلى المسلمين عامة وبني هاشم خاصة: (إن من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح)[٣]، ولما عزم عليه السلام على الجهاد والخروج إلى

← الأخلاق الحسينية، البياتي: ١٣٣ النهضة الحسينية، علي الفريجي: ٣٧٤-٣٧٨.

(١) تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤، الكامل في التاريخ: ٨/٤، مقتل الخوارزمي: ٢٣٤/١.

(٢) من كلامه (عليه السلام) المصادر نفسها والصفحات.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣٠/٣، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) للبحراني: ١٥٥، ←

العراق خطب قائلاً: (خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لامحيص عن يوم، خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فأني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى)[١]، وهي دعوة صريحة

←

وقد يعترض أحد فيقول: ماذا يعني (عليه السلام) بالفتح إذ إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قام بفتح الجزيرة العربية ودخلت الإسلام ونطقت الشهادتين؟ ولكن في الواقع بعد تسلط المناوئين للإسلام والمعادين له عاد الإسلام غريباً فانتهكت الحرمات والمقدسات وصار المال فيئاً بيد الذين حاربوا الإسلام زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج الحسين (عليه السلام) ليعيد الحق إلى نصابه، وتطبق الشريعة الإسلامية من جديد وتتحقق المساواة والعدالة بين المسلمين ويعيش الناس في أمن وأمان بعد أن قتل المنافقون والظالمون والمعادون للإنسانية المسلمين تحت كل حجر ومدر لمجرد دعوتهم إلى تطبيق الشريعة التي يدعون الانتماء إليها فلما فعلوا الأباطيل خرجوا عن الإسلام، فخرج الحسين (عليه السلام) للدعوة إلى الإسلام من جديد وهو فتح عظيم يشابه تماماً عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بدء دعوته.

(١) كشف الغمة، الإربلي: ٢/٢٩، بحار الأنوار: ٤٤/٣٩٦، أعيان الشيعة، السيد الأمين (قدس): ١/٥٩٣. معاني الألفاظ الغريبة في الرواية: خط الموت، كتب الموت، الأسلاف: الآباء المتقدمون، وهي تعبير عن اشتياقه إلى الموت والجهاد في سبيل الدين كاشتياقه إلى أسلافه من الأنبياء لأنه (عليه السلام) امتداد لرسالات الأنبياء (عليهم السلام) ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسين مني وأنا من حسين، ظ: الأدب المفرد، البخاري: ٨٥، صحيح ابن حبان: ١٥/٤٢٨. الأوصال: الأعضاء.
عسلان: الذئاب الكثيرة السريعة العدو، ومعنى خطابه كأني بأوصالي: أنّ هؤلاء الذين يقاتلوني هم من موضع بين نواويس (محل قبور النصارى) وكربلاء هم أشد خشنة من الكلاب والذئاب.

←

إلى الجهاد، وألا يخاف الإنسان من الموت لأنه أمر حتمي، قال تعالى: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ }[(١)]، ونجد في الرواية الشريفة أَنَّهُ عليه السلام:

١ - جدد انتماءه عليه السلام إلى الأنبياء عليهم السلام بوجه العموم وإلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوجه الخصوص قوله عليه السلام: (ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وقوله عليه السلام: (لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته).

٢ - إنَّ رضا الله سبحانه وتعالى منوط برضا أهل البيت (عليهم السلام) فمن فارقهم أو عاداهم فقد أغضب الله وفارق الله جل جلاله كما في قوله عليه السلام (رضا الله رضانا أهل البيت).

٣ - اختار الأرض التي يجاهد عليها والبلد الذي يسير إليه، لأن الأرض والبلد الذي يقصده هو بلد الأنبياء (عليهم السلام) عمله تجديد لدعوة الأنبياء (عليهم السلام).

أجربة: جمع جراب وهو الهميان، وهنا استعارة منه (عليه السلام) أطلق على بطونها السغب (بالفتح) الجوع.

المهجعة: الروح.

الكرش: ماهو في الحيوان بمنزلة المعدة في الإنسان.

ظ. هذه المعاني في كتب اللغة والمعاجم منها: ظ. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، ٢٦١، كتاب العين: ٣٣٣/١، معجم مقاييس اللغة: ٣٧٦/١، النهاية في غريب الحديث: ١٦٤/٤ وينظر أيضاً: شرح الأخبار للقاضي المغربي: ١٤٦/٣ الهامش، المسائل العكبرية الشيخ المفيد: ٧١، بلاغات النساء، لابن طيفور في بيانه لخطبة السيدة زينب عليها السلام ومعنى كلامها (يعتامها عسلان الفلوات): ٢٢، شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي (قدس): ٥٩٩/١١.

(١) الزمر/٤٩.

٤ - إنَّ من يريد أن يسير بطريق أهل البيت (عليهم السلام) ليحصل على رضا الله عز وجل ودعوة الأنبياء (عليهم السلام) عليه أن يبذل مهجته ويرخص روحه في سبيل رضا الله عز وجل وإقامة الدين الحنيف الذي جاء به الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً.

٥ - إنَّهُ عليه السلام لم يعد أنصاره بمال أو جاه أو حقيبة وزارية أو أي أمر دنيوي بل وعدهم برضا الله عز وجل ووعدهم بالموت والفناء عند جهادهم وهذا الأمر ليس له من مثيل في تاريخ الدعوات البشرية بلا استثناء فالمعروف أنّ أصحاب الدعوات يمنون أصحابهم وأنصارهم إلا الحسين عليه السلام فمنّاهم بالموت والقتل، لكن ضمن لهم رضا الله جل وعلا عنهم، وهذا الأمر تحقق لمن برز مع الحسين عليه السلام وقد حقق عليه السلام مجموعة من الأهداف ومنها.

٦ - بعثت الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى الواعين من المسلمين فكانت عاملاً أساسياً لبث روح الجهاد والثورة ضد الأمويين في زمانهم وضد الظلم في كل زمان حتى قال غاندي الهندي: تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر[١].

٧ - كشفت شهادته عليه السلام واقع الحكم الأموي وفضحت المتسترين بقناع الإسلام.

٨ - دفعت المسلمين جميعاً إلى الثورات المتتالية ولم تنحصر تلك الثورات على العلويين فقط[٢].

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي د. أنطوان بارا ٧٠.

(٢) ظ. حياة الإمام الحسين (عليه السلام) د. الصغير: ٢٧٣-٣٣١.

من أحكام الجهاد: روي بعدة أسانيد ومصادر لما سئل عليه السلام عن السلب(١)، فقال عليه السلام: (إن علياً عليه السلام كان يباشر القتال بنفسه، وكان لايأخذ السلب)(٢).

هذا الإرث الأخلاقي متوارث عند أهل البيت (عليهم السلام) وهو إرث إسلامي أصيل، ونجد ذلك في سيرة الإمام علي عليه السلام أيام جهاده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قتل عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق ولم يسلبه مع كونه كافراً بالله ورسوله(٣)، لأنه ليس من أخلاقه عليه السلام السلب.

لأن الحكم إذا حدث قتال بين فئتين مسلمتين_ حسب ماقاله الشافعي به- : لاتغنم أموالهم لأن الله تعالى إنَّما جعل الغنيمة في أموال الكافرين ولم يجعلها في أموال المصلين ولايحل مال المسلم إلا بطيب نفس منه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لايحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه)(٤). وروى ابن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (يابن أم

(١) السلب: النهب، وبز ثيابه وابتزه إذا سلبه إياها، ظ: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١/١٢٤ لسان العرب: ٥/٣١٢ مادة سلب.

(٢) الجعفريات: ٧٧، رواه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الحسين (عليه السلام) مستدرك الوسائل ١١/١٢٧ ح١٣، الأم للشافعي: ٤/٢٢٩ عن جعفر ابن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، سنن البيهقي بإسناد آخر عن جعفر بن محمد (عليه السلام) عن آبائه: ٨/١٨١.

(٣) ظ. كشف الغمة، الإربلي: ١/٣٨٠، تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ١/٣٤١، ٦١٧، منتهى الآمال، القمي: ١/٢٨٦، عبقرية الإمام علي (عليه السلام) العقاد: ٢٩ وغيرها من المصادر.

(٤) معرفة السنن والآثار، البيهقي: ٦/٢٨٢ وينظر: كتاب الأم للشافعي: ٤/٢٢٩.

عبد ماحكم من بغى على أمتي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لايقتل مدبرهم ولايجاز على جريحهم، ولايقتل أسيرهم ولايقسم فيئهم)[١].

والحسين عليه السلام ليس بخارجي أو باغٍ، بل هو امتداد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وخرج مصلحاً ثائراً ضد الظلم والظالمين فكشف عليه السلام أنّهم ليسوا بمسلمين بما سلبوه وتركوا جسده الطاهر عرياناً على صعيد كربلاء لكنهم لم يعلموا أنّ الملائكة تظلله[٢].

سابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: { الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }[٣].

من خطبة للإمام الحسين عليه السلام بمنى قال عليه السلام: (اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار) إذ يقول { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ }[٤]، وقال { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي

---

(١) إرواء الغليل، الألباني: ١١٣/٨، يابن أم عبد، أي: يابن أم عبد الله.

(٢) ظ. اللهوف، المقدمة، وينظر: خبر جبرائيل (عليه السلام) بإسناد عائشة في ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر: ١٤٠، وترجمة ابن سعد: ٣٢، وينظر: نوح الحسن عليه (عليه السلام) عن أم المؤمنين أم سلمه (رض) المعجم الكبير: ١٢١/٣، البداية والنهاية: ٢٥٩/٦، مجمع الزوائد: ١٩٩/٩، وقالوا رجاله رجال الصحيح، أي صحيح البخاري.

(٣) التوبة/ ٧١.

(٤) المائدة/ ٦٣.

إِسْرَائِيلَ... لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١)، وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهوهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ (٢) وقال ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٣)، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها)(٤).

تحليل النص: الرواية الشريفة من الروايات المشهورة التي أشاد بها العلماء واستدل بها الفقهاء في بيان أحكامهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الخطبة خطبها الإمام عليه السلام في منى في الحج حتى تصل الحجة على المسلمين في كل أقطار الأرض وذلك لاختلاف المسلمين إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وهي دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا مابينه بعد خروجه من مكة المكرمة إلى العراق حيث كتب عليه السلام إلى بني هاشم خصوصاً من باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٥) والمسلمين

---

(١) المائدة/ ٧٨-٧٩.

(٢) المائدة/ ٤٤.

(٣) التوبة/ ٧١.

(٤) تحف العقول: ١٧٨، بحار الأنوار ١٠٠/ ٧٩ ح٣٧.

(٥) الشعراء/ ٢١٤.

عموماً حيث ذكر أنّ السبب الرئيسي لخروجه هو الأمر بالمعروف، قال عليه السلام: (إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولاظالماً إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق)[١].

الرواية الشريفة على وجه العموم دعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بعد أن طرأ التحريف على الفكر الإسلامي على يد علماء السوء كالقول بالإرجاء والجبر وماسواها والرواية وثيقة سياسية أيضاً أشارت إلى تردي الأخلاق في المجتمع الإسلامي وعدم قيام المسلمين بواجبهم الشرعي في مجابهة الظلم والظالمين[٢].

إنَّ معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيّن يدل عليه اسمه فالأمر بالمعروف أي الأمر بالأفعال الحسنة، والنهي عن المنكر تعني النهي عن الأشياء القبيحة، وهما واجبان باتفاق المذاهب الإسلامية لكنه قيل: من باب الواجب الكفائي[٣].

وذكر الفقهاء لهما شروطاً ودرجات، ومن شروطهما عدم الضرر، وهو المعنى الأخص به المذكور في كتب الفقهاء[٤]، وهذا المعنى لايريده الإمام عليه

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٣٢٩، العوالم: ١٧/١٧٩ وينظر مناقب: ٤/٨٩ جزء منه تاريخ ابن أعثم الكوفي: ٥/٢ وزاد فيه بعد سيرة أبي علي وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين.

(٢) ظ. حياة الإمام الحسين (عليه السلام) القرشي (رض): ١/١٥٤، جواهر التاريخ، الشيخ الكوراني: ٣/٤٠٣.

(٣) شرائع الإسلام: ١/٣٩٣، منهاج الصالحين، الروحاني: ١/٣٧٣.

(٤) شرائع الإسلام: ١/٣٩٣-٣٩٥، منهاج الصالحين، السيد الخوئي (قدس): ١/٣٧٣.

السلام بل يريد المعنى العام إذا وقعت الأمة في حالة خطر عام يهدد عقيدتها ومستقبلها فالواجب على الجميع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحتى لو وقع الضرر، وهذا ماصرح به عليه السلام (من كان باذلاً مهجته فينا فليرحل) [١] فشرطه عليه السلام هنا بذل النفس في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن صاحب الرسالة والشريعة (صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولاقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله) [٢] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أوليعمنكم عذاب الله)[٣]، وغيرها من الأحاديث الشريفة الدالة على ذم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد بدأ عليه السلام بموعظة الناس جميعاً فقال عليه السلام: (أيها الناس اعتبروا) والاعتبار أخذ الموعظة فأرجعهم عليه السلام إلى القرآن الكريم باعتباره مرجع المسلمين جميعاً وبيّن للمجتمع بالآيات الدالة على الاعتبار والموعظة وتذكيرهم بعلماء السوء الذين يقولون الإثم ويفتون الفتاوى التي تجلب رضا السلطان لا رضا الله عز وجل فهؤلاء ملعونون على لسان الأنبياء جميعاً الذين هم حجج الله في الأرض وسبب هذا اللعن عدم أمرهم بالمعروف ويتغاضون عن المنكرات طمعاً في الدنيا وحرصاً عليها لذا مسخهم الله جلت قدرته قردةً وخنازير بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) كشف الغمة: ٢/٢٩ بحار الأنوار: ٤٤/٣٦٦، أعيان الشيعة: ١/٥٩٣.
(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/٧٨ ح٣٣، ميزان الحكمة: ٦/٢٥٨ ح١٢٧٣٣.
(٣) وسائل الشيعة: ١١/٤٠٧ ح١٢، ميزان الحكمة: ٦/٢٥٨٠ ح١٢٧٣٤.

المنكر، وذمهم الله تعالى بلفظة (بئس) التي هي فعل جامد لإنشاء الندم في قوله تعالى ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وهو تركهم النهي عن المنكرات[(١)]، ثم أخذ عليه السلام بوعظهم في حال عدم إطاعته أن ينزل عليهم الغضب الإلهي فيقول عليه السلام في نفس الخطبة: (لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن يحل بكم نقمة من نقماته... ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخفورة وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون)[(٢)]، فحالكم اليوم حال اليهود الذين أنزل الله عليهم العذاب ومسخهم وربما يكون المسخ ليس مسخاً في الخلقة بل في السيرة والأخلاق وهذا ماتؤكده أقوال الإمام عليه السلام في وصف أهل زمانه يقول عليه السلام: (إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[(٣)]، ويقول عليه السلام (إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ألا ترون أنّ الحق لايعمل به، وأنّ الباطل لايتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإني لاأرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً)[(٤)]، ووصفهم بوصف آخر يدل على مسخهم من جنس

---

(١) ظ. تفسير آيتي المائدة: تفسير التبيان للطوسي: ٥٧٦/٣، تفسير الأمثل: الشيرازي: ٧٠/٤، أضواء البيان: الشنقيطي: ٨٣/٦، تفسير الآلوسي: ٤٩٨/٤، ٤٨/٥.

(٢) تحف العقول: ١٧٤، حلية الأولياء: ٣٩/٢ بسند يختلف عما في غيره، مقتل الخوارزمي: ٢٣٧/١، بحار الأنوار: ١١٦/٧٨.

(٣) المصادر السابقة وتاريخ الطبري: ٣٠٧/٣ ترجمة ابن عساكر: ٢١٤ ينابيع المودة: ٤٠٦ وغيرها من المصادر.

(٤) تحف العقول، ١٧٤.

الإنسانية بأنهم (طواغيت الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام ومحرفي الكتاب ومطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيري[١] عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين..)[٢].

ثم إنّه عليه السلام وصف المؤمنين بأنهم: { بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }[٣]، إنّ أساس إقامة فرائض الإسلام كلها هو الأمر بالمعروف لأنها: (فريضة تقام بها الفرائض)[٤]، بل (أتم الفرائض وأشرفها وأفضلها)[٥] وقد وصف عليه السلام فعل المعروف: (مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار)[٦]، فالمعروف وسيلة لتحصيل المدح والثناء في الدنيا والثواب والجزاء الحسن في الآخرة، ولو

(١) مبير: المبير: هو الذي يسرف في إهلاك الناس، ظ: لسان العرب: ٨٦/٤، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١٦١/١.

(٢) هنا ثلاثة عشر وصفاً لأهل المنكر في زمان الإمام الحسين (عليه السلام) وكل وصف يدل على معنى خاص تختار واحد: وملحقي العهار بالنسب، حيث ادعى معاوية أنّ زياداً أخوه لأن أباه قد عاهر أم زياداً في الجاهلية على فراش أبي عبيد في قصة غريبة بعيدة عن الشريعة تقول: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) ظ تاريخ اليعقوبي: ٢١٨/٢-٢١٩. العقد الفريد: ٢٦٦/٥، الاستيعاب: ١٠١/٢، تاريخ ابن عساكر: ١٦٢/١٩ تاريخ الخلفاء السيوطي: ١٩٦. من خطبة له (عليه السلام) يوم العاشر من محرم، ظ: بحار الأنوار: ٨/٤٥.

(٣) التوبة/٧١.

(٤) الكافي: ٥٥/٥ تهذيب الأحكام: ١٨٤١/٦ ح٢ حديث شريف.

(٥) المصادر نفسها والصفات، الأحاديث التي بعدها.

(٦) ظ. أبو الشهداء، العقاد: ١١٣-١١٩ ومصادره.

تمثل المعروف الذي هو عمل الخير بهيئة رجل لكان رجلاً ذات هيئة بهية تدخل الفرح على من يراها ولو شاهدتم المنكر الذي هو اللؤم لكان رجلاً قبيحاً غير سوي تعرض عنه القلوب وتتركه وتكف عنه العيون وقد تحقق هذا المعنى في الصفات الجسدية لأهل المنكر في زمن الإمام الحسين عليه السلام حيث كانوا جلادين وكلاب طراد في صيد كبير، فيزيد مجدوراً مشوه الخلقة، وشمر بن ذي الجوشن أبرص كريه المنظر قبيح الصورة، ومسلم بن عقبة مسمم الطبيعة في مسلاخ إنسان وكان أعور أمغر كأنما يقلع رجليه من وحل إذا مشى وأباح المدينة ثلاثة أيام استعرض أهلها بالسيف جزراً كما يجزر القصاب أما عبيد الله بن زياد فهو من أب مجهول[١]، ولو استعرضناهم جميعاً لوجدناهم على هذه الشاكلة ونكتفي بهذا القدر مع وجود أربع روايات فقهية حسب ما استقريته والله أعلم.

---

(١) أمغر: الأحمر الكدر: لسان العرب: ١٣/١٥١.

المبحث الثاني: العقود

أولاً: التجارة (المكاسب المحرمة)

قال تعالى: { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ }[1].

روى الصدوق[2] والعاملي[3] والمجلسي[4] بإسنادهم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر دعا بقوسه فاتكأ على سيتها[5]، ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر ما فتح الله

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) الخصال: ٢/١٨٤.

(٣) وسائل الشيعة: ١٧/٩٥ ح٢٢٠٧.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٠/٤٤ ح٨.

(٥) سيتها: أي سيت القوس، ما عطف من طرفيها: الكنز اللغوي لابن السكيت: ٢٠٤، معجم مقاييس اللغة: ٢/٤٣٤، لسان العرب: ٥/٣٥٥.

له ونصره به، ونهى عن خصال تسع عن: (مهر البغي وعن عسيب الدابة[١]، وعن خاتم الذهب وعن ثمن الكلب وعن مياثر الأرجوان، قال أبو عروبة[٢][٣]، عن مياثر الخمر -وفي الأمالي[٤]-: عن بيع الخمر وأن تشتري الخمر وأن تسقي الخمر وعن لبوس ثياب القسي[٥]، وعن أكل لحوم السباع وعن صرف الذهب بالذهب والفضة بالفضة بينهما فضل، وعن النظر في النجوم)[٦].

وروى الصدوق عن الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها وشاربها وساقيها وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه)[٧].

---

(١) عسيب الدابة: أي كسب الفحل، أو الكراء الذي يؤخذ على ضرب الفحل: الصحاح في اللغة: ١/١٨١.

(٢) أبو عروبة: راوي الحديث في سند الحديث راويان مشتركان وسنده هو الصدوق عن إبراهيم ابن محمد بن حمزة عن سالم بن سالم وأبو عروبة معاً عن أبي الخطاب عن هارون عن مسلم عن القاسم بن عبد الرحمن عن الإمام الباقر (عليه السلام)

(٣) القاسم بن عبد الرحمن: عده السيد الخوئي (قدس) من رواة وأصحاب الباقر (عليه السلام) معجم رجال الحديث: ١٠/٤٢١.

(٤) أمالي الصدوق: ٤٢٤، بحار الأنوار: ١٠٠/٤٤ ح٩.

(٥) ثياب القسي: هي ثياب النسج بالشام. ظ. بحار الأنوار: ١٠٠/٤٤ ح٨.

(٦) الخصال: ٢/١٨٤، أمالي الصدوق: ٤٢٤، وسائل الشيعة: ١٧/٩٥ ح٢٢٠٧، بحار الأنوار: ١٠٠/٤٤ ح٨، ح٩.

(٧) أمالي الصدوق: ٤٢٤ بنفس السند، وفي من لايحضره الفقيه بإسناد آخر عن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٤/٣ ح٤٩٦٨ والراوي والرواية موثقان عند الفريقين، ظ الهامش (٢) من نفس المصدر عن العلامة والدار قطني وابن حجر.

وروى الشيخ النوري بإسناد عن أبي القاسم بن علاء الهمداني عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه (عليهم السلام).... يقول: أشهد بالله لقد سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول: لقد سمعت أبي علي عليه السلام يقول: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن ميكائيل عليه السلام عن إسرافيل عليه السلام يقول اشهد بالله على اللوح المحفوظ (شارب الخمر كعابد الوثن)[(١)].

وروى ابن الجوزي بإسناد عن أحمد بن عبد الله السبيعي قال: لقد سمعت الحسن بن علي عليه السلام يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن محمد عليه السلام...)[(٢)] وروي الحديث في مصادر الفريقين بأسانيد أخرى عن ابن عباس وأبي هريرة، وعن الباقر عليه السلام وعن الصادق عليه السلام: (مدمن الخمر كعابد الوثن)[(٣)] مع اختلاف الألفاظ.

تحليل الروايات: وفي روايات البحث مجموعة أحكام شرعية في المكاسب المحرمة منها: مهر البغي: وهو المال الذي يكتسب عن طريق معاملة محرمة –نكاح محرم- وهو البغاء، وعن التكسب ببيع عسيب الفحل، حيث

---

(١) مستدرك الوسائل: ٤٢/١٧ ح١.

(٢) تذكرة الخواص: ٥٠٤/٢، كنز العمال: ٣٤٥/٥ ح١٣١٦ قالوا في سنده: صحيح ثابت عن علي (عليه السلام) وينظر هامش التذكرة.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ٤٠٤/٦ ح٢، ٤، ٨، ١٠، تهذيب الأحكام: ١٠٨/٩-١٠٩ ح٢٠٥، ح٢٠٦ ح٢٠٧ ح٢٠٩ ح٢١١، مسند أحمد بن حنبل: ٢١٢/١، مسند عبدون بن حمدون: ٢٣٤ مصنف عبد الرزاق: الصنعاني: ٢٣٩/٩ ح١٧٠٧٠، المعجم الكبير ٣٦/١٢ ح١٢٤٢٨، تاريخ البخاري: ١٢٩/١ ح٣٨٦، سنن ابن ماجة: ١١٢٠/٢ ح٣٣٧٥، حلية الأولياء: ٢٥٣/٩، العلل المتناهية لابن الجوزي: ٦٧١/٢ ح١١٦.

إن التكسب به حرام تكليفاً وأنّ ثمن ذلك سحت ويدل على ذلك بعض الروايات فعن ابن عمير قال: (نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عسيب الفحل)[١]، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (نهانا رسول الله عن بيع ضراب الجمل)[٢]، وأخرج الشيباني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (نهى عن عسيب التيس)[٣].

وقد أكدت الروايات الشريفة على حرمة شرب الخمر كما في صريح القرآن الكريم {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ}، واجتنب فعل أمر وهو أقوى أفعال التحريم[٤]، وأنّ الذي يشرب الخمر يحشر كعابد الوثن أي الصنم، أي أنّه من المشركين والعياذ بالله، وقد لعن من يقوم بإعداد الخمر أو الذي يسقي الخمر للناس أو الذي يقوم ببيعها أي صاحب المحل والمخزن وحاملها وهو سائق المركبة الذي يقوم بنقلها من مكان إلى آخر، وهذا بالضرورة لشدة فتكها بالمجتمع وأنّها رأس الفساد وتسبب الأمراض الخبيثة، إضافة إلى إفسادها العقل والمال والوقار وغير ذلك[٥].

---

(١) صحيح البخاري: باب عسيب الفحل من الإجارات: ١٢٣/٣، سنن البيهقي: ٦/٦.

(٢) باب السلام: ٣٢١/٢.

(٣) المبسوط: ٨٣/٥، والتيس فحل العنز، ظ. غريب الحديث الحربي: ١٠٢٩/٣.

(٤) ظ. المسائل الصاغانية، الشيخ المفيد (رض): ١١٤، رسائل المرتضى (قدس): ١٩٦/٢، السرائر: ٤٧٢/٣ مسالك الإفهام: الشهيد الثاني: ٧١/١٢، الاعتصام الكتاب والسنة، السبحاني: ١٣٠ ومابعدها.

(٥) ظ. فقه الحضارة: د.الصغير: ٤٥، فقه المغتربين: ١٤٤، فتاوى عن السيد السيستاني (دام ظله) المجموع: ٥٦٣/٢، المغني لابن قدامة: ٣٦/١٢.

ويستدل من روايات الإمام الحسين عليه السلام الكثيرة بأن شارب الخمر لايصلح أن يكون حاكماً على المسلمين لفساد عقيدته، وبصريح الروايات المأثورة السابقة أنّه مشرك لكونه عابد وثن، ومن هنا عارض الإمام الحسين عليه السلام بيعة يزيد، عندما وصف معاوية يزيد أنّه خيرٌ لأمة محمد! فقال عليه السلام: (فهمت ماذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد بما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي، يزيد الخمور والفجور) [١].

وقال عليه السلام مرة أخرى وهو يخاطب عبد الله بن الزبير وعبد الله ابن عمر ويصف يزيد: (يزيد رجل فاسق معلن بالفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول لا والله لا يكون ذلك أبداً)[٢].

وقال عليه السلام مخاطباً الوليد بن عتبة والي المدينة وإلى جنبه مروان: (أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لايبايع مثله) [٣].

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١٨٤/١، تاريخ اليعقوبي: ٣٢٨/٢، أعيان الشيعة: ١٨٣/١، الغدير: ٢٤٨/١٠.

(٢) الفتوح: ١١/٥، مقتل الخوارزمي: ١٨٢/١.

(٣) الفتوح: ١٤/٥، مقتل الخوارزمي: ١٨٤/١، مثير الأحزان، ابن نما الحلي ٢٤، بحار الأنوار: ←

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من شرب الخمر بعدما حَرَمّها الله على لساني، فليس بأهل أن يزوج إذا خطب ولايشفع إذا شفع ولايصدق إذا حدّث ولايؤتمن على أمانة)[1].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (كل خمر حرام)[2].

وأنّ مناط تحريم الخمر منصوص بالقرآن والسنة لامستنبط تبين مما لايقبله الشك أنّ شارب (الغول)[3] - الخمر- لايمكن أن يكون حاكماً ولو على فرد مسلم واحد لأنه لايزوج ولايشفع ولايصدق ولايؤتمن على أمانة، فكيف يكون أميناً على أمة بأكملها فهذا مما لايقره العقلاء، إضافة إلى أحكام أخرى تخص الخمر وشاربها وحكمه ذكرها الفقهاء والمفسرون[4].

٣٢٥/٤٤.

(١) الكافي: ٣٩٦/١.

(٢) سنن أبي داود: ٣٢٧/٣، سنن الترمذي: ٢٩/٤، سنن ماجة: ٤٤/٤، شرح صحيح مسلم: ٨٦٩/١٣.

(٣) من أسماء الخمرة (الغول) لأنها: تغتال العقل، جامع الطب في القرآن الكريم: ١٤٠ الهامش.

(٤) المسائل الصاغانية، الشيخ المفيد (رض): ١١٤، الناصريات، الشريف المرتضى (قدس): ٩٦ للمحقق الحلي (رض): ٤٢٣/١، تحرير الأحكام للعلامة (رض): ٣٤١/٥، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: ١٨٦، المغني لابن قدامة: ٣٧/١٢، معاين القران للنحاس: ١٧١/١، أحكام القرآن، الجصاص: ١٥٨/١، حقائق التأويل للشريف الرضي (قدس): ٣٣٩، تفسير الطبري: ٤٧/٧، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢١٣/٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥٢/٣.

ثانياً- النكاح

١-حرمة نكاح المرأة الكافرة

قال تعالى: { وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ }[1].

أخرج المجلسي والحويزي[2] عن الطوسي[3] بإسنادهم عن محمد بن عمر الطوسي عن الرضا عليه السلام قال: حدثني الهادي أبي (موسى بن جعفر عليهما السلام) قال: حدثني الصادق عليه السلام قال: حدثني الباقر عليه السلام قال حدثني سيد العابدين (علي بن الحسين عليهما السلام) قال: حدثني أبي الحسين عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الجمعة والغدير[4]، قال: (... (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) ولا يجنح بكم الغي فتضلوا

---

(١) الممتحنة/ ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤/١٦ ح٨ باب٦٠، نور الثقلين: ٢/٥٣٣ ح٤٦، ٤/٣٠٨ ح٢٤٩.

(٣) مصباح المتهجد: ٧٥٩، إقبال الأعمال: ٢/٢٥٨، كشف المهم، البحراني: ٦٣.

(٤) يوم الغدير: هو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو اليوم الذي بويع فيه أمير المؤمنين بالولاية على المسلمين جميعاً سنة ١٠هـ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من كنت مولاه فلعي مولاه اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه) فلما أكمل ذلك أنشد حسان بن ثابت قائلاً:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالنبي مناديا

بأني مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجد منا لك اليوم عاصياً

فقال له: قم ياعلي فإنني ... رضيتك بعدي إماماً وهادياً

ظ. على سبيل المثال: مناقب الخوارزمي: ١٣٥، تذكرة الخواص: ١/٢٥٦ مصادر الحديث والأبيات الشعرية.

عن سبيل الرشاد وباتباع أولئك الذين ضلوا وأضلوا)[(١)].

تحليل النص: الحديث الشريف يدل على حرمة الزواج بالكافرة لأن الكفار وسائل إضلال للنوع الإنساني المسلم وبالتالي تؤدي إلى فساد العائلة المسلمة ويصبح البيت المسلم موطناً للكفر والشرك وربما تكون خطراً على المسلمين والإسلام يدعو إلى تنقية عقيدة المسلم من الكفر أو الشرك لذا أمر الله عباده المسلمين بعدم التمسك بالكافرة بعد أن امتنعت عن الدخول في الإسلام، حتى وإن كانت صاحبة مال أو جمال أو جاه أو سلطة والكفار ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من ليس لهم كتاب ولاشبه كتاب وهم عبدة الأصنام والأوثان والنيران والكواكب، وقد اتفق فقهاء المسلمين على حرمة الزواج بهذا النوع واستدلوا بالآية والرواية الشريفة وربما تشير الرواية إلى هذا النوع[(٢)].

الصنف الثاني: من له كتاب كاليهود والنصارى، اتفق المذاهب الأربعة والظاهرية على إباحة الكتابية للمسلم وحرم على المسلمة أن تتزوج كتابياً[(٣)]، فقد اتفقوا مع المذاهب الإسلامية على تحريم زواج المسلمة على الكتابي واختلفوا في زواج المسلم من الكتابية عن الشيخ المفيد والطوسي والعلامة الحلي: نكاح الكافرة محرم بسبب كفرها سواء كانت عابدة وثن أو مجوسية أو

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) قلائد الدر، الجزائري: ١١٧/٣، أحكام القرآن، الكياهراسي: ٣٠/٣ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥٩/٦.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ٥١٦/١، أحكام القران، الجصاص: ١٩٩/٢.

يهودية أو نصرانية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (١) ويجوز العقد بملك اليمين والمتعة على اليهودية والنصرانية محمول على الكراهية، ولايجوز إلا عند الضرورة، فالإمامية يحرمون الزواج بالكتابية على نحو الدوام ويجوز عند الضرورة لكن بالعقد المنقطع.

الصنف الثالث: وهم المجوس والصابئة، فهؤلاء يحرم الزواج منهم بأي حال، لأدلة ذكرها كتب الفقه(٢)

٢-مفهوم العدالة في النكاح

قال تعالى ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ (٣). عن زيد بن علي عن أبيه عليه السلام عن جده الحسين عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام في قوله ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ هذا في الحب والجماع وأما النفقة والكسوة والبيتوتة فلابد من العدل في ذلك ولاحظ للسراري في ذلك) (٤).

تحليل النص: إن الحب والجماع لاتتحقق العدالة فيه لكونه خارجاً عن إرادة الإنسان فهو شعور يشعر به الإنسان في وقت ما وبسبب ما، أما النفقة والكسوة والبيتوتة فلابد فيها من العدالة لكونها خاضعة لإرادة الإنسان وهي

---

(١) البقرة/ ٢٢١.

(٢) المقنعة: ٥٠٨، النهاية: ٤٥٧، مختلف الشيعة: ٨٨/٧، وينظر البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي (قدس): ٣٢٤، قال: إن نكاح الكتابية لايجوز إلا بالمتعة، وينظر: مهذب الأحكام، السيد السبزواري (قدس): ٥٦/٢٥ ومابعدها.

(٣) النساء/ ١٩.

(٤) مسند زيد بن علي (عليهما السلام): ٣١٢.

فعل عبادي مكلف به المسلم، ولاحظ للسراري في ذلك، والسراري من الإماء والجواري التي يتمتع بهن لاتشترط لهن تلك الشروط[١]. وهنا تفصيلات أخرى ذكرها كتب الفقه[٢]، وهناك روايات فقهية عن الإمام الحسين عليه السلام في النكاح ذكرها كتب الحديث والتراجم[٣].

(١) الناصريات، الشريف المرتضى (قدس): ٣٣٤، شرائع الإسلام: ٤/٤٠٦.

(٢) ظ. المصادر السابقة وينظر: تحرير الأحكام، العلامة الحلي: ٣/٥٠٣، كتاب النكاح، الشيخ الأنصاري (رض): ٤٧٨.

(٣) ظ. المناقب لابن شهر آشوب: ٤/٣٨، العوالم للبحراني: ١٧/٨٧ ح٢، مستدرك الوسائل: ١٥/٩٨ ح١٧٦٥٨٤ ، بحار الأنوار: ٤٤/٢٠٧، ح٤، الكامل للمبرد: ٣/٢٠٨ في مهر المثل وزواج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر وقد زوجها خالها الحسين (عليه السلام) من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر وأعطاها مهر المثل ورد مهر معاوية الكثير المال، وينظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) للشريفي: في نكاح الإماء وتعبير معاوية له واستدلال الإمام (عليه السلام) بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٠٧ و٨٥٢-٨٥٥ ومصادره وينظر أيضاً: الوافي بالوفيات: ٥/٢٣، تهذيب الأسماء: ١/٤٧٢ كراهة أهل المدينة الزواج بالإماء حتى تزوج الحسين بن علي (عليه السلام) ومحمد بن أبي بكر ونشأ من ذلك الزواج القراء والسادة وفاقوا أهل المدينة علماً وتقى وعبادةً وورعاً كعلي بن الحسين (عليه السلام) والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

المبحث الثالث: الإيقاعات وغيرها

أولاً- الإيقاعات[1]

الطلاق (متاع المطلقة).

الطلاق لغة: حل عقد ويطلق على الإرسال أيضاً[2].

الطلاق شرعاً واصطلاحاً: إزالة عقد النكاح[3].

قال تعالى { وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ }[4].

روى العياشي[5]، وأخرج البحراني والمجلسي بإسنادهم جميعاً عن الحلبي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال (الموسع يمتع بالعبد والأمة ويمتع المعسر بالحنطة والزبيب والثوب والدراهم، وقال: إن الحسين بن علي عليهما السلام متع امرأة طلقها أمةً لم يكن يطلق امرأة إلا متعها بشيء[6].

(١) الإيقاعات: معاملة من طرفٍ واحد كالطلاق والعتق، شرائع الإسلام، المحقق الحلي: ١/٥.

(٢) مختار الصحاح: ٣٩٦، مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٥٢٣ توسع أكثر.

(٣) شرائع الإسلام: ٩/٥ مهذب الأحكام، السيد السبزواري (قدس): ٥/٢٦.

(٤) البقرة/ ٢٣٦.

(٥) تفسير العياشي: ١/١٤٣ ح٤٠٠ وفي نسخة أخرى عن أخيه الحسن (عليه السلام).

(٦) البرهان في تفسير القران: ١/٢٢٨، بحار الأنوار: ١٠٠/٣٥٧ ح٥١ عن الحسين (عليه السلام)
←

تحليل الحديث الشريف: إنّ المتاع حق للمرأة المطلقة التي لم يدخل بها لقوله تعالى: ﴿لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[1]. واستدل الفقهاء بالآية والرواية على القول بالوجوب في حقها بالمتاع[2].

الإمام الحسين (عليه السلام) في هذه الرواية يضع قاعدتين تشريعيتين وهما:

الأولى: حق المرأة في المتاع باعتباره أمراً إلهياً مستنبطاً من القرآن الكريم.

الثانية: إنّه لافرق بين النوع الإنساني حراً أو مملوكاً، لذا متع عليه السلام تلك الأمة مقداراً معيناً من المال لأن الفقه والأخلاق يسيران معاً نحو بناء الإنسان تكاملياً في كل قضاياه التشريعية والأخلاقية.

ثم إنّ الأئمة المعصومين (عليهم السلام) استدلوا بتلك الرواية الشريفة

وينظر أيضاً: وسائل الشيعة: ٥٧/١٥، الهامش (١) موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) الشريفي: ٨٥٣، وأخرج النوري في المستدرك عن الحسن (عليه السلام): ٨٩/١٥ ح١٧٦٢٢.

(١) البقرة/٢٣٦ وينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢٦٨/٢، مجمع البيان، الطبرسي: ١٢١/٥ و فقه القرآن، الراوندي: ١٠٣/٢، دقائق التفسير لابن تيمية: ١٣٦/٢، تيسير الكريم، عبد الرحمن بن ناصر: ١٠٥، تفسير الميزان، السيد الطباطبائي (قدس): ٢٢٩/٢.

(٢) ظ. الناصريات، السيد المرتضى (قدس): ٣٣٦، الخلاف، الطوسي: ٣٧٥/٤، المبسوط، الطوسي: ٢٧٢/٤، السرائر، ابن إدريس الحلي: ٥٧٦/٢، فقه القرآن، الراوندي: ١٠٣/٢، أحكام القرآن الشافعي (رض): ١٩٩/١، أحكام القرآن للجصاص: ٥١٩/١، معاني القرآن للنحاس: ٢٣١/١، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، الشربيني: ٨٩، بدائع الصنائع، الكاشاني: ٣٠٤/٢، كشف القناع، البهوتي: ١٧٥/٥، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ١١/٢١.

وقد توارث بينهم (عليهم السلام) في صحيحة محمد بن مسلم قال سألته – أي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - عن الرجل يريد أن يطلق امرأته، قال عليه السلام: يمتعها قبل أن يطلقها، قال الله تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾ [(١)].

وهناك تفصيلات أخرى ذكرتها كتب الفقه والتفسير والاجتماع في مقدار المتعة وهل أنها تجب لكل مطلقة [(٢)].

ثانياً: الأحكام: استحباب لبس الخز

الخز: كلمة فارسية ثم عربت، والثياب من الخز تؤول بالجاه والعزة، ويصنع من الحرير [(٣)].

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.

أخرج البحراني والحويزي والنوري [(٤)] عن العياشي في خبر عمر بن علي

(١) تفسير العياشي: ١/١٤٣ ح٤٠٢، البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/٢٨٨ بحار الأنوار: ٢٣/٨٣ وينظر صحتها: الحدائق الناظرة،: ٢٤/٤٨٤ جواهر الكلام، الشيخ الجواهري: ٣١/٦٠ و فقه الصادق (عليه السلام) الروحاني: ٢٢/١٨٢، والرواية رويت بطريق آخر عن أبي حمزة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): ظ. تهذيب الأحكام: ٨/١٤١ ح٨٨ وسائل الشيعة: ٢١/٣٠٦ ح٤.

(٢) المصدر السابق وينظر: بداية المجتهد لابن رشد: ٢/٢٢، الهداية، المرغباني: ٢/٢٣، سبل السلام، الكحلاني: ٣/١٥٣، قضايا المجتمع والأسرة، السيد الطباطبائي (قدس): ١٧٤.

(٣) فقه اللغة/ الثعالبي: ١/٦٩، المزهر: ١/٨٦. العين، الفراهيدي: ١/٢٩٢ باب الخاء، المخصص لابن سيده: ١/٣٢٨ مادة خز.

(٤) البرهان في تفسير القرآن: ٢/١٣، نور الثقلين: ٢/٢٣ ح٨٤، مستدرك الوسائل: ٣/٢٠٣ ←

عن أبيه عن الحسين عليه السلام [(١)]: أنّه عليه السلام كان يشتري الخز بخمسين ديناراً، فإذا صاف تصدق به، لا يرى بذلك بأساً ويقرأ[(٢)]: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } [(٣)].

تحليل النص: تكررت الروايات الشريفة في جواز لبس الخز عن أهل البيت (عليهم السلام) عن الحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (سلام الله عليهم أجمعين)، أُثر عنهم (عليهم السلام) بأسانيد متعددة ومصادر متفرقة، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (قتل الحسين بن علي عليه السلام وعليه جبّة خز دكناء)[(٤)] [(٥)].

ومن خلال تتبع الروايات تجد أنّه عليه السلام لبس الخز منذ بدء عمره الشريف وكذلك في آخر يوم من حياته لأن هذا اللباس يوحي بشأن عظيم، قال ابن شاهين: الثياب من الخز تؤول بالعزة والجاه[(٦)]، وقال ابن حجر: قال

ح٣٤٨٦ وينظر موسوعة الحسين عليه السلام الشريفي: ٨٧٢ ح١٠٣٠.

(١) تفسير العياشي: ٢/١٦ ح٣٥ في المطبوع عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال محقق التفسير في نسخة مخطوطة أخرى عن الحسين (عليه السلام) وقال النوري: في أصل المخطوطة عن الحسين (عليه السلام) واستخرجها د. عفيفي عن المخطوطة عن الحسين (عليه السلام) ظ جهارده نورباك (فارسي): ٦/٧٦١ ح٦ الكتاب باللغة الفارسية.

(٢) في أصل المخطوطة: ويقول

(٣) الأعراف/٣٢.

(٤) الدكناء: لون أقرب إلى السواد، ظ: القاموس المحيط: ٤/٢٣٤.

(٥) تفسير العياشي: ٢/١٥ ح٣٢، الكافي: ٦/٤٥٢ ح٩، دعائم الإسلام: ٢/١٥٣ ح٥٤٤ وسائل الشيعة: ٣/٢٦٤ ح٨، المعجم الكبير: ٣/١٠٠ ح٢٧٩٤، مجمع الزوائد: ٥/١٤٤.

(٦) الإشارات في علم العبارات: ١/١٩٥.

ابن العربي الخز حلة ليس فيه وعيد ولا عقوبة بالإجماع [(١)].

وقد كان الإمام علي عليه السلام في سيرته عندما يبعث شخصاً ما إلى قوم ما فيأمره أن يلبس أحسن الثياب من الخز وغيره، فلما بعث الإمام علي عليه السلام عبد الله بن عباس إلى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيب طيبه، وركب أفضل مراكبه وخرج إليهم فقالوا: يابن عباس بيننا أنت خير إذا أتيتنا بلباس الجبابرة ومراكبهم؟ فتلا عليهم: هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ فألبس وأتجمل فإنّ الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال[(٢)]، ومن ثم تدل الرواية الشريفة على العموم على استحباب اللباس الجميل الذي يضفي على الإنسان المؤمن هيبته وعزته وكرامته.

وفي الحديث أيضاً إرشاد وتوجيه: أنّ التشريع الإسلامي لم يترك شيئاً يحتاجه الفرد المسلم وهو ينبعث من روح عامة وقيم سامية تسري في أحكامه وأنظمته ومن تلك الأحكام والتشريعات زينة الإنسان والتمتع بالطيبات التي أحلها الله تعالى لكي يخرج الإنسان بأبهى صورة وما أحسنها إذا جمعت معها الفضائل لذا تجد تأكيد أهل البيت (عليهم السلام) على لبس الثياب الحسنة ففي تفسير العياشي فقط عشرون رواية في هذا المعنى[(٣)]، قيل للإمام الحسن عليه السلام: (يابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: (إنّ الله تعالى جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي وهو يقول (خذوا زينتكم عند كل مسجد) فأحب أن

(١) فتح الباري: ٦١/١٦ وينظر الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ٢٧٢/١.

(٢) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ١١٠، بحار الأنوار: ٣٠٥/٧٦ ح٢٣.

(٣) ظ. تفسير العياشي: ١٣/٢-٢٠.

ألبس أجود ثيابي)[١]، ونقل أنّ سفيان الثوري مرَّ في البيت الحرام فرأى الإمام الصادق عليه السلام قد لبس ثياب فاخرة قيمة فعاب ذلك على الإمام عليه السلام فقال له عليه السلام: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في زمان فتر مقتر وكان يأخذ لقتره واقتداره وإن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها[٢]، فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ} ونحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله)[٣] وأجاب الإمام الرضا عليه السلام أحد السائلين فقال عليه السلام: (أما علمت أنّ يوسف بن يعقوب عليهم السلام نبي ابن نبي كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب ويجلس في مجالس آل فرعون يحكم ولم يحتج الناس إلى لباسه وإنما احتاجوا إلى قسطه، وإنما يحتاج من الإمام إلى أن إذا قال صدق وإذا وعد أنجز وإذا حكم عدل إنّ الله لم يحرم طعاماً ولاشراباً من حلال، وإنّما حرم الحرام قل أو كثر، وقد قال {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ}[٤].

فالظاهر من جميع الآثار والأخبار التي وردت بشان ذلك، أنّ اللّباس الحسن من النعم الإلهية التي تمتع بها الأنبياء والمرسلون وأولياؤه الصالحون،

---

(١) تفسير العياشي: ٢/١٨ ح٢٩ عن خيثمة بن أبي خيثمة.

(٢) عزاليها: العزالي: جمع العزلاء مثل الجمراء، وهي فم المزادة فقوله (عليه السلام): أرخت أي أرسلت يريد وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادة، قال الصاحب بن عباد العزلاء: مصب الماء من الراوية، حيث يستفرغ مافيها والجمع العزالي وبذلك سميت عزاليا السحاب تشبهاً بها يقال: أرسلت السماء عزاليها: المحيط في اللغة: ١/٦٧.

(٣) الكافي: ٥/١١٩٨ الحديث باختصار تحف العقول: ٨٧، وسائل الشيعة: ٥/١٤ بألفاظ أخرى.

(٤) تفسير العياشي: ٢/١٩ ح٣٣ الرواية عن العباس بن هلال.

بل إن تأثير اللباس وستر عورات الجسم وصلت إلى البلدان ذات الحضارات الوثنية، وقد اعترف بعض علمائهم المنصفين أنّ الإسلام هو الذي علمهم لبس الثياب وتزيين أبدانهم وتجميلها وهذه من فضائل وأخلاق الإسلام العظيمة(١).

وبهذا القدر نكتفي في هذا الباب مع وجود روايات في باب الأحكام في اللباس والمعيشة واستحباب الخضاب وغيرها مأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام (٢)، وبما أنّ منهج البحث تفسيري تركت إلى من يكتب في الروايات الفقهية ونختم هذا الفصل بهذا الباب، ونلاحظ قلة الروايات التفسيرية المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام وذلك بسبب الظرف السياسي القاهر الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام لكن نجد كثيرا من الروايات قد نقلها الأئمة المعصومون (سلام الله عليهم أجمعين) فوصلت إلينا بطريق محكم خالٍ من التشويش والتشويه ومقبولة سنداً ومتناً، كذلك استدل أهل البيت (عليهم السلام) بالسيرة العملية للإمام الحسين عليه السلام والإمام المعصوم هو المظهر لأحكام الله في أرضه، لذا كانت أحاديثه عليه السلام نبراساً للمؤمنين ودستوراً للمتشرعين.

إنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الفقهية تحترم الإنسان وتوليه عناية خاصة فلا يهدرون حرمة الإنسان مهما كان دينه، إن فقه أهل البيت (عليهم السلام) هو الفقه القانوني الذي يجعل للإنسان حرمة وكرامة وتقديراً مهما كان انتماؤه ولأي عقيدة باستثناء أن يكون هذا الإنسان عدائياً.

---

(١) ظ. تفسير الميزان: السيد الطباطبائي (قدس): ٨/٦٨.

(٢) ظ. موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) الشريفي: ٨٦٥-٨٨١ عشرون حديثاً.

والدليل على فقه أهل البيت (عليهم السلام) الإنساني نأخذه من خطاب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وهو يخاطب أعداءه، فقال لهم عليه السلام: (إنّ لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم)(١)، وهذا دليل على وجود قاسم مشترك بين الحسين عليه السلام وأعدائه وهو صفة الإنسانية على أقل تقدير، فلنتعايش على ضوء قاسم الإنسانية، وهذه أسس التشريع التي نستلهم ونستقي منها ولأن أهل البيت (عليهم السلام) كما وصفهم صاحب الرسالة الإسلامية صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم كـ (سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وكباب حطة بني إسرائيل من دخله كان آمناً)(٢)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف)(٣).

وهذه وغيرها من النصوص والأدلة التي يتمسك بها على لزوم اتباع أهل البيت (عليهم السلام) وتلزم بالأخذ والعمل بما صدر عن أئمة الهدى (صلوات الله عليهم أجمعين) من أحكام وتعاليم إسلامية، نرجو من الله سبحانه قبول هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وليوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ومن الله التوفيق.

---

(١) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج: ٧٩.

(٢) مجمع الزوائد: ١٦٨/٩، المعجم الأوسط: ٣٥٥/٥ وينظر فيض القدير، المناوي: ٦٥٩/٢ بيان وجه الإستدلال.

(٣) الرواية عن ابن عباس (رض) أخرجها الشيخ القرشي في كتابه حياة الحسين (عليه السلام): ٧٩/١ عن سبعة مصادر من مدرسة الصحابة ويراجع الصواعق المحرقة لابن حجر: ٩١/ ١٤٠، ١٥٠، ٢٣٤ تجد ذلك.

الفصل الخامس

الجهود التفسيرية الأخلاقية والتربوية عند الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الأول: صفات المؤمنين

المبحث الثاني: التربية والتعليم

المبحث الثالث: تهذيب النفس

توطئة

الأخلاق الإسلامية هي مجموعة الأقوال والأفعال التي يجب أن تقوم على أصول وقواعد وفضائل وآداب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد اهتم الإسلام بالأخلاق وفرض تعاليمه على المسلم فجعل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قدوة للمسلمين حتى وصفه الباري عز وجل في قرآنه المجيد قائلاً {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [١].

وقد كثرت الدراسات حول علم الأخلاق، وجاءت تعريفات كثيرة له فهو: علم بأصول يعرف حال النفس من ماهيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها، وما هي وظيفتها التي تؤديها والفائدة من وجودها وعن سجاياه وأميالها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية، وهو من العلوم التي تأسست منذ بدء الخليقة[٢].

ويمكن أن نسمي علم الأخلاق إستنتاجاً من المفهوم السابق: أنّه علم الطب الروحي الذي يقوم بإصلاح أنفس البشر ويعالجها من أمراضها التي تصبح وبالاً على المجتمع مثل التكبر والحرص والشح والتفرقة والتعصب

(١) القلم/ ٤.

(٢) ظ: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه: المقدمة، الأخلاق والآداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي: ٨.

للقومية، فوضع الدواء لذلك عبر بث نزعات الخير في تلك النفوس حتى تكون غايتها فعل الخير، وتربية محيط ثقافي بمنهج أخلاقي ومن خلال ذلك نعرف فضل الأنبياء والأولياء (صلوات الله عليهم أجمعين) على النوع الإنساني، ونعلم يقيناً أنّ هذا الطب الروحي الذي طبقوه على تلك النفوس المريضة، هو أعظم هداية للبشر ويمكن أن نقول: إنّ إعداد الإنسان الذي يحمل الصفات الإنسانية ليس بالأمر السهل، وربما كانت صناعة الأقمار الصناعية وصواريخ الفضاء أيسر من إعداد مجتمع يتمتع بالأخلاق والفضائل عندها ندرك أنّ الطب الروحي هو غاية الأنبياء وبعثهم لذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(١)، وأنّ قاعدة التفاضل بين النوع الإنساني هو الأخلاق، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ}(٢) وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم)(٣) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (أكملكم إيماناً أحسنكم خلقاً)(٤).

---

(١) موطأ مالك بن انس: ٢٥٦/٤، مسند أحمد بن حنبل: ٢٨١/٢، السنن الكبرى، البيهقي: ١٩٧/١٠، مسند الشهاب: ١٩٢/٧، وينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٨٦/١٠.

(٢) الحجرات/ ١٣ وينظر عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٦٢/١ حديث شريف بهذا المعنى: ح١٠/ح١١، باب ٥٨، دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ٣٦ القيمة العليا للإسلام.

(٣) الكافي: ١٠٢/٢ ح١٦ حديث رواه الإمام الصادق (عليه السلام) بإسناد حبيب الخثعمي، نور الثقلين: ٣٩١/٥ ح١٩، وسائل الشيعة: ١٥٨/١٢ ح١٥٩٤٠.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٤١/١ ح١٠٤ من أحاديث سلسلة الذهب وبإسنادين أحدهما عن داود ابن سلمان صاحب الرضا (عليه السلام)، التاريخ الكبير، البخاري: ٢٧٢/٢ عن عائشة، التمهيد لابن عبد البر: ٢٣٧/٩ عن أبي هريرة.

ويمكن القول: إنَّ جميع رسالات السماء جاءت لتخطط طرق الكمال للإنسان لمنعه من الانحراف والانزلاق في مهاوي الضلالة، كذلك القول: إنَّ الأخلاق في الإسلام ليست جزءاً من الدين بل جوهره وروحه، وقد تجلت تلك المعاني السامية بأجمل صورها وأبهى حللها في شخوص النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) فاستطاع صلى الله عليه وآله وسلم في مدة يسيرة أن ينفذ إلى أعماق النفوس الإنسانية ليحولها من صحراء قفراء مجدبة إلى نفوس تعلوها النضارة والخصب ويضع منها نماذج استطالت الثريا علواً ومجداً، ومنها مجسد الأخلاق وأنموذجها الخالد أبي الضيم وسيد الأباة والأحرار ورمز الأخلاق بجميع معانيها وقيمها السامية الإمام الحسين عليه السلام عبر دعوته إلى التخلق بأخلاق الإسلام (بالحكمة والموعظة الحسنة)، فالحسين عليه السلام هو النموذج الإنساني الذي تفتخر به الإنسانية، فقد استطاع بما يحمل من مميزات أهلته أن يقدم علاجاً ناجعاً لأمراض المجتمع آنذاك ومنها: التهاون في الدين والسعي وراء ملذات الدنيا وشهواتها، فقدم لها الدواء وكان نفيساً، لكنه وهب للإنسانية نماذج أخلاقية امتلأت الإنسانية بأنوار عظمته وأخلاقه، ولازالت مدرسة الحسين عليه السلام الأخلاقية ترفدنا وتمدنا بالأفاضل والصالحين، وقد اخترت في هذا الفصل نماذج تفسيرية نرجو أن تكون كاشفة عن آثاره التفسيرية الأخلاقية التي لايمكن حصرها، إن الكتّاب والباحثين لن يصلوا إلى كل مايريده المعصوم عليه السلام فضلاً عمن هو أقل شأناً من الجميع، وقد انتظم الفصل في ثلاثة مباحث: صفات المؤمنين، التربية والتعليم، تهذيب النفس، ونسأل الله التوفيق.

المبحث الأول: صفات المؤمنين

أولاً- الصبر

قال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (1).

روى ابن ماجة وابن حنبل وغيرهم بإسناد عن فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) عن أبيها الحسين بن علي عليه السلام قال: قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وان طال عهدها فيحدث بذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب) (2).

---

(1) البقرة/ ١٥٣-١٥٧.

(2) سنن ابن ماجة: ١/٥١٠ ح١٦٠٠، مسند أحمد: ١/٢٠١ ، حديث الحسين (عليه السلام)، والإسناد: عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) عن أبيها (عليه السلام)، بطريقين: الأول هشام بن أبي هشام عن عباد بن زياد عن هشام بن زياد، الثاني: إسماعيل بن عليه ويزيد بن هارون عن هشام بن زياد، وينظر: مجمع الزوائد: ٢/٢٣١، مسند أبي يعلى الموصلي: ٢/١٤٨ ح٦ بإسناد آخر: وينظر: الترغيب والترهيب، المنذري: ٤/٥٣٧، ←

الصبر لغة: الحبس[١]، قال عنترة بن شداد العبسي[٢]:

فصبرت عارفة لذلك حرةً ترسوا إذا نفس الجبان تطلع[٣]

يقال صبرت نفسي على كذا: أي حبستها، وإنّه ليصبرني عن أي يحبسني، وصبرت على ما أكره، وصبرت على ما أحب، وهو صبير القوم[٤]، والصبر نقيض الجزع[٥]، والصبور: هو الحليم الذي لايعجل العصاة بالنقمة، بل يعفو أو يؤخر[٦].

الصبر اصطلاحاً: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا اله إلا الله تعالى، لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صابِراً﴾[٧]، وقيل: هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب[٨].

٥٣٧/٤، تفسير ابن كثير: ٢٠٤/١، الدر المنثور: ١٥٧/١و الجامع الصغير: ١٦٤/٢، كنز العمال: ١٩٥/٣ ح١٧١٣.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٣١/٢.

(٢) عنترة بن شداد: من فرسان العرب يضرب به المثل في الشجاعة والجود بما ملكت يداه وصاحب شيمة وعزة ونفس، أحد شعراء المعلقات السبع، وفي شعره رقة وعذوبة له ديوان مطبوع، ظ: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ١٦٣، الأغاني الأصفهاني: ٣٨٦/٤، خزانة الأدب، الحموي: ١٣٨/١.

(٣) ديوان عنترة البطليوسي: ٧٢ ق: ٥، ب: ٨.

(٤) أساس البلاغة: الزمخشري: ٢٥٤/١.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٢٧٦/٧.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٤٢٢.

(٧) ص/ ٤٤.

(٨) التعريفات، الجرجاني: ١٣١، جماع السعادات، النراقي: ٤٥٦/٢، تهذيب النفس، أستاذنا ←

وقيل إنّ الصبر هو: احتمال المكاره من غير جزع أو قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامرَ ونواهيَ، وهو دليل رجاحة العقل وسمو الخلق، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه وسبب الظفر والنجاح والدرع الواقي من شماتة الأعداء والحساد[1].

تحليل الراوية الشريفة

حث على الصبر والتصبر عند نزول البلاء والشدّات، وعلى الإنسان المؤمن أن يرجع بأمره ويفوضه إلى الله عز وجل لأنه بيده الأمور كلها وكما قال الإمام علي عليه السلام: (إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وان جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)[2]، وكما قال الحسين عليه السلام: (اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر عما تحب، فيما يدعوك إليه الهوى)[3].

ذكر الصبر في مائة وثلاثة موطن في الكتاب الكريم وبصيغ مختلفة[4]، حث فيها على الصبر والتصبر وأنّ الصابرين لهم المقام العالي عند الله تعالى، قال تعالى {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[5].

الشيخ البهادلي: ٢/٣١٢.

(١) أدب الدين والدنيا، الماوردي: ٢٦، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) مهدي الصدر: ١٠١، الأخلاق والآداب الإسلامية، الهاشمي: ٤٧٨، وينظر: الفرق بين الصبر والاحتمال: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكر: ٢٢٧، إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/٦٧.

(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/٢٢٤ ح٢٩١، جامع الأخبار، السبزواري: ٣١٦ ح٨٨٢.

(٣) تنبيه الخواطر، الحلواني: ٨٥ ح١٨.

(٤) محاضرات في علم الأخلاق، السيد محمد هادي الخرسان: ٦٥.

(٥) النحل/ ٩٦.

والآيات جميعها تدعو إلى التمسك بالصبر والتحلي به، لأنه من الصفات الحميدة التي تحلى بها الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وهذا واضحٌ من خطابه تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول مخاطباً إياه {اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}(١). ومادام الباري عز وجل يحث نبيه على الصبر، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أسوة حسنة لجميع النوع الإنساني عموماً والإسلامي خصوصاً، فوجب الاقتداء به والتحلي بصفاته، في رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنَّه قال: (إنَّ الله تبارك وتعالى خصَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر، والرضا وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة)(٢).

يقول السيد مسلم الحلي (ره): (إنَّ مقام الصبر هو مقام الهيمنة على الجوانح والجوارح والاستيلاء على الأبدان والنفوس، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية ليرفعان الصبر إلى مقام هو فوق كل مقام، ويكفينا أن نذكر قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إذا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}(٣).

---

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) الخصال: ٤٣١ ح١٢، معاني الأخبار: ١٩١ ح٣، من لايحضره الفقيه: ٥٥٥/٣ ح٤٩١ بإسناد عبد الله بن مسكان، ونسب اليعقوبي الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. تاريخ اليعقوبي: ٢٤١/٢ مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) القرآن والعقيدة: ١٧٠.

ويبدو من ذلك عظم أمر الصبر في مرويات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

١ - أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له)(١).

٢ - عن جابر الأنصاري أنَّه سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان، فقال: (الصبر كنز من كنوز الجنة) وسئل مرة ما الإيمان؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر(٢).

وقد ذكر أهل التفسير والأخلاق: أنَّ الله أعطى للصابرين ثمانية أنواع من الأجر والكرامة.

(١، ٢) الصلاة والرحمة: قال تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ورحمة}(٣)، وهذان الأمران يجعلان الإنسان على بصيرة من أمره بعد حصولهما عليه من قبل الباري عز وجل.

٣-البشارة، قال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}(٤).

٤-الهداية، قال تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}(٥).

٥-النصر، قال تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(٦).

---

(١) بحار الأنوار: ٧١/٩٥ ذ ح ٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧/١٠٧.

(٣) البقرة/ ١٥٧، وينظر: تفسير الأمثل: ١/٤٤١، زاد المسير، ابن الجوزي: ١/١٤٦.

(٤) البقرة/ ١٥٥.

(٥) البقرة/ ١٥٧.

(٦) البقرة / ١٥٧.

٦-المحبة، قال تعالى: { وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }[١].

٧-غرفات الجنة، قال تعالى: { أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا }[٢].

٨-الأجر الجزيل، قال تعالى: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }[٣][٤].

يقول السيد الطباطبائي (قدس): خمس آيات متحدة السياق متسقة الجمل، ملتئمة المعاني، يسوق أولها إلى آخرها ويرجع آخرها إلى أولها، والصبر من أعظم الملكات والأحوال التي يمدحها القرآن حتى قيل فيه { إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ }[٥]، وقيل { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[٦]، وقيل { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }[٧].

من الأمور المسلية للنفس علم الإنسان بأن ما نزل به من البلاء أو ما فاته من دنياه، يعوضه الله عليه في الآخرة ويجزيه عليه بأحسن الثواب، ولذا يقال لصاحب المصيبة أعظم الله لك الأجر، أي وجب لك من الأجر وأعطاك أكثر وأعظم مما أصبت به، والسبب في ذلك لأن الابتلاءات في الدنيا والتي تحل بالمؤمنين لاتخلو من فائدة فهي إما لتكفير سيئاته أو زيادة حسناته أو

---

(١) آل عمران/ ١٤٦.

(٢) الفرقان/ ٧٥.

(٣) الزمر/ ١٠.

(٤) ظ. أخلاق الفرد في القرآن، السيد حسين الصدر، ٤٨.

(٥) لقمان /١٧

(٦) فصلت/٣٥.

(٧) الزمر/١٠. وينظر: تفسير الميزان: ١/٣٤٣

رفعاً لدرجاته، وقد سمى البلاء بالحسن خاصة للمؤمنين وإلى هذا المعنى يشير الباري عز وجل في محكم كتابه إذ قال ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١]. فمن يقابل البلاء بالصبر والتسليم لأمر الله والرضا بقضائه كان في أعلى درجات الإيمان، فلذا تجد الإمام الحسين عليه السلام يخاطب أصحابه وأهل بيته بكل طمأنينة وعزة وثقة بالله عز وجل وثبات منقطع النظير على الهدف السامي، قائلاً (صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً)[٢].

ومن الأمور المسلية للإنسان أيضاً أن يعلم أنّ جميع الموجودات في الكون معرضة للفناء والزوال وليس شيء يبقى فيها فليتزود العاقل والفطن لما إليه المصير لأن كل شيء إلى الفناء يصير وأنّ مافي الدنيا من زخارف تجدها متنقلة بين البشر على سبيل التناوب والتبادل، يمكن أن نصورها كمثل إناء فيه عطر يدار في المجلس على سبيل التناوب والتتابع يأخذ منها كل إنسان مايستطيع أن يشم من ذلك العطر، فمن يحزن على الدنيا التي فاتته كمن يحزن على استرجاع ذلك العطر وهو مناف للآداب الإنسانية التي جبل عليها والله سبحانه يخاطب عباده ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾ [٣]. ولذا يقول مشرع البلاغة والفصاحة الإمام علي عليه السلام: (من صبر صبر الأحرار

---

(١) الأنفال/ ١٨.

(٢) اللهوف: ٦٨، تاريخ ابن أعثم، ١١٢/٥، قاله (عليه السلام) بعد أن حمل آل أبي طالب (رض) حملة واحدة، بحار الأنوار: ٣٦/٤٥، عوالم الحسين (عليه السلام): ٢٧٩، أعيان الشيعة: ٥٨٢/١.

(٣) الحديد: ٢٣.

والا سلا سلو الأغمار) [١]، أي يذهب ذكره كما تذهب الريح.

ومن خلال الجمع بين المعنى اللغوي للصبر والاصطلاحي، وما أُثر يكون الصبر هو: الوثاق التي يوثق به الإنسان نفسه خوفاً عليها من السلوك غير العقلاني والذي يمكن أن يلوث الإنسان المسلم وشريعته أو يحط من قدرهما، بل قد تحطمه الأهوال والمصائب وعندما يقوم الإنسان بأحكام هذا الوثاق وربطه جيداً يكون الصبر كحلقة وصل بين أصول الدين وفروعه وهذا ما نلمسه في سيرة الصابرين، (ومن ركب الصبراهتدى إلى ميدان الفرج)[٢].

وعند البحث في سيرة الحسين عليه السلام وصبره تعجز الأقلام عن وصفه وثنائه على الصبر من خلال قراءة وصاياه إلى أهل بيته في ساعات المحنة، بل لن تجد شخصاً يماثل صبره عليه السلام في الكون إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووالده المرتضى عليه السلام فتراه مرة يشد على قلوب أهل بيته وأصحابه بالصبر والرضا بقضاء الله، فعندما سمع أخته تبكي وتنادي: (واضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله عزاها عليه السلام وقال: (يا أختاه! تعزي

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة/ ٤٦٢، الغمر: القدح، الغمر: الماء الكثير، غمرتهم سوداء الجاهلية، أي غطتهم، وإنّ في صدري عليك غمراً، أي حقداً المحيط في اللغة، ٤١٢/١، شرح أصول الكافي: ٢٨٤/١١ شرح نهج البلاغة: أبي الحديد: ٢٦٢/١، والغمر ريح اللحم والزهومة واليد الغمرة، الوسخة، وربما يريد الإمام (عليه السلام): أنّ الريح النتنة تذهب وتزول ولايبقى إلا الريح الطيبة التي توصف بالكلمة الطيبة وكذلك ذكر الإنسان، فإذا كان فعله طيباً خالداً يخلد معه، وهكذا شأن الصابرين مخلدين وإلى يومنا هذا.

(٢) ظ. أدب الدين والدنيا، الماوردي: ٢٠٦، إحياء علوم الدين الغزالي: ٦٧/٣ ومابعدها، جامع السعادات، النراقي: ٤٦٠/٢، الأخلاق، عبد الله شبر: ٢٥٨، الأخلاق في حديث واحد، عبد الصاحب المظفر: ١٥٥/١-١٥٨.

بعزاء الله فان سكان السماوات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون ثم قال إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً ولا تخمشن علي وجهاً ولاتقلن هجراً)[١].

هذه الوصايا الأخلاقية دروس في الصبر من خلال توثيق العلاقة بالله سبحانه خاصة عند نزول البلاء والهزات العظيمة، وأي هزة حدثت على الأرض وإلى يومنا هذا من إبادة أهل البيت (عليهم السلام) وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلماء المسلمين ورجالاتهم وقد وصفه أحدهم قائلاً (ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشاً منه، وان كانت الرجال تشد عليه فيشد عليها بسيفه فتنكشف عنه إنكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب ثم يرجع عليه السلام إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولاقوة الا بالله)[٢].

ويمكن قراءة الراوية بشكل آخر: أَنَّهُ يجب ربط القلب، وذلك يكون بالتمسك بقوة الله عز وجل في ساعة الشدة والعسر، في ساعة الامتحان التي قد يفلح بها الإنسان ويخلد أو يهمل فيخمد، وهو ما ذكر سابقاً أنّ الأخلاق والصبر ربط بين أصول الدين وفروعه، يقول الإمام كاشف الغطاء رضي الله عنه: (من ذا الذي يقدر أن يصور لك الحسين عليه السلام وقد تلاطمت أمواج البلاء حوله، وصبت عليه المصائب من كل جانب)[٣]. ويفصح العقاد في وصفه

(١) اللهوف: ٣٥، مقتل الخوارزمي: ١/٢٣٨، وينظر موسوعة الحسين (عليه السلام) الشرفي: ٤٩٢ مصادر أخرى.

(٢) اللهوف للسيد ابن طاووس (قدس): ٧٠، الكامل في التاريخ: ٤/٧٧، البداية والنهاية: ٨/٢٠٤، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن سعد: ٧٥ مع اختلاف الألفاظ عن اللهوف.

(٣) جنة المأوى: ١٥٣ نقلاً من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) البحراني: ٢٥٦.

لصبر الحسين عليه السلام وشجاعته فيقول: (وشجاعة الحسين عليه السلام صفة لاتستغرب منه لأنها الشيء من معدنه، وليس في بني الإنسان من هو أشجع ممن أقدم على ما أقدم عليه الحسين عليه السلام في يوم كربلاء)(١).

ويستمر عليه السلام في منهجه بالصبر حتى في آخر أنفاسه الشريفة وهو ملقى على الأرض - روحي له الفداء - يوصي ابن أخيه عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو غلام لم يراهق، وقد نظر إلى أبجر بن كعب أحد جنود الضلال، وهو يهوي بالسيف على رأس الحسين المقدس عليه السلام فقال الغلام (يابن الخبيثة! أتقتل عمي؟! فضربه أبجر بالسيف فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فاذا يده معلقة، فنادى الغلام ياعماه؟ فأخذه الحسين عليه السلام فضمه إليه وقال: (يابن أخي! اصبر على مانزل بك واحتسب في ذلك الخير، إنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين، فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام (٢).

إنَّ هذه المواعظ والدروس التي استثمرت منه عليه السلام قد أخذت موضعها في قلوب محبي الحسين عليه السلام وعشاقه، ومن لايعرف الحسين عليه السلام لايعرف الصبر ومن لايعرف الحسين عليه السلام لايعرف الحياة

---

(١) أبو الشهداء: ٧١، ويعني العقاد بقوله (الشيء من معدنه) إلى شجاعة أبيه الإمام علي (عليه السلام) التي يضرب بها المثل.

(٢) الإرشاد، المفيد: ٢٤١، تاريخ الطبري: ٣٤٤/٤، الكامل في التاريخ: ٧٧/٤ وفي المصدرين الأخيرين إضافة بعد الصالحين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وحمزة وجعفر والحسن بن علي (عليهم السلام) وينظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٣/٨، إعلام الورى، الطبرسي: ٤٦٨/١، الدر النظيم لابن حاتم العاملي: ٥٥٨، جواهر المطالب، الدمشقي: ٢٨٩/٢.

ومن لايعرف الحسين عليه السلام لايعرف الثبات والعزة والشموخ والصبر والإباء والترفع والتي خلدت مع الإباء الحسيني والخلق الحسيني وإلى يومنا هذا ومن خطا هذا الدرب فاز وانتصر، ألم يقل غاندي الهندوسي: (تعلمت من الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فأنتصر)[1].

لقد حاول أعداء الإنسانية التشفي بقتل الحسين عليه السلام وزعزعة هذا الصبر وهذا الثبات وهذا الشموخ وهذا الإباء الحسيني لذا خاطب الطاغية عبيد الله بن زياد السيدة الجليلة زينب بنت أمير المؤمنين الإمام علي عليهما السلام قائلاً: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ فأجابته على الفور لإبطال دعواه - بأنه يفعل بفعل الله تلك النظرية المنحرفة عن تعاليم الإسلام التي خدع بها كثير من الناس- قائلة كأنها تنطق وتفرغ عن لسان علي عليه السلام -: (ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يابن مرجانة)[2].

إنّ الصبر على الحق مهما يطول فإنّه ينتهي إلى الظفر حتماً، وهو الظفر الإلهي وليس ما يتخيله البشر، إنها الحقيقة التي تضيء الدرب وتنير العقول وتثبت طالب الحق على الطريق القويم، وإذا أردنا أن نعرف الحق والصبر معاً فلنذهب إلى مدرسة الحسين عليه السلام لأنها مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين مني وأنا من

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي د. انطوان بارا: ٢٨٥.

(٢) بحار الانوار: ٤٥/١١٦، العوالم ، الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٨٣ عن اللهوف للسيد ابن طاووس ٦٧ ، ينظر أيضاً: أعيان الشيعة، السيد الأمين: ١/٦١٤.

حسين)[١]، فالدين كله عقائده وأحكامه وسيرته وسنته ومنهجه عند الحسين عليه السلام فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

ثانياً: الحلم وكظم الغيض والعفو عن الناس

قال تعالى {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ}[٢].

الرواية الأولى: روي عن عصام بن المصطلق قال: (دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليه السلام فأعجبني سمته ورواؤه وآثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال عليه السلام نعم، قال عصام: فبالغت في شتمه وشتم أبيه فنظر إليّ نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ}[٣] قال عصام: ثم قال لي: خفض عليك، استغفر الله لي ولك إنّك لو استعنتنا أعناك ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا

(١) سنن الترمذي: ٥/٣٢٤ ح٣٨٦٤ وتكملة الحديث: (أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط)، وينظر: المستدرك: ٣/١٧٧، قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، الأدب المفرد، البخاري: ٨٥ ح١٧٠ باب معانقة الصبي.

(٢) الأعراف/ ١٩٩-٢٠٢.

(٣) الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠.

أرشدناك، قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني فقال عليه السلام {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [(١)]، أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم قال عليه السلام شنشنة أعرفها من أخزم[(٢)]، حياك الله وبياك وعافاك وأداك انبسط إلينا في حوائجك ومايعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك إن شاء الله قال عصام: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت ووددت إنها ساخت ثم تسللت منه لوذا وما على وجه الأرض بما رحبت أحب إليّ منه ومن أبيه)[(٣)] [(٤)].

تحليل الرواية الشريفة: من فضائل الأخلاق التي دعا إليها الإمام الحسين عليه السلام الحلم، فقد دلت سيرته أنّه يقابل المسيء له بالعفو

---

(١) يوسف/ ٩٢.

(٢) قال ابن الأثير: الشنشنة: السجية والطبيعة، وقيل القطعة من اللحم وأول من قاله أبو أخزم الطائي وذلك أنّ أخزم كان عاقاً لأبيه، فمات وترك بنين عقوا أحدهم وضربوه وأدموه، فقال: إن بني زملوني بالدم، شنشنة أعرفها من أخزم من يلق آساد الرجال يكلم أي أنّهم أشبهوا أباهم في العقوق. ظ: النهاية في غريب الحديث: ٢/٥٠٤.

(٣) حياك الله، الاستقبال بالمحيا واشتقاقه من الحياة أو الحياء، ظ: المحيط في اللغة: ١/٢٥٨، وقيلت: قللك، وبياك: أصبحك، المخصص: ١/٢٧٥، غريب الحديث لأبي عبيد: ٢/٢٧٩، لسان العرب: ١٤/١٠١، مادة: حيا، بيا، الانبساط: ترك الاحتشام، ولها معان أخرى، ظ: لسان العرب، مادة: سبط، بسط، ٧/٢٥٨، ٣٠٨، تاج العروس، مادة سبط: ١/٨٥٨، اللواذ، الاستتار، ولواذاً، أي: خفية وتستراً، ظ: لسان العرب: ٣/٥٠٧، مادة لواذ، تفسير غريب القرآن، الطريحي: ٢٢٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٧/٣٥١ واللفظ له كشف الغمة الأردبيلي: ٢/٣١ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٦٨، بحار الانوار: ٤٤/١٩٥ ح٩، أعيان الشيعة: ١/٥٨٠، إحقاق الحق، العلامة الحلي: ١١/٤٣١، سفينة البحار، الشيخ عباس القمي: ٢/٧٠٥، منازل الآخرة: ٢٠٨، القطرة، السيد أحمد المستنبط: ١/١٧٩ ح١١، مع تفاوت الألفاظ.

والإحسان أسوة بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام وقد عرف الحلم بأنه طمأنينة النفس بحيث لايحركها الغضب بسهولة ولايزعجها المكروه بسرعة فهو الضد الحقيقي للغضب لأنه المانع من حدوثه وبعد هيجانه لما كان كظم الغيظ مما يضعفه ويدفعه، من هذه الحيثية يكون كظم الغيظ أيضاً ضداً له والحلم أشرف الكمالات النفسية بعد العلم، بل لاينفع العلم بدونه أصلاً ولذا كلما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم)(١).

ومن هنا يتضح بأن الحلم من كمالات العقل ودلالة على قوة الإرادة للسيطرة على النفس، لذا وصف الحلم بأنه صفات الأنبياء والأولياء الصالحين (صلوات الله عليهم أجمعين).

الحلم يزين صاحبه حتى يكون الحليم محبوباً عند الجميع، لذا لما سئل الإمام الحسين عليه السلام فقال عليه السلام (الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكبار صلف)(٢).

وقد أُثر عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) أحاديث كثيرة تبين أهمية الحلم كصفة أخلاقية يتصف بها المؤمنون، ومن تلك الأحاديث ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم)(٣).

---

(١) جامع السعادات: ١/٢٢١، وينظر مصدر الحديث: الجامع الصغير: ١/٢٣٢ ح١٥٣٢، كنز العمال: ٢/١٨٥ ح٣٦٦٣، تهذيب الأحكام: ٣/٧٣ ونسبه إلى الإمام الصادق (عليه السلام).

(٢) كشف الغمة: ٢/٣٠،نور الأبصار: ١٣٨، معالي السبطين: ١/٢٥١ من خطبة له (عليه السلام)، والصلف: هو الادعاء فوق قدرة الشخص: العين: ٢/٣٨.

(٣) مسند أحمد: ٦/١٣٣، سنن أبي داود بلفظ آخر: ٧/٤٣٦.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه ملأه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً)[١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يحب الحي الحليم المتعفف ويبغض الفاحش البذي)[٢]. وأُثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ما عفا رجل عن مظلمة قط إلا زاده الله بها عزاً)[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: (الحلم حجاب من الآفات)[٤] وقال: (الحلم رأس الرئاسة)[٥] وقال عليه السلام: (الحلم نور جوهرة العقل) وقال: (الحلم تمام العقل)[٦] وعنه عليه السلام: (الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع، فإستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك)[٧].

عند التدبر في الرواية نرى كيف أعز الإمام الحسين نفسه وأهل بيته (عليهم السلام) بالحلم والصفح عن هذا المسكين المغرر به من المغرضين والمفسدين على المسلمين حياتهم ومنهجهم القرآني والنبوي في بناء الشخصية الإسلامية التي دعا إليها النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم حين قال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٨].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٣٩٢/٢، مشكاة الأنوار: علي الطبرسي: ٣٨١.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٦٩/٨، كنز العمال: ٨٧٧/١٥ ح٤٣٤٨٥.

(٣) زبدة البيان، الأردبيلي: ٣٢٧ وينظر: مجمع البيان: ٥٠٥/٢، مسند أحمد: ١٩٣/١ بلفظ مقارب.

(٤) غرر الحكم: ٧٧٠، ميزان الحكمة: ٦٨٦/١.

(٥) المصادر نفسها والصفحات.

(٦) غرر الحكم: ٩٩٤ ميزان الحكمة: ٦٨٦/١.

(٧) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٤.

(٨) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٨، مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا: ٦.

لقد تعرض الحسين وآل بيته الأطهار والمسلمون الصالحون لأذى الظالمين من بني أمية وإن أمثال هؤلاء كثير هؤلاء الذين شوهوا الإسلام والمسلمين وأرادوا أن يكون إسلاماً أموياً وليس الإسلام المحمدي الذي جاء به من الباري عز وجل وتحمل الأذى في سبيله إن هذا الرجل المسكين لايعرف أهل النبي (عليهم السلام) إلا عن طريق الأمويين لذا قال عليه السلام: شنشنة أعرفها من أخزم، أي من اللذين حملهم معاوية على بغض أهل البيت (عليهم السلام)، فلما التقى هذا المسكين بأحدهم –وهو الحسين عليه السلام - أخذ الندم منه مأخذاً شديداً على مافرط منه فلقد وجد الخلق الرفيع والصدر الرحيب الواسع، وهي صفات الحليم الذي يتحمل إساءات الآخرين وحتى السب منها وهو القائل عليه السلام (لوشتمني رجل في هذه الأذن - وأومئ عليه السلام إلى إذنه اليمنى - واعتذر إلي في الأخرى لقبلت ذلك منه، وذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام حدثني أنّه سمع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (لايرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل)[(١)]، لقد كان صدر الإمام الحسين عليه السلام صدراً حليماً بحق تحمل وصبر وحلم على شتم الشاتمين وكيف يجرؤ أحد أن يشتمه لأن شتمه شتم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألم يسمعوا جميعاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين مني وأنا من حسين)[(٢)].

فلذا عندما تدقق في الرواية تجد أنَّ: عفوه عن غير غضب وفي أشد

(١) إحقاق الحق: ٤١٣/١١، نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي: ٢٠٩.

(٢) سنن الترمذي: ٣٠٧/٢، مسند أحمد: ٢٢١/٦، ١٠٧/٧، كنز العمال: ١٧٢/٤ على سبيل المثال لا الحصر.

الحالات وأقسى الأزمان، وهذه صفات الحليم من يملك نفسه عن الغضب وقد دلت سيرته على شدة حلمه وهو في أحرج الاوقات مع الحر الرياحي رضي الله عنه الذي منعه وضيق عليه وحاصره ومنعه من التوجه إلى أي مكان، فلما كان اليوم العاشر من محرم تيقن- أي الحر- أنّ الجيش الأموي سيقتل الحسين عليه السلام وأدرك أيضاً أنّ من يقاتل الحسين عليه السلام يكون من أهل النار لذا توجه نحو خيام الحسين عليه السلام منكساً رمحه قالباً ترسه، وهي علامة على السلام أو الاستسلام وقد طأطأ رأسه حياءً من آل محمد (صلوات اللهم عليهم أجمعين) بما أتى إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولاكلأ رافعاً صوته: اللهم إليك أنيب فتب عليَّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك يا أبا عبد الله إنّي تائب فهل لي من توبة؟ فقال الحسين عليه السلام - وهو العفو- نعم يتوب الله عليك[1]، فسعد هذا الرجل، بعد حصول العفو من المولى عليه السلام بحقه وابنه وغلامه، فأصبح اليوم من الخالدين وكل ذلك بحلم الحسين عليه السلام وعفوه، فما أحوجنا اليوم إلى أن يحلم بعضنا مع الآخر لافرق بيننا مادمنا نعيش على هذه الأرض الواحدة التي تحتضننا جميعاً ونعيش إخوة متحابين، يعم السلام بيننا ونعيش في طمأنينة ووئام.

قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

---

(١) أمالي الصدوق: ٩٧، روضة الواعظين: ١٥٩، وينظر: الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي: ٢٨٥.

(٢) آل عمران/ ١٣٤.

الرواية الثانية: روى الإربلي وغيره أنَّهُ: (قال عليه السلام: (جنى له - أي للحسين عليه السلام - غلام جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يامولاي! (والكاظمين الغيظ) قال عليه السلام خلوا عنه، فقال: يامولاي! والعافين عن الناس قال: قد عفوت، قال: يامولاي! والله يحب المحسنين، قال أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك)[1].

تحليل النص: صورة ثانية من صور الحلم الحسيني التي تشع على الفكر الإسلامي والتي هي من أبرز صفاته وخصائصه فقد كان عليه السلام لايقابل مسيئاً بإساءته ولامذنباً بذنبه، بل يغدق عليهم ببره وإحسانه وهو بذلك يسير على خطى جده وأبيه (صلوات الله عليهم أجمعين) ولاغرو في ذلك فقد ورث كل شيء عنهما (عليهم السلام) إن هذه الصورة الأخلاقية الرائعة التي تحققت مع أحد غلمانه، إذ كان العبيد عند الاخرين يعانون المعاملة القاسية من الإهانات والتحقير والتصغير، أما العبيد في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وفي جوار ساداتهم أصحبوا ينهلون من هذه المدرسة الإسلامية المتكاملة، فيحتضهم ساداتهم المطهرون ليربوهم ثم يعتقوهم ليغدوا أحراراً في المجتمع، فتتجلى منهم الأخلاق الربانية المجيدة، لذا كان العبد يتعلم في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ما لم يتعلمه الأحرار عند غيرهم من الآداب والأخلاق الرفيعة، وهذا واضح من رد العبد على مولاه

---

(١) كشف الغمة، الإربلي: ٤٧٩/٢، وسيلة المآل لابن كثير الحضرمي: ٨٣، مقتل الخوارزمي: ١٣١/١، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٥٩، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): ٧٠، أعيان الشيعة: ٥٨٠/١، شرح إحقاق الحق: ١٧/١١، وينظر الرسائل الرجالية لأبي المعالي: ٣٧٨/٣.

فقد انبرى هذا العبد بمخزونه التربوي والأخلاقي وبصوت واثق من نيل العفو من سيده تالياً للقرآن الكريم بآيات من الذكر الحكيم التي تشع بالمضامين الأخلاقية الإسلامية الرفيعة، فنال عفوه وحريته ثم أكرمه وجاد عليه بالمال والحياة السعيدة ويمكن أن نسجل مجموعة من الفوائد التربوية والأخلاقية في الرواية الشريفة:

١ - كان عفوه عليه السلام مكافأة لهذا الغلام لأمرين:

الأول: استعان بالقرآن الكريم لمخاطبة سيده عليه السلام والذي نزل في بيوتهم القرآن.

الثاني: كان خطابه مؤدباً وعن ثقة مطلقة لأنه يخاطب سيد الأخلاق فلم يخيبه سيده عليه السلام بل صفح عنه فصار درساً في الصفح الجميل، قال تعالى ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[1] وهو العفو من غير عتاب كما فسره الإمام الرضا عليه السلام[2]، وهو كما قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: (أن لاتعاقب على ذنب)[3]، فنال الجائرة السنية فقدم له مولاه عليه السلام هديتين:

الأولى: العتق، الحرية، وما أثمنها لذلك الغلام.

الثانية: عطاء مضاف من المال يستعين بها على العيش الكريم، فلم يتركه الإمام عليه السلام يقتات على الآخرين بل جعله كريماً محصناً حتى لايفقد إنسانيته وكرامته.

---

(١) الحجر/ ٨٥.

(٢) عيون إخبار الرضا: ١/٢٩٤ ح٥٠، أمالي الصدوق: ١٣١.

(٣) تحف العقول: ٣٦٩، وسائل الشيعة: ٨/٥١٩ ح٧ عن علي بن الحسين (عليهما السلام).

٢-كان عفوه عليه السلام ليس مجرد إسقاط حق من قصاص بل كان درساً نبيلاً وإصلاحاً لذلك الغلام فقد حصل على الفرصة المناسبة ليصلح أخطاءه ويستفيد من رحمة الإمام عليه السلام وعفوه وحلمه.

٣-كان عفوه عليه السلام عن قدرة (فالعفو عند المقدرة)[1]، شكرها الله تعالى بالعفو عن عباده وإلا كان من حقه أن يعاقب لكنه عليه السلام اختار العفو بحلمه عنه ولطفه عليه.

٤-الرواية تؤكد أنّ عفوه لم يكن عن غضب وهذه سجيته دائماً، وسيرته دلت على ذلك بل كان يعطف على العبيد أن ينالهم مكروه بسببه، وخير شاهد على ذلك عندما أذن الإمام الحسين عليه السلام لجون مولى أبي ذر الغفاري[2] وقال عليه السلام له: (ياجون أنت في أذن مني فاتبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقتنا، فوقع جون رضي الله عنه على قدمي أبي عبد الله عليه السلام يقبلهما ويقول: يابن رسول الله أنا في الرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، إنّ ريحي لنتن وإنّ حسبي للئيم وإنّ لوني لأسود فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي

(١) قال الإمام علي عليه السلام: (أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة)، وسائل الشيعة: ٥١٩/٨ ح٩.

(٢) جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري (رض): عبد أسود من أهل النوبة، كان العباس بن عبد المطلب مولاه، فاشتراه الإمام علي (عليه السلام) منه ووهبه لأبي ذر الغفاري (رض) ليخدمه وبقي عنده حتى نفى عثمان بن عفان أبي ذر (رض) إلى الربذة، فلما توفي أبو ذر (رض) عاد جون إلى المدينة ولحق بأمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) وكان يخدم الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقد دعا له الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العاشر قائلاً: (اللهم طيب ريحه...) فكانت رائحته كالمسك، ظ: إبصار العين، السماوي: ١٧٦، أنصار الحسين (عليه السلام) شمس الدين، ٨٠، أعيان الشيعة: ٢٩٧/٤.

ويشرف حسبي ويبيض لوني لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم)[١]. فأذن له الإمام وحصل على السعادة الأبدية والذكر الخالد.

٥-الرواية تدعو إلى التسليم والانقياد والطاعة للقرآن الكريم والنهل من تعليماته القويمة فالنوع الإنسان مدعو بتطبيق الأخلاق القرآنية الكريمة فكان درساً قرآنياً في بناء الحياة الكريمة.

ثالثاً: الرفق بالناس والرد بإحسان والتواضع وعدم التكبر

١-قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

أخرج المجلسي والبحراني بإسنادهما عن الزبير بن بكر عن بعض أصحابه قال: قال رجل للحسين عليه السلام: إنَّ فيك كبراً، فقال عليه السلام: كل الكبر لله وحده ولايكون في غيره، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

تحليل النص: الرواية الشريفة تحمل درساً تربوياً وإرشادياً لبيان أسلوب

(١) الفتوح: ١٠٨/٥، الطبري: ٤٤٠/٥ وسماه حوي مولى أبي ذر الغفاري وذكر له رجزاً:

كيف ترى الفجار ضرب الأسود ... بالمشرفي القاطع المهند

بالسيف صلنا عن بني محمد ... أذب عنه باللسان واليد

أرجو بذلك الفوز يوم المورد ... من الإله الواحد الموحد ... إذ لاشفيع عنده كأحمد

وينظر: مقتل الخوارزمي: ٢٣٧/١، ١٩/٢، اللهوف: ٤٧، مثير الأحزان: ٦٣ العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): البحراني: ١٣٧، بحار الأنوار: ٧١/٤٥.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٨٨/٧٥، عوالم الإمام الحسين عليه السلام، ١٨٩.

التعامل مع المتزمتين والمتعصبين وتصور أن رجلاً يقول لك ذلك ويصفك بالمتكبر، وهي إهانة للمبادئ الأخلاقية بم تجيبه؟ هل تصفعه على وجهه أو تجبهه بكلام جارح يكون أثره كالسكين الحادة في قلبه؟ لكن الأخلاق الحسينية أعطت درساً أخلاقياً يذكر في كل زمان، وتربوياً في كل مكان، فإذا أردت التخلق بأخلاق الإسلام فلندقق في المنهج التربوي للإمام الحسين عليه السلام في آثاره حول كيفية التعامل مع هؤلاء السذج فكثيراً منهم قد اهتدى إلى الحق لما رأوا الأخلاق الكريمة والأدب الرفيع في الطرف الآخر وأُثر عنه عليه السلام أنّه قال: (من رزقه الله صدق اللهجة وحسن الخلق وعفاف فرج وبطن خصّه الله تعالى بخيري الدنيا والآخرة)[1]، وأُثر عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: (من أحجم عن الرأي وعييت به الحيل كان الرفق مفتاحه)[2].

إنَّ الحسين عليه السلام بريء من هذه الصفة الذميمة للإنسان المسلم البسيط فكيف بمن رُبي في مهبط الوحي والملائكة تناغيه في مهده، كذلك إن الحكيم الخبير ينهى أن يكون الإنسان المؤمن ذليلاً لأن الذلة ليست من صفات المؤمنين، فالمؤمن يجب أن يكون عزيزاً منيعاً لذا جمع جل شأنه صفة العزة وجعل المؤمن شريكاً لله تعالى ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، فحاشا إمام الأحرار أن يكون متكبراً، إنَّهُ العزيز الذي أبى الذلة ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[4]،

---

(١) ظ. موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) الشريفي/ ٨٩٣ ومصدر الحديث الشريف.

(٢) أعلام الدين، الديلمي، ٢٩٨، بحار الأنوار: ١٢٨/٧٩ ح١١.

(٣) المنافقين/ ٨.

(٤) تكملة الآية السابقة، المنافقين/ ٨.

وخير التواضع ماكان عن عزة وترفع، أُثر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (أفضل الناس من تواضع عن رفعة)[١]، وأُثر عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: (التواضع مع الرفعة كالعفو مع المقدرة)[٢]، فالتكبر على الكافرين عزة ومنعة والتواضع إنما يكون مع المؤمنين ونجد ذلك في محكم كتابه الحكيم في وصف من يحب الله تعالى إذ قال عز من قال {فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}[٣] وهما صفتان تعربان عن العدل والاعتدال، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (طوبى لمن تواضع لله في غير منقصة وأذل نفسه في غير مسكنة)[٤].

ولنعرف معنى الكبر كما فسره الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إذ روى الطبراني والهيثمي بإسنادهما عن عمارة بن غزية عن فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) عن أبيها الحسين عليه السلام حيث قال: إن عبد الله بن عمرو جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا رسول الله أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة[٥]، قال: لا، قال: فمن الكبر أن أركب الناقة النجيبة[٦]؟ قال: لا، قال: أفمن الكبر أن أصنع طعاماً فأدعو قوماً يأكلون عندي ويمشون خلف عقبي؟ قال: لا، قال: فما الكبر؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: أن تسفه الحق

---

(١) أعلام الدين، الديلمي: ٣٣٧ بحار الأنوار: ١٧٩/٧٧، أعيان الشيعة: ١٦٧/٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ٥٨، ميزان الحكمة، الريشهري: ٣٥٥٦/٤ وينظر أحاديث أخرى.

(٣) المائدة/ ٥٤.

(٤) أعلام الدين، الديلمي: ٢٠٤، بحار الأنوار: ٩٠/٧٤، أعيان الشيعة: ٢٣٥/٤.

(٥) مجمع الزوائد: الحلتان المستنتان.

(٦) مجمع الزوائد: زيادة كلمة الفارهة.

وتغمص الناس[١].

إذن معنى التكبر -حسب ما أُثر في هذه الرواية -هو تسفيه الحق أي تصغيره وإذلاله وهو شأن الجبابرة والطواغيت في الأرض، كذلك من التكبر أن تغمص حقوق الناس، أي تغصبها وتسرقها بطريقة وأخرى فلا يعبأ الحلال والحرام إنما يكون همه أكل حقوق الناس وأموالهم وغصبها وهو شأن المحتالين والسراق، وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ﴾[٢]، قال عليه السلام: (أفتدرون الاستكبار ما هو؟ هو ترك الطاعة إن أمروا بطاعته والترفع على من ندبوا إلى متابعته والقرآن ينطق من هذا عن كثير إن تدبره متدبر)[٣] فعد عليه السلام من التكبر عدم طاعة الله عز وجل وطاعة من أقر طاعتهم الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم أجمعين) لذا يكون مصير هؤلاء المتكبرين هو النار مع من تبعهم في كل زمان ومكان والسبب لكونهم ترفعوا عن طاعة الرحمن واستكبروا وعاندوا الحق فسفَّه عقولهم وحجر على تفكيرهم بسبب نقصان عقولهم لكونهم متكبرين على الحق أُثر عن الباقر عليه السلام: (ما دخل قلب

---

(١) المعجم الكبير: ٣/١٣٢ ح٢٨٩٨، مجمع الزوائد: ٥/١٣٣، وفي رواية عن أبي ذر (رض) قال رجل: يارسول الله إني ليعجبني الجمال حتى وددت أنّ علاقة سوطي وقبال نعلي حسن، فهل ترهب ذلك عليَّ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم كيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفاً بالحق مطمئناً إليه، قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك بالكبر ولكن الكبر أن تترك الحق وتتجاوزه إلى غيره. أعلام الدين، الديلمي: ٢٠٣.

(٢) غافر/٤٧.

(٣) مصباح المتهجد الطوسي: ٧٥٦ بحار الأنوار: ٩٤/١١٦، نور الثقلين: ٤/٥٧٦.

رجل شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك) [١].

وعندما ندقق في السيرة الحسينية نجد التواضع كان من سماته الواضحة نعم لايجالس المستكبرين والطواغيت وأصحاب القلوب الميتة، لكنه كان يحب الضعفاء والمساكين والفقراء ويواسيهم ويحادثهم وكان تواضعه خالصاً لوجه الله تعالى لايبتغي إلا مرضاة الله تعالى، حدث الصولي عن الإمام الصادق عليه السلام في خبر أنّه جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أخيه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه كلام فكتب محمد ابن الحنفية رضي الله عنه إلى أخيه الحسين عليه السلام (أما بعد يا أخ! فإنّ أبي وأباك علي عليه السلام لاتفضلني ولا أفضلك وأمك فاطمة بنت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان ملء الأرض ذهباً ملك أمي ما وفت أمك، فاذا قرأت كتابي هذا فصر إلي حتى ترضاني فإنّك أحق بالفضل مني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ففعل الحسين عليه السلام فلم يجر بعد ذلك بينهما شيء) [٢]، فالإمام الحسين عليه السلام هو الأشرف والأفضل باعتراف أخيه وطلب أخيه أن يسبقه بالفضل، فاستجاب عليه السلام لهذا الطلب وهو التواضع في أعلى درجاته وهو في طاعة الله عز وجل.

عند تحليل رواية البحث تجد هناك مجموعة من الفوائد الأخلاقية والتربوية نذكر منها:

١-كان تواضعه عليه السلام عن عزة وكرامة وكمال، لا عن ذلة أو طمع في حطام أو ملك حاشاه عن ذلك (إن التواضع الممدوح هو المتسم بالقصد والاعتدال لا إفراط ولا تفريط، فالإسراف في التواضع داع إلى الخسة

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٤٦/٦.

(٢) المناقب: ١٦/٤.

والمهانة، والتفريط باعث على الكبر والأنانية وعلى العاقل أن يختار النهج الوسط بإعطاء كل فرد ما يستحقه من الحفاوة والتقدير حسب منزلته ومؤهلاته، لذلك لايحسن التواضع للأنانيين أو المتكبرين المتعالين على الناس بزهوهم وصلفهم وعنادهم، إن التواضع والحالة هذه مدعاة للذل والهوان وتشجيع على الكبر والأنانية)[١]، لذا لاتجد في سيرته عليه السلام أنّه تواضع للمتجبرين المستكبرين الذين يسفهون الحقوق ويغمصونها بل ترفع عنهم، وجالس المساكين والمعوزين مهما كانت حالتهم فلا استكبار على النوع الإنساني المسلم.

٢-إنّ أقوى رد على المسيء هو الرد بالإحسان إليه حتى تجعله يفكر ملياً ولكي تحرك شعوره الباطني ليقع إمام النفس اللوامة والضمير المحاسب.

٣-قد يشتبه الإنسان في صورة ما، وقد يكون نقده ثقيلاً عليك، ولكن لاتعنف صاحبه فينفر منك، بل يجب عليك أن تدعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وحتى يشاع الحق بين عموم النوع الإنساني، نرفق بهؤلاء المساكين المخدوعين المغرر بهم، ولتكون الموعظة بالغة تأخذ طريقها إلى القلب، لأن ما يخرج من القلب يدخل إلى القلب، وهناك معان أخرى[٢].

٢-قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٣]

(١) أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) السيد مهدي الصدر، ٥٠، وينظر الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي: ٢٧٥.

(٢) ظ. لمزيد من التوسع: أخلاق الحسين (عليه السلام) عبد العظيم البحراني: ١٥٠، الأخلاق الحسينية،البياتي: ٢٧٥.

(٣) النحل/ ٢٣.

روى العياشي والشيخ نصر بن محمد السمرقندي الحنفي والخوارزمي، بأسانيد مختلفة مرّ الحسين بن علي عليهما السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم فألقوا عليه كسراً، فقالوا: هلم يابن رسول الله فثني وركه[١]، فأكل معهم وقال (إنَّ الله لايحب المستكبرين) [٢] ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني؟ قالوا: نعم يابن رسول الله وتعمى عين! فقاموا معه حتى أتوا منزله فقال للرباب[٣]: أخرجي ما كانت تدخرين) [٤].

تحليل النص: الراوية الشريفة تدل على التواضع وماهيته ولمن يكون التواضع، عند تحليلها تجد معاني شافية شريفة نذكر منها:

١-حكت الرواية تواضع الحسين عليه السلام إذ كان راكباً فنزل واستجاب لمساكين فقراء مغمورين بين الناس ومن لايعرف الحسين عليه السلام وهو ابن الشرف الأسمى، أخرج ابن تيمية (فقيه الحنابلة) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أشار إلى الحسين عليه السلام: (هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة) [٥].

(١) وركه: الورك مافوق الفخذ كالكتف فوقه العضد ظ: الصحاح في اللغة: ٢٧٥/٢ مادة ورك.

(٢) نص الآية {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} النحل/٢٣ وهذا النص للعياشي والخوارزمي أما الحنفي فنصه فنزل وقال: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}، لذا يكون كلامه (عليه السلام) معنى للآية.

(٣) الرباب: إحدى زوجاته (عليه السلام) وقتل ابنها عبد الله الرضيع يوم عاشوراء قتله حرملة ابن كاهل الأسدي بسهمٍ وقد ذبحه من الوريد إلى الوريد، ظ: رجال الطوسي: ٣٣.

(٤) تفسير العياشي: ٢٧٨/٢ ح١٥ بسند عن مسعدة بن صدقة، وهو من رواة الإمام الصادق عليه السلام ربما تكون الرواية مروية عن الإمام الصادق عليه السلام ورواها عن جدّه الحسين عليه السلام فأصابها تصحيف أو غير ذلك والله أعلم، تنبيه الخواطر: ٦٦ عن سفيان بن مسعر: بلغني عن الحسين وفيه أيضاً: قال لجاريته، مقتل الخوارزمي: ١٥٥/١.

(٥) منهاج السنة: ٢١٠/٤.

٢-حكت الرواية عن كيفية التعامل مع الفقراء والمساكين والإحسان إليهم فقبل دعوتهم واستجاب لهم وهذا درس لإعزاز المساكين وإكرامهم والمحافظة على عزتهم فباستجابته عليه السلام لهم رفع الحرج عنهم والتمس لهم العذر فاستجابوا له دعوته فشجعهم على قبول عطائه حيث قبل عطاءهم، وهذه خصلة السخي الكريم، قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (السخي يأكل من طعام الناس ليأكل الناس من طعامه والبخيل لايأكل من طعام الناس لئلا يأكلون طعامه) [1]، فأعان عليه السلام هؤلاء المساكين على الكرم وهو القائل عليه السلام: (من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم) [2]، فالسخاء ليس في الإعطاء فحسب بل من السخاء بان يمد يده إلى طعام يدعى إليه ولو كان صاحب الدعوة مسكيناً فقيراً.

٣-كافأهم بأن أعطاهم ما كان يدخره لأهل بيته وبذل لهم ما جمعه عند عياله لأنه من أهل المعروف والتواضع والكرم، وهو القائل عليه السلام (مالك إن لم يكن لك كنت له فلا تبق عليه، فإنّه لايبقي عليك وكله قبل أن يأكلك) [3]، ليس عجيباً أن يصدر ذلك من رجل ورث أكرم الخلق، إنما العجيب حقاً أن يبخل على هذا الكريم بقطرة ماء بعد أن أجهده القتال إمام الآلاف من جيش الضلالة وقد قال له الشمر: (لاتذوقه حتى ترد النار) وناداه رجل: ياحسين (ألا ترى الفرات كأنّه بطون الحيات!

---

(١) الكافي: ٤/٢١ ح١٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٠، تنبيه الخواطر، الحلواني: ٨٤.

(٣) تنبيه الخواطر: ٨٥، بحار الأنوار: ٦٨/٣٥٧ ح٢١ رواه عن الدرة الباهرة: ٢٤.

فلا تشرب منه حتى تموت عطشاً)[١] إنَّ من هوان الدنيا على الله عز وجل إذ يشتد العطش بالكريم فيحول بينه وبين الماء لئيم... وقد بقي عليه السلام على هذا التواضع حتى في لحظاته الأخيرة وفي ساعة استشهاد أحد أصحابه وهو أسلم[٢] الغلام التركي مشى إليه الحسين عليه السلام بنفسه الشريفة فاعتنقه وأعتقه وكان به رمق، فتبسم أسلم وافتخر بذلك وقيل إنّه قال (من مثلي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع خده على خدي؟ ثم فاضت نفسه الطاهرة)[٣]، وهذا هو التواضع الذي يريده الله عز وجل أن يكون بين النوع الإنساني.

رابعاً: تحية الإسلام (السلام)

قال تعالى: { وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها }[٤].

روى أنس بن مالك أنَّهُ كان عنده -أي الإمام الحسين عليه السلام- فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها فقال عليه السلام لها: (أنت حرة لوجه الله تعالى، فسأله أنس متعجباً: جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟! قال عليه السلام: كذا أدبنا الله تعالى قال تبارك وتعالى { وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا

---

(١) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٧.

(٢) أسلم: غلام تركي من موالي الحسين (عليه السلام) قارئاً للقرآن عارفاً بالعربية، وقد وضع الحسين (عليه السلام) خده الشريف على خد الغلام حين صرع لذا افتخر الغلام، وذكر له غلام آخر اسمه واضح، وقد تكررت هذه الصورة معه. ظ. المصادر السابقة نفسها والصفحات.

(٣) ذخيرة الدارين: ٣٦٦، إبصار العين، السماوي: ٨٥ مقتل الخوارزمي: ٢/٢٤.

(٤) النساء/ ٨٦.

بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا }[١] وكان أحسن منها عتقها[٢].

تحليل النص الشريف: إن الإسلام دين الإنسانية وتحيته فيها السلام والسلام يوحي الاطمئنان ويزرع الطمأنينة في النفس الإنسانية وقد حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إفشاء السلام[٣] لما له من أثر روحي على النفس الإنسانية والتي جبلت على حب السلام، قيل إن الإمام الحسين عليه السلام كان يأنف للزهر والريحان لما تحمله من صفات أودعها خالقها فيها، والحسين عليه السلام رجل الكرم والتكريم وصاحب العطاء والمكافأة وقد أبت نفسه الزكية أن يكافئ هذه الجارية المؤدبة إلا بالعتق، وأين العتق من طاقة ريحان؟ ومن هنا ندرك تعلق النوع الإنساني بأهل البيت (عليهم السلام) عموماً وبالحسين عليه السلام خصوصاً، لأن الأخلاق الإلهية المرضية تجلت في شخوصهم الكريمة بأبهى صورها الخلابة وأعظم حالاتها بل أحمدها، فبانت منهم بأطيب معانيها وأدق تعبيراتها ولأن الأخلاق إحسان للآخرين وبيان للحق والخير والفضيلة والنفس مجبولة على حب ذلك وبغض خلافه، قال مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (طبعت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها)[٤]، ومن أنفع للخلق من النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) وهم الدعاة إلى الله

---

(١) النساء/ ٨٦.

(٢) كشف الغمة، الإربلي: ٢/٢٤٣، الفصول المهمة، ابن الصباغ: ١٧٧، المناقب: ٤/١٨، العوالم: ١٧/٦٤ ح٣.

(٣) ظ. حلية الأولياء، المجلسي: ٥٣٩ إفشاء السلام وآدابه أحاديث شريفة.

(٤) من لايحضره الفقيه، الصدوق: ٤/٣٠١ ح٩١٣.

والأدلاء على مرضاة الله كان الحسين عليه السلام داعية الناس إلى الإسلام والسلام بالمنهج الإسلامي القرآني كذلك أدخل السرور على قلب هذه الجارية باعتقاها فنالت حريتها من رجل الحرية والسلام، لذا تجد أبي الضيم عليه السلام يعطي دروساً تربوية في السلام متعددة الأهداف سامية المعاني.

١-يقول عليه السلام في صفات البخيل: (البخيل من بخل بالسلام)[١]، لأن من بخل بإطلاق لفظ السلام هو أبخل البخلاء.

٢-ولأن إفشاء السلام له أثر معنوي إضافة إلى أجره الأخروي يقول عليه السلام: (للسلام سبعون حسنة تسع وستون للمبتدأ وواحدة للراد)[٢]، وهذا حث على إفشاء السلام والسابق في إفشائه فجعل ثواب المبتدأ أعظم من الراد لأنه صاحب الفضل والسبق ولأن السلام إحسان بكل معانيه لذا يقول عليه السلام: (ومن أَحسَنَ أُحسِنَ إليه والله يحب المحسنين)[٣].

٣-روي أنَّهُ قال له رجل إبتداءً كيف أنت عافاك الله؟ فقال عليه السلام له: (السلام قبل الكلام عافاك الله؟ ثم قال عليه السلام لاتأذنوا لأحد حتى يسلم)[٤]، وهذا إرشاد للناس وتوجيه للتخلق بأخلاق الإسلام التي أمر الله بها في كتابه العزيز فقال تعالى {تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ}[٥]، وقال تعالى {فَسَلِّمُوا

(١) تحف العقول: ١٧٤، بحار الأنوار: ٧٨/١١٧ ح٦، مستدرك الوسائل، الشيخ النوري: ١٨/٣٥٨ ح٩٦٥٩.

(٢) تحف العقول: ١٧٤، بحار الأنوار: ٧٨/١١٧ ح٦، مستدرك الوسائل: ٨/٣٥٨ ح٩٦٥٩.

(٣) من خطبة للإمام الحسين (عليه السلام) كشف الغمة: ٢/٢٩، الفصول المهمة ابن الصباغ: ١٦٩ أعلام الدين، ٢٩٨، بحار الأنوار: ٧٨/١٢١ ح٤، أعيان الشيعة: ١/٦٢.

(٤) الجعفريات: ٢٨٨ ح١٢٠٠.

(٥) يونس/ ١٠، إبراهيم: ٢٣.

عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً } [١] وقال تعالى { يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً } [٢] وقال تعالى { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ } [٣] إلى غيره من الآيات الكريمة التي تذكر فيها تحية الإسلام (السلام) لأنه دلالة على الاطمئنان، والأمان بين النوع الإنساني، روى الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال (إن الإسلام هو التسليم) [٤] أي أن يسلم الإنسان من الأمراض النفسية كالكبر ونخوة الجاهلية ولعل وجه تسمية المسلم بالمسلم لسلامته عن تلك العاهات التي تخل بالمعتقد الإسلامي ولعل من تدبر الآيات القرآنية التي تتحدث عن السلام يجد أن اسم الله جل جلاله (السلام) قال تعالى: { الْقُدُّوسُ السَّلامُ } [٥].

٤-وقد يسأل أحد ما، هل يجوز السلام على العاصي؟ في خبر عن الإمام الحسين يرويه عن مولى المسلمين الإمام علي عليه السلام للإجابة على هذا السؤال، قال عليه السلام (إنّ ابن الكوا[٦] سأل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نسلم على مذنب هذه الأمة؟ فقال عليه السلام يراه الله عز وجل للتوحيد أهلاً، ولا نراه للسلام عليه أهلاً)[٧]، لأن إشاعة السلام حياة

---

(١) النور/ ٦١.

(٢) الفرقان/ ٧٥.

(٣) الأحزاب/ ٤٤.

(٤) الكافي: ٢/٤.

(٥) الحشر/٢٣، ظ: التوحيد، السيد الحيدري: ٢/٣٦١، مبحث الأسماء الحسنى.

(٦) عبد الله بن الكوا، خارجي ملعون، رجال الطوسي، ٧٥، لسان الميزان: ٣/٢٨٤، وينظر: اللباب في تهذيب الأنساب: ٣/١١٢.

(٧) الجعفريات: ٢٣٤، مستدرك الوسائل: ٨/٣٥٩ ح٩٦٦٣.

للإنسانية ولعل وجه تسمية (السلام) بالتحية هو من باب إحياء الإنسان إحياءً لقلبه ولفكره ولأحاسيسه ولذا نهى الباري عز وجل أن يقال للإنسان الذي يسلم ويدخل في الإسلام ويشيع السلام بأنه ليس من المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[١]، لأن السلام اسم لله جل جلاله، والسلام أمان وتحية أهل الجنة السلام كما هو مذكور في محكم كتابه ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[٢] فكان الحسين عليه السلام داعية الناس إلى الإسلام والسلام بالمنهج الإسلامي القرآني ذلك يدخل السرور على قلوب المؤمنين بشتى أجناسهم وألوانهم وهي غاية رجل الحرية والسلام، روي عن الحسين عليه السلام أنّه قال: (صحّ عندي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلوب المؤمنين بما لا إثم فيه، فأنّي رأيت غلاماً يواكل كلباً فقلت له في ذلك، فقال يابن رسول الله إني مغموم أطلب سروراً بسروره لأن صاحبي يهودي أريد أفارقه، فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له، فقال اليهودي: الغلام فداء لخطاك وهذا البستان له، ورددت عليك المال، فقال عليه السلام وأنا قد وهبت لك المال، قال اليهودي: قبلت المال ووهبته للغلام، فقال الحسين عليه السلام أعتقت الغلام ووهبته له جميعاً فقالت امرأته قد أسلمت ووهبت زوجي مهري، فقال اليهودي وأنا أيضاً أسلمت وأعطيتها هذه الدار)[٣].

---

(١) النساء/ ٩٤.

(٢) يونس/ ١٠، إبراهيم/ ٢٣.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ٣/٢٢٩، البحار: ٤٤/١٩٤، الإمام الحسين (عليه السلام) الشيخ البحراني: ٦٥.

لقد كانت أخلاق الإمام الحسين عليه السلام شفقة على الأمة ورأفة بالمؤمنين ورحمة للناس وحرصاً عليهم كي يسلكوا درب الهداية والسلام والخير والفضيلة ويتجنبوا خطوات الشيطان التي تؤدي إلى الضلال والانحراف وعدم السلام فكان عليه السلام يهتم بالمسلمين ليوفقوا إلى نيل السعادتين الدنيوية والأخروية ويفوزوا بهما لاسيما وقد خلصت نيته عليه السلام لله وخلت من كل شائبة وخاطرة تبتعد عن مرضاة الله وقد ورث الأخلاق القدسية من الجوهرة الربانية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مما لاينازع أحد أهل البيت (عليهم السلام) فيه فهم موضع الرسالة ومهبط الوحي عن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين بن علي عليه السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء فدخل عليه وسلم عليه فقال له الحسين عليه السلام من أي البلدان أنت؟ فقال: من أهل الكوفة! فقال عليه السلام ياأخا أهل الكوفة! أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرائيل من دارنا، ونزوله على جدي بالوحي، ياأخا أهل الكوفة! مستقى العلم من عندنا أفعلموا وجهلنا هذا مالا يكون؟![1].

(١) بصائر الدرجات، الصفار: ٤.

المبحث الثاني: التربية والتعليم

أولاً: الإرشاد التربوي

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إلى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَيْنِ﴾[1].

روي أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) رأيا رجلاً لايحسن الوضوء، فأرادا أن يعلماه الوضوء الصحيح دون أن يشعر ودون جرح كرامته وعدم جعله في موقف حرج لذا فكر الحسنان (عليهما السلام) في تنبيه هذا الأعرابي إلى الخلل في وضوئه، فقالا (عليهما السلام): (نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا، فنتوضأ ونصلي عندك، فإن كان عندنا قصور تعلمنا[2]، فلما أكملا وضوءهما تنبه الشيخ إلى غلطه دون أن يأنف من تنبيههما إليه وفي رواية أنّه قال: (وضوءكما أحسن من وضوئي)[3].

تحليل النص: اتبع الأئمة الهداة (عليهم السلام) مناهج متعددة لإرشاد

(١) المائدة/ ٦.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٣/٤٠٠، العوالم للبحراني: ١٦/١٠٠.

(٣) المصادر نفسها والصفحات.

الناس وهدايتهم إلى دين الحق وأحكامه وكذلك تبليغ الناس الدعوة الإسلامية بأيسر الطرق وأسهلها حتى يهتدي من لم يصل إليه نبع الحق ومهما حاول المعادون للإسلام تشويه الحقائق في سبيل إضلال الناس لكنه سرعان ما يبين بطلان زيفهم وخداعهم لأن المناهج التربوية التي نهجها أهل البيت (عليهم السلام) مناهج ربانية تصل إلى القلب مباشرة وتنير للسالكين دروب الظلام، ومنهجهم امتداد للمنهج القرآني التربوي، وكذلك المنهج النبوي الشريف، فمنهجهم من نبع واحد، لذا يقول مولى المتقين الإمام علي عليه السلام وهو يخاطب سلمان المحمدي وجندب (رضوان الله عليهم) وهو يقول: (يا سلمان ويا جندب أنا محمد ومحمد أنا وأنا من محمد ومحمد منيّ... أنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي (عليهم السلام) يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنا كلنا واحد أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد فلا تفرقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا، وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز وجل ومشيئته فينا)(١)، ومن ثم فإنّ المنهج القرآني الرباني والمنهج النبوي الشريف ومنهج بيت العصمة والطهارة منهج واحد، بل وحدة متكاملة يكمل بعضها البعض الآخر، مصدرها الوحي الإلهي ومنبعها الشرع الرباني الذي: {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(٢)، وقد وصف الشارع المقدس النبي الأكرم والمعلم

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/٧ باب معرفتهم، ح١، مشارق الأنوار، المجلسي: ١٦٠، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار والد البهائي العاملي: ٤.

(٢) فصلت: ٤٢.

المرشد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه: { وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى }[١]. ويلحظ في هذا الأدب التربوي الذي لم يأنف منه الشيخ الكبير مع كون الواعظين صغيري السن (عليهما السلام) ولكنهما من بيت النبوة ومهبط الوحي، فكان فيضهما على هذا الشيخ المسكين فيضاً ربانياً يحمل في طياته العبق النبوي المطهر، لذا تحمل هذه الرواية كثيراً من الأبعاد التربوية في إرشاد الناس بمنهج يحمل في طياته الآداب الرفيعة التي أرشدت إليها الرواية، قال الإمام الصادق عليه السلام (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإنّ ذلك داعية)[٢]، أي كونوا دعاة مربين بسلوككم وأخلاقكم حتى يقتدي ويهتدي الناس بكم. ولنتأمل في هذا الدرس التربوي الإرشادي غير المباشر في كيفية تعليم الوضوء الذي هو شرط في صحة صلاة المسلم لذا يجب على المسلم أن يتقن وضوءه لكي تصح صلاته، لقد كان الإمام الحسين عليه السلام في سيرته يبني مجتمعاً إسلامياً قائماً على أساس الدين والخلق الرفيع فكانت النفوس الطيبة تنجذب إليه من كل صوب واختلاف أجناسها حتى حار أعداء الحسين عليه السلام الذين هم أعداء الإسلام في كيفية التعامل معه ولايجدون فيه أي خلل أو نقص، فحاول أحدهم أن ينتقص من الحسين عليه السلام فقال معاوية إنّه: (لايجد مايقوله في الحسين عليه السلام)[٣].

ولاغرو في ذلك لأن الحسين عليه السلام من بيت قد طهرهم الله من

---

(١) النجم/ ٤.

(٢) الكافي: ٢/١٤ باب العفة ح١٤ عن أبي يعفور، وسائل الشيعة١/٧٦ ح١٧١: ٦٧/ ٣٠٣ ح١٣.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري: ٣/١٥٤-١٥٥.

كل نقص أو عيب ووقاه الله من كل سوء، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً..﴾[(١)].

ولاغرو أن نرى الحسين عليه السلام يهدي الناس ويرشدهم إلى معرفة أحكام الشريعة الإسلامية وفي رواية أخرى تحمل في طياتها الدرس الأخلاقي والعقائدي معاً: قال أبو رافع: (كنت ألاعب الحسين عليه السلام وهو صبي بالمداحي[(٢)]، فإذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت: احملني فيقول عليه السلام أتركب ظهراً حمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأتركه فإذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت: لا أحملك كما لم تحملني! فيقول عليه السلام أما ترضى أن تحمل بدناً حمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فأحمله)[(٣)].

وهو كما وصفت الرواية: إنَّ الحسين عليه السلام صبي يلعب لكنه لعب بدعابة ولطافة وحجج بالغة فيضفي درساً أخلاقياً وإرشادياً للمجتمع الإسلامي على مر الأجيال، بل فكر عقائدي إنَّهُ الابن والسبط والرَّيحانة

(١) الإنسان /١١-١٢، وينظر سبب نزول سورة (الإنسان) من الآية: ٥-٢١ إنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وذكرت بعض الكتب أنّ جاريتهم (فضة) معهم، ظ: تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٧٠٠، تفسير السمرقندي: ٥٠٣/٣ تفسير الطبري: ٨٨/٢٤، تفسير الثعلبي: ٤٦١/١٣، شواهد التنزيل، الحسكاني: ٢٠/١، ٤١٠/٢٥، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٣٥٠/٢ المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٥٤٤/٢، كتاب التفسير، باب ٧٦ ح٣٨٨٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) المداحي لعبة الأحجار في الحفيرات، قال الجزري: دحا أي رمى وألقى ومنه حديث أبي رافع: كنت ألاعب الحسن والحسين (عليهما السلام) ظ: النهاية في غريب الحديث: ١٠٧/٢، لسان العرب: ٢٥٢/١٤ فصل الدال المهملة، وقد ذكر الحديث

(٣) مناقب ابن شهر اشوب: ٢٢٧/٣، بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٩٧، العوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٤٠ باب٥ ح٨، مستدرك الوسائل: ٨٣/١٤ ح١٦١٥٤.

الذي حمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ظهره إنه عليه السلام كبير حتى في صباه، ياترى هل تأسى المسلمون برسولهم وحملوا الحسين عليه السلام على ظهورهم وأودعوه حبهم؟ لكن التأسي كان معكوساً تماماً فقاموا بحمل الرأس الشريف على رؤوس رماحهم ثم داسوا جسده الطاهر بحوافر خيلهم، هل هؤلاء ومن يتبعهم يحملون ذرة من الإنسانية لا من الإسلامية؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

ثانياً: من طرق التعليم وآدابه

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[2].

أُثر عنه عليه السلام أنَّهُ قال لرجل: (أيهما أحب إليك: رجل يروم قتل مسكين قد ضعف تنقذه من يده؟ أو ناصب يريد إضلال مسكين مؤمن من ضعفاء شيعتنا تفتح عليه بما يتمتع المسكين به منه ويفحمه بحجج الله تعالى؟ فأجاب الإمام عليه السلام بنفسه على السؤال قائلاً: بل إنقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ أي ومن أحياها وأرشدها من كفر إلى إيمان فكأنما أحيا الناس جميعاً من قبل أن يقتلهم بسيوف الحديد)[3].

تحليل النص: أساليب التعليم ومناهجه متعددة وأكثرها نفعاً من يتلقاها بسهولة بأقل إدراك دون عسر وتكلف على المتعلم، ومن هذه المناهج والأساليب التعليمية أن تظهر للمتعلم فكرتين صحيحتين ومن ثم تطالبه

(١) الآية: الفرقان/٤٧ وينظر مقتل أبي مخنف: ٢٠٠، وقد ذكر ذلك جميع أرباب المقاتل والسير.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) ٣٤٨، بحار الأنوار: ٢/٩ ص١٧.

بأصوبهما وأرجحهما، وقد خط الإمام الحسين هذا المنهج التعليمي بمنهج أخلاقي متميز، يحق الوقوف عليه لاكتساب العبرة والمنهج معاً، إن المهم في المنهج التعليمي هو إيصال الفكرة إلى المتعلم، لذا فالطريقة التعليمية مسألة مهمة في إيصال العلوم وهداية البشر وقد سلك الأنبياء والرسل وأوصياؤهم (صلوات الله عليهم أجمعين) مناهج متعددة في سبيل الهداية واقتدى بهم العلماء والصالحون وفي هذه الرواية الشريفة التي رواها الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام عن جده الحسين عليه السلام وهو يطرح إشكالاً على المتعلم لاختيار الأصوب والأرجح فيقول عليه السلام بعبارة أخرى: أيهما أهم إنقاذ مسكين من القتل أم إنقاذ مؤمن مسلم من الإشكالات التي يثيرها المنحرفون والضالون والنفعيون الانتهازيون وهم النواصب الذين ينصبون العداء للمسلمين عموماً ولأهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً، والتي تسبب الفوضى في البلاد الإسلامية، فيجيب عليه السلام بنفسه حتى لايترك المتعلم حائراً ويهديه إلى اختيار الصواب وهو إنقاذ هذا المؤمن من أيدي المنحرفين ومن عقائدهم المبنية على البدع والضلالة هو الأرجح والأصوب لأن في إنقاذه إحياءً للآخرين من إخوانه وأخلائه وأقاربه وتأتي النتيجة بنشر التعاليم الحقة بين المسلمين وحفظهم من كل مايمزقهم ويثير بينهم الخلاف والإختلاف.

ثالثاً: في الكياسة والعمل بالشريعة الإسلامية: (لاطاعة المخلوق في معصية الخالق)

قال تعالى: { وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما }(١).

(١) لقمان/ ١٥.

أُثر أنَّهُ مَرَّ الحسين عليه السلام على حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص فسلَّمَ عليه السلام فَرَدَّ القوم السلام وسكت عبد الله حتى فرغوا ثم رفع صوته قائلاً: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم وقال: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء[١] فلينظر إلى هذا المجتاز، فما كَلَّمَني كلمةً منذ ليالي صفين، ولأن يرضى عني أحَبُّ إليَّ من أن يكون لي حمر النعم؟ فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى، وتواعدا أن يغدوا إليه، فلما أتياه استأذن أبو سعيد فأذن له، فدخل ثم استأذن لعبد الله فلم يزل حتى أذن له فلما دخل أبو سعيد أخبر الحسين عليه السلام بما جرى من قبل ذلك فقال الحسين عليه السلام أعلمت يا عبد الله أنّي أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال: أي ورب الكعبة. قال عليه السلام فما حملك على أن تقاتلني وأبي يوم صفين؟ فوالله لأبي كان خيراً مني! فاستعذر وقال: إنّ النبي قال لي: أطع أباك -وأبوه مهندس البيت الأموي عمرو بن العاص- فقال له الحسين عليه السلام أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما الطاعة في المعروف) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٢]، وزاد

---

(١) هذا الوصف مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطلقه على أمير المؤمنين وعلى الحسن والحسين (عليهم السلام) ورواه بحق الحسين (عليه السلام) الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه وبعدة مصادر ظ. العوالم الإمام الحسين (عليه السلام) للبحراني: ٣٦، سيرة أعلام النبلاء: ٣/٢٨٠، ٢٨٢ بسند آخر وينظر: لواعج الأشجان: ١١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٤/٧٣، نور الثقلين: ٤/٢٠٣، العوالم: ١٧/٣٥ ح١، بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٩٧ ح٥٩، أسد الغابة: ٣/٣٥١، مجمع الزوائد: ٩/١٨٦، تفسير كنز الدقائق، ←

المغربي: قال - أي عبد الله بن عمر بن العاص - بلى قد سمعت ذلك يابن رسول الله وكأنّي لم أسمعه إلا اليوم)[(١)].

تحليل النص: حث الباري عز وجل في محكم كتابه على إطاعة الوالدين والإحسان إليهما وبرّهما وقد رفع الباري عز وجل منزلة الوالدين بأن جعل شكر الوالدين بعد شكر الله عز وجل مقروناً به، قال تعالى ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[(٢)]، وهو دليل على عمق رعاية حقوق الأبوين في الشريعة الإسلامية وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: (لو علم الله شيئاً هو أدنى من أف لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما)[(٣)] لكن هذا الإحسان والرعاية مشروط بأن يكون عقيدته صحيحة، لذا فقد يتوهم البعض بأن يجعل من الإحسان إلى الوالدين حتى في شركهما وهذا مارفضه القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[(٤)] فقد أحكمت الآية الكريمة أن لاتكون علاقة الفرد المسلم مقدمة على علاقته العقائدية بالله تعالى وكذلك لاعواطف حاكمة على العقيدة الدينية[(٥)].

→ المشهداني: ٢٧/٨ مع اختلاف الألفاظ، وينظر أيضاً: ينابيع المودة: ٤٣/٢، سيرة أعلام النبلاء: ٢٨٦/٣، البداية والنهاية: ٢٧٦/٨، الإصابة، لإبن حجر: ٦٩/٢، نظم درر السمطين، الحنفي: ٢٠٢، المحدث الفاصل، الرامهرزي: ٣٤٨.

(١) شرح الأخبار القاضي النعمان المغربي: ١٤٦/١.

(٢) لقمان/ ١٤.

(٣) الكافي: ٣٤٨/٢ ح٧، وسائل الشيعة: ٥٠٢/١ ح٧، بحار الأنوار: ٦٤/٧٧ ح٢٨.

(٤) لقمان/١٥.

(٥) ظ. جامع السعادات: ٢٥٨/٢، تفسير الأمثل، الشيرازي: ٣٨/١٣، وينظر سبب نزول الآية ←

إنَّ الرواية الشريفة تبين رسوخ العلاقة بين العقيدة والأخلاق فالأخلاق هي المظهر الخارجي للجوهر الباطني، فلا تلون ولا انخداع تبعاً للمصلحة الذاتية أو الآنية، لكن عبد الله بن عمرو بن العاص شخصية مزدوجة عاشت النفاق بكل مافيه، فقد عاش في البيت الأموي الذي فرق المسلمين وهدر دماءهم وأشاع الفساد الفكري والعقائدي بين المسلمين فمن يكن هذا بعض صفاته ماذا يصنع في المجتمع وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: {وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً} [(١)] فالحية لاتلد إلا الحية وإن كان لين ملمسها لكنها مبطنة بالسم بل إن بعض الأفاعي كل جسدها سمٌ حتى وإن كانت رميماً، وقد حاول بادعائه التحايل على الأحكام الشرعية بأنّه كان يطيع أباه وأنه لم يضرب معهم بسيف أو يطعن برمح، لكنه لم يدرك حقيقة كنه الحسين عليه السلام المتصلة بالسماء فحار في رد الجواب ونكص وبهت كما بهت النمرود عند سماع الجواب من إبراهيم الخليل عليه السلام [(٢)] والسبب لأن منطق النفاق متهافت يسقط كما تتساقط أوراق الخريف، ومنطق أهل الحق القرآن والسنة المطهرة هما: أساس العمل في الشريعة الإسلامية، فإنّ العمل بهما معاً أولى من طاعة العاصين المنافقين.

أسباب النزول، الواحدي: ١/٢٣٣.

(١) الأعراف/ ٥٨.

(٢) قال تعالى وهو يصف تلك المحاجة بين إبراهيم (عليه السلام) والنمرود (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) البقرة/٢٥٨.

روى الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال: (كتب رجل إلى الحسين بن علي عليهما السلام: يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب عليه السلام إليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإنّه من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام)[1]، ويلحظ على الراوية الشريفة - رواية البحث- أمران مهمان:

الأمر الأول: الأخلاق النبوية التي أبداها الإمام الحسين عليه السلام مع أسلوب الكلام الدامغ التي فرضت هيبتها فجرَّ ذلك إلى اعتراف ذاك الشخص المعروف بفكره الأموي المعادي للإسلام إلى الاعتراف بالحق والإشادة به ولو كان نفاقاً.

الأمر الثاني: من الأخلاق والآداب الإسلامية، بل من التكاليف الشرعية الواجبة والتي تقع على كل مسلم ومن باب المسؤولية الجماعية أن تكشف - للناس- تزييف الحقائق وتعري سالكيه من قبح نفاقهم ودجلهم، إنه درس شرعي ولكن بعمل أخلاقي ينم عن سعة صدر وهمة عالية نحو نشر الحق بين الناس، قال الديلمي: وتذاكر العقل عند معاوية، فقال الحسين عليه السلام: (لا يكمل العقل إلا باتباع الحق، فقال معاوية: ما في صدركم إلا شيء واحد)[2]، نعم لم يكن في صدره عليه السلام إلا قول الحق ونشر الحق وهداية الناس إلى دين الحق.

---

(١) أمالي الصدوق: ١٦٧، الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٢٥، بحار الأنوار: ٣٧١/٧١ ح٣، ١٢٦/٧٨ ح٨.

(٢) أعلام الدين: ٢٩٨، تنبيه الخواطر: ١٨٣، بحار الأنوار: ١٢٧/٧٨، ح١١.

رابعاً: الإنفاق من الطيبات وعدم رد السائل

١- قال تعالى {لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }[(١)].

أخرج الحويزي عن الإمام الحسين عليه السلام: أنه كان يتصدق بالسكر، فقيل له في ذلك فقال (إني أحبه، وقد قال الله تعالى: {لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }[(٢)].

تحليل النص: إن الإنفاق قربة لله من الصفات الحميدة التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية، وقال تعالى في محكم كتابه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ}[(٣)]، في الآية الكريمة حثٌ على الإنفاق وكذلك وعد الهي للثواب العظيم الذي يرجوه ذلك المنفق، وفي المقابل ذم البخل لأنه من الصفات الذميمة والأخلاق الرذيلة، قال تعالى {لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ }[(٤)]، فالبخل منهي عنه كذلك التبذير منهي، فالاعتدال والوسطية هو المنهج الأخلاقي الإسلامي، والبر هو فعل الخير أو التوسع في فعل الخير[(٥)]، وبالتدقيق في الآية الكريمة تتجلى روعة التوجيه الأخلاقي للفرد المسلم نحو الإنفاق الطيب ومن مأثور الكلام (حب لأخيك

---

(١) آل عمران/ ٩٢.

(٢) تفسير نور الثقلين: ١/٣٦٣ ح٢٣٦، تفسير كنز الدقائق: ٢/١٥٥، وينظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) الشريفي: ٧٤٨.

(٣) البقرة/ ٢٦١.

(٤) الإسراء/ ٢٩.

(٥) ظ. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب: ٧٦، تفسير الكشاف: الزمخشري: ١/٢٩٦.

ما تحب لنفسك)[١]، حتى يعيش المجتمع الإسلامي كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وقد يكون الانصهار بين الغني والفقير، وتسود روح التعاون بينهم، عندئذ ينظر الغني إلى الفقير نظرة الأخ إلى أخيه بقلب رؤوف رحيم، وكذلك الفقير ينظر إليه بعين الإجلال الإكبار فيتحين الفرص كي يرد إليه الجميل والفعل الحسن.

لقد كان الإمام يجسد الشريعة الإسلامية في سيرته العملية لذا كان يسرع في فعل البر الذي هو الخير بل أوسعه، ولأن البر اسم من أسماء الله عز وجل، قال تعالى {إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}[٢]، كذلك ينسب إلى العبد تارة، فيقال بر العبد ربه، أي توسع في طاعته، فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة سواء كان في الاعتقاد أو في العمل[٣].

وقد أُثر عن الإمام الصادق عليه السلام حديثٌ يشبه الحديث السابق، فقيل له: (أتتصدق بالسكر؟ فقال عليه السلام نعم إنه ليس شيء أحب إلي منه فأنا أحب أن أتصدق بأحب الأشياء إلي)[٤]، فالإنسان المؤمن يجب أن تكون سيرته طبقاً لاعتقاده، لذا كان الإمام الحسين عليه السلام يدعو الناس إلى التخلق بأخلاق الكريم لأن البر (ما أطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب)[٥]

(١) ظ: الإنفاق: السيد عز الدين بحر العلوم: ١٥٣، وفي الحديث الشريف: (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) ظ. وسائل الشيعة: ١٢/٢٠٦

(٢) الطور: ٢٨.

(٣) ظ: مفردات الراغب: ٧٦، تفسير الميزان: ٣/١٧٣.

(٤) الكافي: ٤/٦١ ح٣، التهذيب: ٤/٣٣١ ح١٠٣٦، الحديث بإسنادين.

(٥) مسند أحمد: ٤/٢٢٨، سنن الدارمي: ٢/٣٢٢، مجمع الزوائد: ١/١٨٢، حديث شريف مروي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولأن البر من الأعمال الخيرة التي تدل على الإيثار، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(١)، وأُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة، قد كان العباد يكافؤون فيما بينهم بالمعروف، وأنا أكافيك اليوم الجنة)(٢)، لذا كان عليه السلام يؤثر على نفسه فيطعم الناس بأحب الأشياء إلى نفسه الشريفة بل كان يحافظ على الروح الإنسانية لدى الإنسان المسلم عن كرامة وعزة نفس.

قال الخوارزمي: سأل رجل الحسين عليه السلام حاجة فقال له: ياهذا سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله قليل، وما في ملكي وفاء بشكرك فإن قبلت بالميسور، دفعت عنّي مرارة الاحتيال لك والاهتمام بما أتكلف من واجب حقك)(٣). ثم أكرمه عليه السلام بالدراهم والكساء.

ومن صور إنفاقه الأخرى أَنَّهُ كان ينفق ويقضي الدين حتى لو كان بينه وبين الآخر خصومة واختلاف من باب { :ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }(٤)، أمثال أسامة بن زيد حيث إنه تخلف عن بيعة الإمام علي عليه السلام مع أمور أخرى، لكن صاحب الأخلاق

---

(١) الحشر/ ٩.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٣٤٢/٢ الحديث رواه الإمام علي (عليه السلام) بإسناد عن أبي الطفيل ومثله: نور الثقلين: ٣٦٤/١ ح٢٣٧.

(٣) مقتل الحسين (عليه السلام) ١٥٣/١، إحقاق الحق، التستري: ٤٤٣/١١.

(٤) فصلت/ ٣٥.

النبيلة والتي ورثها عن سيد الأخلاق صلى الله عليه وآله وسلم لم يمنعه من الإنفاق وقضاء ديون أسامة، فقد روى عمرو بن دينار، قال (دخل الحسين بن علي عليهما السلام على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: واغماه! فقال له الحسين عليه السلام وما غمك يا أخي؟ قال: ديني، وهو ستون ألف درهم، فقال الحسين عليه السلام لن تموت حتى أقضيها عنك، قال فقضاها قبل موته)[1]، وهذه الرواية درس أخلاقي وتربوي في التعامل والسلوك حتى مع الذين يسيؤون إلينا لكي، نكون إخوة متحابين لأن الدينار والدرهم فانيان، أما الأخوّة فهي رمز للإنسانية والإنفاق والجود والكرم رمز للأخلاق الحميدة والنبل العظيم، وهذا النبل لم يكن مقصوراً على أحد من المسلمين فقط بل كان ينفق على كل من يحمل الصفة الإسلامية أو الإنسانية، وهذا هو الخلق الإسلامي الذي يريده الله سبحانه وتعالى ويحثنا عليه أئمتنا وساداتنا سلام الله عليهم أجمعين.

٢-قال تعالى ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[2].

قيل يوماً للإمام الحسين عليه السلام لأي شيء نراك لاترد سائلاً وإن كنت على فاقة؟ فقال عليه السلام: إنّي لله سائلٌ وفيه راغب وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وإن الله تعالى عوّدني عادة أن يفيض نعمه عليَّ،

(١) المناقب: ٦٥/٤، بحار الأنوار: ١٨٩/٤٤ ح٢، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ٦٢ مستدرك الوسائل: ٤٣٦/١٣ ح١٥٨٣٣، وروى الكشي عن أبي مريم الأنصاري عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّ الحسن بن علي كَفَّنَ أسامة بن زيد في بدر أحمر، والصواب هو الإمام الحسين (عليه السلام) لأن الإمام الحسن (عليه السلام) توفي سنة ٤٩ أو٥٠هـ، وأسامة توفي سنة: ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩ هـ) فتعين أنّ المكفن هو الإمام الحسين عليه السلام: ظ. رجال الكشي: ٢٢، الاستيعاب: ٢٥/١، أسد الغابة: ٤٠/١.

(٢) الضحى/ ١٠.

وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة ثم أنشد يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً ... بمن فضله فرض عليَّ معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل ... وأفضل أيام الفتى حين يسأل[(١)]

الإمام الحسين عليه السلام تربى في مدرسة النبوة والرسالة، فحمل تلك الصفات النبيلة، ولم يرو عنه أنه عليه السلام رد سائلاً بل إنّه كان يحافظ على ماء وجه المسلم من الذل أو التذلل حفاظاً على كرامته، ولو أطرقت النظر إلى حاله ووصفه بين يدي خالقه لرأيت منه الإنسان المتذلل والخاشع لربه، وهو يتوسل إليه، قال التستري: (روي الحسين بن علي عليه السلام يطوف بالبيت، ثم صار إلى المقام فصلى، ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول: عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك)[(٢)].

وهكذا سار الإمام الحسين عليه السلام في عدم رد السائل أياً كان صفته، قال مولى له عليه السلام وقد أعطى سائلاً وأكرمه بكل ما لديه (والله مابقي عندنا درهم واحد؟ فقال عليه السلام: (لكني أرجو أن يكون بفعلي هذا أجرٌ عظيم)[(٣)]، وهذه السيرة والطريقة متوارثة عند أهل البيت (عليهم السلام) لذا نجد الإمام زين العابدين عليه السلام يقول إذا أتاه سائل قال له: (مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة)[(٤)] فهم سلام الله عليهم يفرحون بالوافد إليهم

---

(١) نور الأبصار، الشبلنجي: ١٧٧، شرح إحقاق الحق: ١١/١٥١.
(٢) إحقاق الحق: ١١/٤٢٣.
(٣) مقتل الخوارزمي: ١/١٥٣.
(٤) تذكرة الخواص: ٢/١٨٤.

يسألهم فيقضون دينه ويفرجون عن كربته، ولايبالون كم عندهم وكم يريد سائلهم فلا ينظرون إلى ما بقي عندهم بعد عطائهم، بل ينظرون إلى الفيض الرباني الذي أغدق عليهم نعمه لذا لا تجد مثيلاً لهم في صفة أخلاقية أو علمية بل أي صفة إنسانية، خلا جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هكذا كانت سيرتهم (عليهم السلام) يحملون أثقال الناس وفوادحهم وأياديهم معطاءة يعم غيثهم الآخرين، فالكرم سجيتهم أن أقبلت الدنيا عليهم أو أدبرت، إن كانوا في يسر، أو حل بهم عسر.

قال الحسن البصري: (كان الحسين بن علي عليهما السلام سيداً ورعاً صالحاً حسن الخلق..)[1]، وقد أُثر عنه عليه السلام في هذا الباب عدة راويات أنّه كان يقضي دين السائلين أو يدفع إليهم الديات وغيرها، وقد أُثر عنه عليه السلام وبعدة أسانيد: إنّ سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين بن علي عليهما السلام، فقرع الباب وأنشأ يقول:

لم يخب اليوم من رجاك ومن ... حرّك من خلف بابك الحلقة

أنت ذو الجود وأنت معدنه ... أبوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين بن علي عليهما السلام يصلي فخفف من صلاته وخرج إلى الأعرابي، فرأى عليه أثر ضر وفاقة، ثم أمر قنبر أن يعطيه مالاً وكان مائتي درهم، فرفعها عليه السلام إلى الأعرابي وأنشأ يقول:

خذها فإنّي إليك معتذر ... واعلم بأنّي عليك ذو شفقة

---

(١) مقتل الحسين (عليه السلام)، الخوارزمي: ١/١٥٣، مستدرك الوسائل: ٧/١٩٢ ح٨٠٠٦ إحقاق الحق: ١١/٤٤٦، وينظر المجالس السنية: ١/٢٦ مجلس ١٢.

لو كان في سيرنا الغداة عصا ... كانت سمانا عليك مندفقة

لكن ريب الزمان ذو نكد ... والكف منا قليلة النفقة

فأخذها الأعرابي وولّى وهو يقول:

مطهرون نقيات جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

وأنتم أنتم الأعلون عندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فماله في جميع الناس مفتخر[(١)]

وفي رواية أُخرى: فأخذها الإعرابي وبكى فقال عليه السلام له: (لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك)[(٢)].

ويبدو من الرواية أنَّ هذا الأعرابي يعرف أهل البيت (عليهم السلام) عموماً أو قد سمع بهم ويدل على ذلك وصفه بأنهم عندهم علم الكتاب والسور وغيرها من الأوصاف التي نص عليها القرآن الكريم فترجمها هذا

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام لابن عساكر: ١٦٠ ح٢٠٥ بسندين: الأول عن عبد الله بن عبد الله المديني عن أبيه عن جده وكان مولى للحسين عليه السلام الثاني: معنعناً عن الذيال بن حرملة، المناقب لابن شهر آشوب: ٤/٦٥، بحار الأنوار: ٤٤/١٨٩، ح٢، أعيان الشيعة: ١/٥٧٩ شرح إحقاق الحق: ١٩/٤٣١، مع اختلاف في الألفاظ.

(٢) المناقب: ٤/٦٥، بحار الأنوار: ٤٤/١٨٩ ح٢، مستدرك الوسائل ١٣/٤٣٦ ح١٥٨٣٣، العوالم: ١٧/٦٢، أعيان الشيعة: ١/٥٧٩ بإسناد آخر قال المجلسي: قوله عليه السلام عصا: كناية عن الإمارة والحكم، أي لو كان لنا في سيرنا في هذه الغداة ولاية أو حكم أو قوة لامست يد عطائنا عليك صابة، والسماء كناية عن يد الجود والعطاء والإندفاق: الإنصباب، وريب الزمان حوادثه، أي حوادث الزمان وتغييم الأمور.

قوله: كيف يأكل التراب جودك: أي كيف تموت وتبيت تحت التراب فتمحى ويذهب جودك وكرمك.

الأعرابي إلى أبيات شعرية لذا قصد بيت الإمام الحسين عليه السلام بينما يقصد الآخرون غيره، لذا كانت حبابة الوالبية رضي الله عنها[١] تفد إلى الإمام الحسين عليه السلام حين يفد الناس إلى معاوية، لمعرفتها بأهل البيت وتيقنها بمنهجهم وطريقتهم المثلى في تربية الناس وإرشادهم ذكر أبان بن تغلب أنّه قال الإمام الحسين عليه السلام (من أحبنا كان منّا أهل البيت (عليهم السلام) فقلت: منكم أهل البيت؟ فقال: منّا أهل البيت حتى قالها ثلاثاً. ثم قال عليه السلام أما سمعت قول العبد الصالح (فمن تبعني فإنه مني) [٢].

إنَّ الموالاة لأهل البيت (عليهم السلام) عموماً، وللحسين عليه السلام خصوصاً موالاتهم في أخلاقهم ومنهجهم وسلوكهم واتباع طريقتهم، فلا يكفي مجرد الحب في القلب ما لم يتبعه عمل يحبه المحبوب وهذا الأمر الذي دعا إليه أئمتنا والتدين بحق لامجرد حب أو لقلقة لسان، قال الباقر عليه السلام: (وهل الدين ألا الحب؟ إنَّ الله يقول ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي

---

(١) حبابة الوالبية (رض): من النساء الصالحات العابدات الزاهدات، قد يبس جلدها على بطنها من شدة العبادة، وكانت من المعمرات، علمها أمير المؤمنين بأسماء الأئمة المعصومين (عليهم السلام) فأعطاها حصا وختمها وجعل ختمها دليلاً على الإمامة وبعد استشهاده (عليه السلام) ختمها الحسن (عليه السلام) ثم الحسين (عليه السلام) وهكذا حتى الإمام الرضا (عليه السلام). ظ: معجم رجال الحديث: ٤٩/١١، ١١/ ٣٣٢، ١٣١/٢٤، قصصها مع الإمام الحسين (عليه السلام).

(٢) ظ: سبب نزول الآية (ومن عنده علم الكتاب) إبراهيم/ ٤٣، عن يزيد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: إيانا عنى وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكافي: ٢٣٠/١ ح٦، وسائل الشيعة: ١٨١/٢٧ ح١٥، شواهد التنزيل، الحسكاني: ٤٠٠/١ ح٤٢٢ عن أبي سعيد الخدري.

يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [١]، لذا كان عليه السلام يحث على إكرام الناس وقضاء حوائجهم لأنها من نعم الله تعالى، قال عليه السلام في خطبة له: (يا أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم واعلموا إنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحور نقماً، أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل وانّ أجود الناس من عفى عن قدرة وان أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو...) [٢].

ونختم بهذه الراوية الجليلة: روى الخوارزمي وأخرج التستري: أنَّ أعرابياً دخل على الحسين عليه السلام وقال: (سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا سألتم حاجة فاسألوها من أحد أربعة إما من عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو ذي وجه صبيح، فأما العرب فشرفت بجدك، وأما الكرم فبدأ بكم وسيرتكم، وأما القران ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصحيح فإنّي سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا أردتم أن تنظروا إليَّ فانظروا إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) [٣].

---

(١) تنبيه الخواطر الحلواني: ٨٥ ح١٩، والآية في إبراهيم: ٣٦.

(٢) كشف الغمة: ٢/٢٩، الفصول المهمة: ١٦٩، أعلام الدين، ٢٩٨ من قوله: اعلموا إن حوائج الناس، بحار الأنوار: ٧٨/١٢١ ح٤، أعيان الشيعة: ١/٦٢٠.

(٣) مقتل الخوارزمي: ١/١٥٦، إحقاق الحق: ١١/٤٤، ٤٤٣.

المبحث الثالث: تهذيب النفس

أولاً- جوامع الأخلاق

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ﴾ [1]. قال تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ [2].

روى الصدوق[3] وأخرج المجلسي[4] بإسنادهم عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي وإسماعيل بن أبي زياد (السكوني) عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام قال: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

(١) النساء/ ٦٩.

(٢) هود/ ١١٣.

(٣) الخصال: ٥٤٣ ح١٩.

(٤) بحار الأنوار: ٢/١٥٥ ح٧ وينظر: جامع أحاديث الشيعة، باب حجية أخبار الثقات: ١/٢٤٢.

عليه السلام وكان فيما أوصى به أن قال له: ياعلي من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع ﴿ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ (١) فقال علي عليه السلام يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أخبرني ماهذه الأحاديث؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم أن تؤمن بالله وحده لاشريك له وتعبده ولاتعبد غيره، وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ولاتؤخرها من غير علة غضب الله عز وجل وتؤدي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعاً وأن لاتعق والديك ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تأكل الربا ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة، ولا تزني ولا تلوط ولا تمشي بالنميمة ولا تحلف بالله كذباً ولا تسرق ولا تشهد شهادة الزور لأحد قريباً كان أو بعيداً، وأن تقبل الحق ممن جاء به صغيراً أو كان كبيراً وأن لاتركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً، وأن لاتعمل بالهوى، وأن لاتقذف المحصنة، وان لا ترائي فإنّ أيسر الرياء شرك بالله عز وجل وأن لاتقول لقصير ياقصير، ولا لطويل: ياطويل! تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر من أحد من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك وأن لاتأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لاتقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك فإنّ التائب من ذنوبه كمن لاذنب له، وان لاتصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئين بالله بآياته ورسله وأن تعلم إنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وان ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لاتطلب سخط الخالق برضى المخلوق، وأن لاتؤثر الدنيا على الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة

---

(١) النساء: ٦٩.

الباقية، وأن لاتبخل على إخوانك بما تقدر عليه، وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لاتكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، وأن لاتكذب ولاتخالط الكذابين، وأن لاتغضب إذا سمعت حقاً، وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة، وأن تعمل بما علمت، ولاتعاملن أحداً من خلق الله عز وجل إلا بالحق، وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد وأن لاتكون جباراً عنيداً وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت ومابعده من القيامة والجنة والنار وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه، وأن تستغنم البر والكرامة للمؤمنين والمؤمنات وأن تنظر إلى كل مالاترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين ولاتمل من فعل الخير وأن لاتثقل على أحد وأن لاتمن على أحد إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجناً حتى يجعل الله لك الجنة، فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني دخل الجنة برحمة الله وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والوصيين وحشره الله يوم القيامة ﴿مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن اولئك رفيقاً﴾[1].

تحليل النص: عندما يأتي الإنسان إلى الحياة الدنيا تتلقفه يدان: الأسرة والمجتمع، ويبدو أنّ الأسرة لها الدور الفعال في بناء الإنسان تكاملياً، فهي اللّبنة الأولى لبناء مجتمع صالح خالٍ من الأفكار المنحرفة والهدامة التي تنزل بالمجتمع إلى مستوى الرذيلة، فتبين أن للأسرة وظيفة اجتماعية هامة فلها الدور الأول والمهم في بناء وصبغ سلوك الطفل صبغة اجتماعية، فإذا كان

---

(١) قال المجلسي: تصحيح عدد الأربعين إنما يتيسر بجعل بعض الفقرات المكررة ظاهراً وتفسيراً وتأكيداً لبعض، بحار الأنوار: ١٥٥/٢ ح٧ وينظر التعليق مفصلاً.

الوالدان صالحين استطاعا أن يهذبا ابنهما ويربياه تربية صالحة فالأسرة كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حية ديناميكية لها وظيفة تهدف إلى نمو الطفل نمواً اجتماعياً، فالآباء هم المسؤولون أولاً عن أبنائهم لأن الابن كاللّبنة تستطيع أن تجعله في أي صورة وحسبما تريد، تستطيع أن تهذبه وتقوم اعوجاجه وتأخذ بيده إلى طريق الهداية والصلاح إلى طريق العلم والمعرفة إلى طريق الأخلاق الحميدة والخصال الجميلة الحسنة ومن يجمع ويحز على مكارم الأخلاق فستكون رصيده المعنوي في حياته فهي حجر الأساس عندما تريد أن تحكم عليه عند تعرضه للتحليل أو النقد، وليست مكارم الأخلاق واسطة حسنة بين الفرد ومجتمعه فحسب، بل بين كل المجتمعات وهي ركيزة المجتمع وأساس بناء الأمم والشعوب قال أحد الشعراء:

إنما الأمم الأخلاق إذا ما بقيت ... فإذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا[1]

ومن مثل الحسين عليه السلام له أسرة كأسرته، لذا كانت نشأتها في بيت قد طهر من كل دنس وعيب ونقص، تتلى فيه آيات الله صباحاً ومساءً، قال تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[2].

(١) ظ: الطفل بين الوراثة والتعليم، محمد تقي فلسفي، ١/٦٩، دائرة المعارف الحسينية (السيرة): ١/٨٦-٩٠، أدب الأطفال وأثره على التربية، د. محمد علي الهدفي: ٨٩ ومابعدها، وينظر الشوقيات، المقدمة بقلم د محمد حسين هيكل.

(٢) النور/٣٦: وهي بيوت الأنبياء والرسل وأئمة الهدى، كما هو مروي عن أهل البيت (عليهم السلام) ظ: كمال الدين: ٢١٩ عن الإمام الرضا (عليه السلام) وينظر: شرح أصول الكافي المازندراني، ١٢/٥٦.

ولذا أصبحت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الأخلاقية أنموذجاً إلهياً ووجهاً مشرقاً بالصفات النبيلة والخصال الحميدة، فإنّك لو بحثت شرق الأرض ومغربها لن تجد نظيراً لها وهذا ليس من باب المغالات، بل هي الحقيقة التي جسدها القرآن والسنة والعقل والسيرة الاجتماعية ولذا نجد أنّ علماء الأخلاق من غير المسلمين لهم موقف خاص عند أهل البيت (عليهم السلام) عموماً وعند الحسين عليه السلام خصوصاً قال المطران الدكتور برتلماس عجمي: من أجدر من الحسين عليه السلام لأن يكون تجسيداً للفداء في الإسلام؟ ومن أجدر من الفكر الحسيني لأن يفهم رموز ومعاني هذا الفداء الركن الأول في المسيحية؟ وبالتالي يجب من يتقدم إليه راضياً مرضياً لوجه الله والحق الإلهي فالحسين من وجهة نظر مسيحية هو شهيد للمسيحية كما للإسلام، وكما لغيرها أيضاً لأن فداءه ذو أهداف إنسانية شمولية لا تختص بفرد دون آخر)، وقال آخر: لو كان الحسين عليه السلام لنا رفعنا له في كل بلد بيرقاً ولنصبنا في كل قرية منبراً ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين عليه السلام(١).

فالحسين مفخرة الزمن وغرة جبين الإنسانية وواهب الحرية، وهو رأس كل شرف وعنوان كل فضيلة يحق لكل إنسان حر بل ينبغي عليه أن يرفع للحسين عليه السلام مفتخراً بيرقاً أينما كان وفي كل زمان وقد أُثر عنه الكثير في الجانب الأخلاقي والتربوي ونذكر هنا رواية شريفة هي بمثابة دستور إخلاقي رواها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي أيضاً ترجمة تفسيرية لآيات الأخلاق التي نص عليها القرآن

(١) الحسين في الفكر المسيحي، د. انطوان بارا: ٧٢، ٣٥٧.

الكريم والتي من يمتثل لها يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

هذه الرواية الشريفة دستورٌ أخلاقيٌّ وتربوي تأخذ بيد الإنسان المسلم فيبني على أساسها الأساس الأعتقادي للعمل الأخلاقي لذا تلقاها العلماء بالقبول والثناء، ونقلها المسلمون باختلاف الطرق ولاشك أنّ الرواية التي في سندها الحسين عليه السلام تضفي على السامع والمتلقي نوعاً من القداسة ولكونه عليه السلام فيضاً الهياً قد جسد في شخص الحسين عليه السلام(١).

وقد ترجم للإنسان المسلم لمن يريد السعادة والحشر من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مجموعة سامية من المضامين الأخلاقية منها ما يتعلق بالاعتقاد بالله والإيمان به وحده لتثبيت الأساس التوحيدي للفرد المسلم، ومنها ما يتعلق بالمنهج العبادي للإنسان المسلم كقراءة القرآن والصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها ثم يوجه الإنسان المسلم توجيهاً أخلاقياً عبادياً فيزجره عن كل قبيح مستهجن محرماً كان أو مكروهاً كشرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وغيرها من الأفعال القبيحة التي ينهى عنها الخالق وبلّغها المبلغ صلى الله عليه وآله وسلم ثم يوجه عليه السلام الإنسان

(١) ظ. معارج اليقين في أصول الدين، الشيخ محمد السبزواري: ٥١٠، مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافي: ٢/٨٧،المحكم في أصول الفقه، السيد محمد سعيد الحكيم: ٣/٢٦٦، ألف سوال وإشكال الكوراني: ٢/٦٧ نقل مصادر الحديث في الفرق الإسلامية الأخرى. وينظر: معجم المؤلفين: ٨/٢١٠، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني: ١/٤١٢، أثبت أنّ طرق الحديث صحيحة وعن مصادر الفريقين.

المسلم نحو تربية نفسه سلوكياً فيوصيه بالصبر والاحتياط والتسبيح لله عز وجل والابتعاد عن الهوى والرياء وعدم الكذب وعدم مخالطة الكذابين وينهاه عن الغيبة والنميمة وعدم الركون إلى الظالم لأن فيها هلاك الإنسان دنيوياً وأخروياً، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[1] ويمكن نستنبط ذلك من سيرة من ركنوا إلى الظالمين طمعاً في دنيا كيف يكون ذكرهم؟ يلعنوا كلما ذكروا كما هو حال من حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه (صلوات الله عليهم أجمعين).

روى الحراني قال رجل عنده - عند الإمام الحسين عليه السلام - (إنّ المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع، فقال الحسين عليه السلام ليس كذلك ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر)[2]. كلمات من فم العصمة الذي وصفه رسول الأخلاق صلى الله عليه وآله وسلم بـ(زين السماوات والارض ومصباح هدى وسفينة نجاة)[3]، والتي انسجمت مع الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها فوقعت على القلب كالماء البارد في حر الظمأ فتجلت نوراً يهتدي به الحيارى في الليلة الظلماء فاهتدى بها الضالون والباحثون عن السبيل واهتدى من أسلم قلبه واعتبر من صدق عقله فيمن بحث عن الهداية ورغب إلى فعل الخيرات ولا غرو

(١) هود/ ١١٣.

(٢) تحف العقول: ٧٩، وابل المطر: أي المطر الشديد الذي من شأنه أن يذهب بالبذور التي زرعت لشدته وهذا كناية منه ظ: نظم الدرر البقاعي: ١/ ٤٢٩.

(٣) رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواها أبي بن أبي كعب، كمال الدين، الصدوق: ٢٦٤ ح١١.

فإنّه فم الحسين عليه السلام.

ثانياً: في الحث على التقوى وذم الدنيا والتذكير بالموت ويوم القيامة

قال تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ }(١).

قال تعالى: { لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ }(٢).

روى الحراني: أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قال: (أوصيكم بتقوى الله وأحذركم أيامه وأرفع لكم أعلامه فكأن المخوف قد أفد بمهول وروده ونكير حلوله وبشع مذاقه فاعتلق مهجكم(٣) وحال بين العمل وبينكم فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار كأنكم ببغتات طوارقه(٤) فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها ومن علوها إلى سفلها ومن أنسها إلى وحشتها ومن روجها وضوئها إلى ظلمتها ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لايزار حميم، ولايعاد سقيم، ولايجاب صريخ أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم ونجانا وإياكم من

(١) النساء/ ١٣١.

(٢) الإنعام/ ١٥٨.

(٣) فاعتلق مهجكم: اعتلق وهي بمعنى: نشب، والمهجة: الروح، فكأن المخوف الذي يخاف فيه الإنسان قد جاء بأمر مهول أي شديد الهول، وبشع مذاقه: أي كريه الطعم والرائحة وهو عليه السلام يشير إلى الموت، ظ: أساس البلاغة مادة علق، ١/ ٣٢٠.

(٤) ببغتات طوارقه: البغتة الفجعة، ظ: العين: ١/ ٣٥٢، مادة بغت، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، ٢/ ٣٢٣، الطرق، ضرب من التكهن، فالطوارق المتكهنات والطارقة الداهية، ظ: مختار الصحاح: ١/ ١٨٦، القاموس المحيط: ٣/ ٣٧٦.

عقابه وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه عباد الله فلو كان ذلك قصر مرماكم ومدى مضعنكم[١] كان حسب العامل شغلاً يستفرغ عليه أحزانه، ويذهله عن دنياه ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه فكيف وهو بعد ذلك مرهن باكتسابه، مستوقف على حسابه، لاوزير له يمنعه ولاظهير عنه يدفعه ويومئذ {لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}[٢]، أوصيكم بتقوى الله فإنّ الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}[٣]، فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه، فإنّ الله تبارك وتعالى لايخدع عن جنته ولاينال ماعنده إلا بطاعته إن شاء الله)[٤].

تحليل النص: الإمام عليه السلام في هذه الخطبة الجليلة بمعانيها السامية يدعو عباد الله في كل زمان ومكان إلى تقوى الله عز وجل وأنّ من اتقاه يأتيه برزق وافر من حيث لايحتسب وعلى الإنسان أن يعجل بالتوبة إلى الله عز وجل والإنابة إليه لأنه قد يفاجأ يوماً ما فإذا هو واقف في ساعة الحساب وفي تلك الساعة لاينفع الندم والتوبة حيث إنّ الله سبحانه وتعالى لاتخفى عليه الحيل والمكر والخداع واعلموا أنّ الجنة لن تنال إلا بطاعة الله عز وجل فلذا

---

(١) قصر مرماكم: القصر: الجهد والغاية، المرمى: مكان الرمي وزمانه، المدى: الغاية والمنتهى، يذهل: ينسى ويسلوا من الذهول أي الذهاب عن الأمر بدهشة ومعنى كلامه (عليه السلام): أي لو كانت الدنيا آخر أمركم لطب الخلاص من الموت وتبعاته ويشغل عن غيره، ظ: جمهرة اللغة: ١/٤٤٧، مادة رمى، المحيط في اللغة: ١/٤٤٢.

(٢) الأنعام/١٥٨.

(٣) الطلاق/ ٣.

(٤) تحف العقول: ١٧٠، بحار الأنوار: ٧٥/١٢٠ ح٣.

يؤكد عليه السلام في كثير من خطبه على تقوى الله لأن التقوى هي الميزان الذي توزن به الأعمال فتكون بذلك ميزان القرب الإلهي لمن أراد القرب منه عز وجل لأنه يقول عز وجل {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}(١)، إن الإشادة بالتقوى والحث عليها لأهميتها لما لها من آثار وفوائد يحصل عليها المتقي في الدنيا والآخرة وهو ماصرّح به القرآن الكريم في كثير من آياته ومن تلك الآثار:

١-إنَّها سبب قبول الأعمال قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}(٢).

٢-إنَّها توجب التنعيم في الجنات والتقريب من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}(٣).

٣-المتقي حبيب الله عز وجل، حيث قال عز وجل: {فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}(٤).

٤-حسن العاقبة للمتقين قال الحكيم رب العزة: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}(٥).

٥-إنَّ المتقي سيكون في مقام أمين قال رب الحكمة: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

(١) البقرة /١٩٧

(٢) المائدة/ ٢٧.

(٣) القمر/ ٥٤-٥٥.

(٤) آل عمران/ ٧٦.

(٥) هود/ ٤٦.

مَقامٍ أَمِينٍ) [(١)].

٦-المتقون أهل القرآن، قال عز وجل: {هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [(٢)].

٧-المتقون وفد الرحمن قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً} [(٣)].

٨-المتقون أهل الصدق قال تعالى: {وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [(٤)].

٩-التقوى سبب في خلاص الإنسان من الشدائد والمحن والخروج منها وسببٌ في تحصيل الأرزاق، قال تعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [(٥)].

١٠-التقوى تدفع وساوس الشيطان، وتفتح البصيرة والبصر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ} [(٦)].

١١-التقوى تورث الفلاح، قال تعالى: {ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ

---

(١) الدخان/ ٥١.

(٢) آل عمران/ ١٣٨.

(٣) مريم/ ٨٥.

(٤) الزمر/ ٣٣.

(٥) الطلاق/ ٣.

(٦) الأعراف/ ٢٠١.

هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(١).

١٢- إنّها تورث البركة، قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ }(٢).

١٣- إنَّها توجب شكر المنعم والخالق والمولى عز وجل، قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(٣). إلى غيرها من الآيات الكريمة التي ترشد إلى أنَّ المتقي سيكون مهتدياً هادياً ومستقيماً وأنّه حكيمٌ ومن الأحاديث الشريفة التي تبين منزلة التقوى وثمارها:

١- أُثر عن النبي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المتقون سادة العلماء والفقهاء قادة أُخذ عليهم أداء مواثيق العلم والجلوس إليهم بركة والنظر إليهم نور)(٤).

٢- في رواية تفسيرية عن الإمام الحسين عليه السلام أنَّهُ قال: (عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإنَّ الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد كانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر، والمنزل بلغة والدار قلعة فتزودوا { فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى } فاتقوا الله لعلكم

(١) البقرة/ ٢-٥.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) آل عمران: ١٢٣.

(٤) مجمع الزوائد: ١/١٢٥ ح١٢٦ عن عبد الله بن مسعود، الجامع الصغير السيوطي: ١/٩٠ ح٩١ كنز العمال: ٣/١٨٧ ح٥٦٤٣ قال ورجاله موثوقون.

تفلحون﴾[١].

إنّ الإنسان إذا لم يتقِ خرج عن النوع الإنساني، فيصير مخلوقاً ممسوخاً ينافس الوحوش في صفاتها الحيوانية البهيمية، فيغدو بهيمة لايهمها إلا ما يهم البهائم وقد يكون أسوأ وأشد غلظةً ووحشيةً وهذا ما قرأناه في التاريخ والسيرة، ولمسناه اليوم في كثير من بقاع الأرض وما الإبادة البشرية والمقابر الجماعية وذبح الأطفال وسلب الأموال وهتك الأعراض إلا بسبب انعدام التقوى والدين وهؤلاء شر الناس كما وصفهم الإمام الحسين عليه السلام.

٣- في رواية تفسيرية: روى جعيد الهمداني قال أتيت الحسين بن علي عليهما السلام فسألني فقال عليه السلام أخبرني عن شباب العرب أو عن العرب؟ قال: قلت: أصحاب جلاهقات[٢] ومجالس قال: أخبرني عن الموالي؟ قال: قلت آكل الربا أو حريص على الدنيا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ياجعيد همدان الناس أربعة فمنهم من له خلق وليس له خلاق، ومنهم من له خلاق ومنهم من له خلق وخلاق وذلك أفضل الناس، ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق وذاك شر الناس). [٣]

(١) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ٢١٥ بإسناد عن بشر بن طاحنة عن رجل من همدان، قال: خطبنا الحسين بن علي (عليه السلام) غداة اليوم الذي استشهد فيه فحمد الله وأثنى عليه وقال الرواية، كفاية الطالب الكنجي الشافعي: ٢٨٢.

(٢) الجلاهقات: الجلاهقة: آلة صيد يصطادون بها العرب وتسمى بالفارسية (البندقة) فتكون آلة صيد والبندقة الذي يرمى بها، ظ: المعجم الوسيط: ١/٢٧٤، فتح الباري: ١٥/٤٠٥، باب صيد المعراض، لكن الفراهيدي يرى أنَّهُ نوع من الكلام: ظ: العين: ١/٣ في وصفه لكلام العرب.

(٣) ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن سعد من الطبقات الكبرى: ٣٦ ح٢٣٥، وينظر ←

فالحياة الإنسانية لاقيمة لها بدون التقوى لأنها أساس الدين، لذا يقول الإمام علي عليه السلام: (لاحياة إلا بالدين، ولاموت إلا بجحود اليقين)[١]. فعلى الإنسان أن يعمل فكره ويحرص على نفسه في آخرته وليكن أشد حرصاً منها على غيرها فلا بقاء ولاخلود في الدنيا لاملك مقرّب ولانبي مرسل، وفي رواية مسندة عن الإمام الحسين عليه السلام أنَّه قال: (يابن آدم! تفكر وقل أين ملوك الدنيا وأربابها، الذين عمروا واحتفروا أنهارها وغرسوا أشجارها ومدنوا مدائنها فارقوها وهم كارهون، وورثها قوم آخرون ونحن بهم عما قليل لاحقون، يابن آدم أذكر مصرعك، وفي قبرك مضجعك وموقفك بين يدي الله تشهد جوارحك عليك، يوم تزل فيه الأقدام وتبلغ القلوب الحناجر، وتبيض وجوه وتسود وجوه وتبدو السرائر ويوضع الميزان بالقسط يابن آدم اذكر مصارع آبائك وأبنائك كيف كانوا وحيث حلّوا وكأنك عن قليل قد حللت محلهم وصرت عبرة للمقابر وأنشد شعراً:

أين الملوك التي عن حفظها غفلت	حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
تلك المدائن في الآفاق خالية	عادت خراباً وذاق الموت بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها[٢]

وبعد التأمل والتفكر في التقوى وآثارها نجدها ضرورة لاغنى عنها بل هي الحياة والسعادة والفلاح والرحمة والحرز والحصانة والعز والشرف وهي

موسوعة الإمام الحسين الشرفي: ٩٢٣.

(١) الإرشاد: ١٤٠، أعلام الدين الديلمي: ٩٥، كشف اليقين، العلامة الحلي: ١٨٠، بحار الأنوار: ٤١٨/٧٤ ح٤٠.

(٢) إرشاد القلوب، الديلمي، ٢٩، حياة الإمام الحسين القرشي: ١/١٦٣.

ميزان القرب الإلهي والكنز المدخر ليوم لاينفع فيه مال وبنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ولقد كانت نصائح الإمام عليه السلام ومواعظه مستمرة للمسلمين جميعاً ولذا تجده عليه السلام وقد وقف على أحد القبور فالتفت إلى من كان معه وقال عليه السلام (فما أحسن ظواهرها وانّما الدواهي في بطونها فالله الله عباد الله لاتشتغلوا بالدنيا فإنّ القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا) ثم أنشد عليه السلام قائلاً:

يا من بدنياه اشتغل ... وغرّه طول الأمل

الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل[1]

ويقول عليه السلام: (لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته لخربت الدنيا)[2].

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يربي المجتمع الإسلامي على الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة لذا كان ملجأ وحصناً منيعاً يلجأ إليه المسلمون في كل حين، لقد كان عليه السلام مثالاً للعالم العامل بعلمه، لذا كانت مواعظه متعددة تحمل أكثر من عنوان أخلاقي وعقائدي، قد تجد في النصيحة الواحدة عناوين عدة، كما هو الآن، والسبب أنّ كل عنوان أخلاقي حوله إلى ملكة لديه والملكة ثابتة لاتزول ولاتضمحل، لذا لاتجد شخصاً لديه ولو أصغر ذرة من الإنسانية لا يعشق الحسين عليه السلام والسبب لأن الحسين عليه السلام عمل بطاعة الله عز وجل واتقاه، والتقوى

---

(١) إحقاق الحق، التستري: ١١/٦٢٨.

(٢) المصدر نفسه: ١١/٩٥٢.

تقرب العبد إلى الله وتجعله مع الله وعند الله في الآخرة ومعه في الدنيا حيث لايغيب عنه ومعية الله لاتفارقه في كل مكان وفي كل آن فهو لايقوم على شيء إلا بمعية الله تعالى، وهو في كل شيء يستشعر معية الله عز وجل، وهذه الدرجة من التقوى لاتأتي بسهولة بل تتطلب منا صراعاً ومعاناة وأن تكون سداً منيعاً للغرائز والأهواء ولاسبيل إلى ذلك إلا أن تقوم بالتضحية والفداء عند ذلك تكون النتيجة يوم القيامة **{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}**(١).

لقد كان الحسين عليه السلام ومن تبعه على أعلى درجةٍ من التقوى والسبب لأنهم عملوا بطاعة الله عز وجل ونصرة دينه والقيم التي جاء بها الإسلام لذا نرى أبا الفضل العباس عليه السلام يرفع شعار الدين والدفاع عنه عندما قام الأعداء بقطع يمينه فقال عليه السلام:

والله إن قطعتموا يميني إنّي أُحامي أبداً عن ديني وعن إمام صادق اليقين(٢)

لأنهم جاءوا من أجل الدين والعقيدة وهو أسمى الأهداف. وتجد في المعسكر الثاني الغير متقي لايهمه الدين أو العقيدة، بل يرغب في حطام الدنيا الفاني الزائل فيخاطب ابن زياد:

أوقر ركابي فضة أو ذهبا إنّي قتلت السيد المهذبا

(١) الرحمن/ ٥٥.

(٢) ظ. مرآة الجنان، اليافعي: ١٣٢/١، مقتل المقرم: ٢٤٤ وانظر مصادره.

قتلت خير الناس أما وأبا   وخيرهم إذ يذكرون نسبا[(١)]

وصورة ثانية من صور المتقين تبيّن شوقهم إلى الله وإعراضهم عن زخارف الدنيا وزبرجها فكانوا منقطعين إلى الله، حتى كان بعضهم يداعب أصحابه ويمازحهم في الليلة العاشرة من محرم أي ليلة عاشوراء فقد هازل برير ابن خضير أستاذ القرآن في الكوفة ومعلمه، عبد الرحمن الأنصاري (رضوان الله عليهم أجمعين) فقال له عبد الرحمن ماهذه ساعة باطل؟ فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاً وشاباً- وهذه صفات أصحاب الحسين عليه السلام - ولكنّي مستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة[(٢)]. بينما هَمُّ عمر بن سعد بن أبي وقاص الدنيا، الملك، السيطرة، الأنانية، لكن الممسوخ الغير متقي ماذا ينتظر منه، فباع هذا الفاسق الرشد بالغي وهو يقول:

فوالله ما أدري وإني لواقف   أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي   أو أرجع مأثوماً بقتل حسين
ففي قتله النار التي ليس دونها   حجاب وملك الري قرة عيني
ألا إنما الدنيا بخير معجل   فما عاقل باع الوجود بدين
وأن إله العرش يغفر زلتي   ولو كنت فيها أظلم الثقلين

---

(١) ظ: تاريخ الطبري: ٢٩٣/٤ وفي رواية (الملك المحجبا) البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٥/٨، وقيل إنّه دخل على ابن زياد فقال له: إذا علمت أنّه كذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت مني خيراً أبدا ظ: مرآة الجنان، اليافعي: ١٣٢/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٦١/٤، اللهوف: ٩٥، مقتل المقرم: ٢٣٢.

يقولـــون إن الله خـــالق جنـــة ونـــار وتعـــذيب وغـــل يديـــن
فـإن صـدقوا فيمـا يقولـون إنـني أتـوب إلى الـرحمن مـن سـنتين
وإن كـذبوا فزنـا بـدنيا عظيمـة وملـك عقـيم دائـم الحجليـن(١)

فغلبه حب الدنيا والرئاسة على تقوى الله عز وجل، فخرج إلى حرب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير مبال بمخالفته لشرع الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام فانتهى به المقام إلى ما انتهى إليه وآخر يتبجح بمعصية الله عز وجل والعياذ بالله فها هو الأخنس بن مرثد الحضرمي في رضه للجسد الطاهر، يقول كما يروي الخوارزمي:

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر بكـــل يعبـــوب شـــديد الأســـر
حتـــى عـــصينا الله رب الأمـــر بـصنعنا مـع الحـسين الطهـر(٢)

فهذان سلوكان مختلفان في المنهج والرؤية لأنهما ينتميان إلى مدرستين:

المدرسة الأولى: مدرسة الله عز وجل في أرضه فالحسين عليه السلام وارث آدم صفوة الله ووارث نوح نبي الله، وارث إبراهيم خليل الله، وارث إسماعيل ذبيح الله وارث موسى كليم الله، وارث عيسى روح الله وارث محمد صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله وارث علي وصي الله وارث الحسن الرضي وارث فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين الحسين وارث الأنبياء

(١) هذا اللعين قد أثبت كفره بالله وباليوم الآخر بقوله: فما عاقل باع الوجود بدين، ظ. مع الإختلاف، المناقب: ٣/٢٤٨، الكامل في التاريخ: ٤/٣، تاريخ ابن أعثم: ٥/٩٦، معجم البلدان، الحموي: ٣/١١٨.
(٢) مقتل الخوارزمي: ٢/٣٩.

والأوصياء والأولياء جميعاً الحسين عليه السلام ورثهم جميعاً لأنه منهم الحسين وارث عرش الله جل جلاله في أرضه[١]، وهذه هي المدرسة الإلهية التي يجب الاقتداء بها والسير على منهجها والامتثال لأمرها، وهذه هي مدرسة المتقين.

المدرسة الثانية: مدرسة أعداء الله في أرضه يحكمهم الأبالسة والشياطين أمثال إبليس مرشدهم الروحي والنمرود وفرعون وهامان وأشباههم ونظرائهم من الممسوخين الذين ينتمون إلى هذه المدرسة الغير متقية لله العاصية لأمره المعارضة لحكمه عز وجل المعادية لأنبيائه (عليهم السلام) وأوليائه في أرضه وهذه المدرسة هي المدرسة الشيطانية والتي تمثلت بالحزب الأموي.

لذا اتخذ الحسين عليه السلام نبراساً للإصلاح لأنه خرج لطلب الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم[٢] فكان شعار المصلحين والثائرين، وأسوة للإحسان لوضعه دستور المحسنين، وقدوة للأحرار لأنه أبى أن يكون إلا حراً كما أراده الله عز وجل، وأنموذجاً للمتقين الذي يخاف على أمته كقائد متقٍ من الانحلال والهوى ومنهجاً للمفكرين الذين سطروا بأقلامهم وأفكارهم الفكر الحسيني، ولن يتوقف إلى آخر يوم من أيام الدنيا، وحياة للصالحين لأن

---

(١) ظ. زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) (زيارة وارث): تهذيب الأحكام: ٥٨/٦ باب زيارته (عليه السلام)، كامل الزيارات لابن قوليه: ٣٧٥ الزيارة برواية جابر الجعفي عن الإمام الصادق (عليه السلام).

(٢) مقتبس من كلامه عليه السلام: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظ: تاريخ ابن أعثم: ٢٣/٥، مناقب ابن شهر اشوب: ٨٩/٤، بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.

الصالحين يرون الموت سعادة والحياة من الظالمين برماً[١].

ورث الحسين عليه السلام العظمة الإلهية في الأرض فكان عطاؤه عليه السلام بلا حدود ولأن إيمانه راسخٌ فكان خالداً، الحسين عليه السلام وهب كل شيء لله المال، البنون، الأصحاب، العائلة. النفس المقدسة الشريفة وإنّ الجود بالنفس أقصى غاية الجود فوهبه الله كل شيء وكما قيل على لسانه:

تركت الخلق طراً في هواكا — وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني بالحب إرباً — لما مال الفؤاد إلى سواكا[٢]

ولذا فإنَّ من حق المحبين للحق أن يعشقوا الحسين عليه السلام حتى الجنون لأنه عشق لله عز وجل، والذي لايعشق الحسين عليه السلام فهو لايعشق الله والأنبياء والصالحين لأنه ليس منهم.

إنَّ القيم والمثل الكبيرة التي رويت عن الحسين عليه السلام والتي يصعب حصرها قد سمت فتألقت فأصبحت مناراً يهتدي به الحائرون فكانت دستوراً أخلاقياً سلوكياً، عقائدياً فكرياً، يقتدي به الصالحون أينما كانوا في كل أرض وزمان فهذا يجعله فداءً للمسيحية وآخر أنموذجاً للحرية[٣].

(١) من كلامه عليه السلام فأني (لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)، أي باطلة، ظ: المعجم الكبير ٣/١١٥ ح٢٨٤٢، مجمع الزوائد: ٩/١٢٩.

(٢) ليلة عاشوراء في الحب والأدب، الشيخ عبد الله الحسن: ١١٦، البيت الشعري نسب إليه عليه السلام، ونسب إلى رابعة العدوية الزاهدة، وقيل أنها تمثلت به.

(٣) ظ. الحسين في الفكر المسيحي د. أنطوان بارا: ٣٧٥ وصفحات أخرى، ويوجد في متحف الساحة الحمراء في موسكو لوحة فنية بأسماء رموز الأحرار في العالم، والحسين عليه السلام رمز الأحرار كان الرقم (١) من حصته.

وقد كانت رحمته فياضة حتى على أعدائه[١]، وهذا من عجائب الدهر، أن منّ عليهم بالماء بعد أن أهلكهم العطش فكان جزاؤه أن سقوه بالسهام المسمومة ثم ذبحوه عطشاناً! ترى من أي نوع من المخلوقات هم؟! إنَّ الإنسان العاقل ليخجل عندما يقال إنهم بشر ومن النوع الإنساني لأن فعلهم أخس من فعل وحوش الغابات.

ثالثاً: النهي عن الصفات المذمومة: الغيبة، الكذب

أولاً: النهي عن الغيبة

قال تعالى {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ}[٢]. قال تعالى {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}[٣].

روى الحراني: قال الحسين عليه السلام لرجل قد أغتاب عنده رجلاً: أيا هذا كف عن الغيبة فإنها آدام كلاب النار[٤].

تحليل النص: الغيبة: ذكر الآخرين بما يكرهون عند بلاغهم قولك في إشارة إلى نقص في أبدانهم أو صفاتهم الخَلقية والخُلقية أو أفعالهم المتعلقة بسيرتهم الدينية أو الدنيوية، إن تحققت بعض الصفات فيه فهذه غيبة، إن لم

---

(١) قام (عليه السلام) بسقايتهم قبل يوم العاشر من محرم وهو في الطريق السائر إلى كربلاء. ظ: مقتل الخوارزمي: ١/٢٣٠، اللهوف: ٣٣.

(٢) الحجرات/ ١٢.

(٣) النور: ١٩.

(٤) تحف العقول: ١٧٤، بحار الأنوار: ٧٨/١١٧ ح٢، أعيان الشيعة: ١/٦٢٠ وينظر: صحيفة الحسين عليه السلام الفيومي: ٤٣٦ ح٤٠.

تكن فيه تحول فعلك إلى بهتان[١]، سئل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيبة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم (ذكرك أخاك بما يكره قيل: وان كان في أخي ما أقول؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: فإن كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته)[٢]. ومما أُثر في ذلك أنّ رجلين قد اغتابا سلمان المحمدي فقالا فيه قولاً: (لو بعثناه إلى بئر سمحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا: يا رسول له ماتناولنا اليوم لحماً قال: ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة ونزلت: { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً })[٣].

ومن التشبيه الوارد في الآية الكريمة فقد شبه الغائب بالميت وأنّ الرابطة الموجودة بين الطرفين هي الأخوّة وأنّ غيبة أحدهما للآخر بمثابة من يأكل لحم أخيه، وهو ما تنفر منه الطباع البشرية مهما كان إيمان الإنسان ضعيفاً فإنه لايستطيع أن يرتكب ذلك، كذلك ومن البديهي أنّ الميت لايستطيع الدفاع عنه نفسه والذود عنها فإذا فعل ذلك أحدهم فهي من أخس الطباع وأسوئها

---

(١) ظ. العين، الفراهيدي: ٤/٤٥٥، القاموس المحيط، ٣/٢٧٣. مجمد البحرين: ٤/٥٤، غريب الحديث لابن سلام: ٤/٤٢٢، جامع السعادات النراقي: ٢/٧٦، الأخلاق في القرآن: ابن مكارم الشيرازي: ٣/٧٤.

(٢) سنن الدارمي: ٢/٢٩٩، تفسير البيضاوي: ٢/٢١٨، تخريج الحديث والآثار، الزيلعي: ٣/٣٤٨ وينظر النهاية في غريب الحديث: ١/٣٦٥، غريب الحديث للحربي: ٢/٦١٢، وروي الحديث بلفظ آخر.

(٣) مجمع البيان: الطبرسي، ٩/٢٢٥، تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤/٣٧٤، عن ابن عباس، تفسير البيضاوي: ٥/٢١٩، تفسير النسفي، ٤/١٦٧، الكشف والبيان، الثعلبي: ٩/٨٧ بألفاظ أخرى.

بل من أدنى وأحقر الصفات الأخلاقية)[١].

الغيبة مرض اجتماعي خطير يفرق الأحبة ويفتت الجموع وهو من الفواحش القبيحة التي نهى الباري عز وجل عن إشاعتها فقال تعالى في محكم كتابه {الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ}[٢]، والغيبة جهر بالقول السيئ، وقد نهانا الحكيم الخبير في محكم كتابه عن ذلك أيضاً، حيث قال: {لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ}[٣]، ومن يحتمل تلك الصفات الدنيئة يعيش على خلاف مع أهل الفضائل والأخلاق النبيلة التي تقوم على أساس احترام الآخرين، وتقديس الصحبة والإخوة مع المودة والمحبة، أما الغيبة فتفسد تلك النبل والفضائل وتبدي في صاحبها صفات الحقد والكراهية التي حرمها الإسلام إن الغيبة لها أضرار معنوية كبيرة، فالذي يرتكب هذا الفعل المحرم لاتقبل له صلاة أو صوم، أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال: (من اغتاب مسلماً أو مسلمة لن يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين ليلة إلا أن يغفر له صاحبه)[٤]، وفي رواية أخرى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الغيبة وقال (من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه ونقض وضوؤه وجاء يوم القيامة تفوح من فيه

---

(١) ظ: الأخلاق في القرآن، الشيرازي: ٣/٧٥.

(٢) النور/ ١٩.

(٣) النساء/ ٤٨.

(٤) جامع الأخبار، السبزواري: ١١٧، بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٥٩، وينظر: كتاب المكاسب، الشيخ الأنصاري: ١/٣١٦، مصباح الفقاهة السيد الخوئي: ١/٥١٨ فقه الصادق الروحاني: ١٤/١٩٠، مصباح المنهاج، التقليد، السيد محمد سعيد الحكيم: ٣٢٩.

رائحة أنتن من الجيفة يتأذى به أهل الموقف)[١]. وقد حث أهل البيت (عليهم السلام) المسلمين على اجتناب الغيبة في كثير من وصاياهم الأخلاقية، ومنها مارواه الصدوق بإسناده عن نوف البكالي[٢]، قال: (أتيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو في رحبة مسجد الكوفة فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام يانوف ورحمة الله وبركاته فقلت له: ياأمير المؤمنين عظني، فقال عليه السلام: اجتنب الغيبة فإنها آدام كلاب النار، ثم قال عليه السلام: يانوف كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، وكذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يحب الزنا، وكذب من زعم أنّه يعرف الله عز وجل وهو مجترئ كل يوم وليلة..)[٣].

ولذا نجد الإمام الحسين عليه السلام ذلك الطهر الطاهر ينهى عن الغيبة وقد سمى أهل الغيبة بـ(الكلاب) وأنّ الغيبة آدام مجالسهم التي يعقدونها وأنّه من الواجب الشرعي والأخلاقي أن يدافع عن أخيه الإنسان الذي يغتاب لأمرين مهمين:

---

(١) أمالي الصدوق: ٥١٦، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٤٣٠ وينظر: مجمع الفائدة المحقق الأردبيلي: ٧٦/٨، الحدائق الناظرة، المحقق البحراني: ١٤٧/١٨.

(٢) نوف البكالي: وهو ابن امرأة كعب الأحبار، وكان عالماً قد قرأ الكتب وسمع من كعب علماً كثيراً، ويكنى أبا عبيد، وفي بعض الحديث يكنى أبا عامر، ظ: الطبقات الكبرى: ٤٥٢/٧، قتل على يد المروانيين في الإحداث التي تلت استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ظ: التاريخ الكبير: ٤٠/٢، التاريخ الصغير: ١٨١/١ وكناه أبي يزيد والظاهر أنّه صحب أمير المؤمنين عليه السلام طويلاً، وبكال قبلة من همدان: قاموس الرجال، التستري: ٤١٣/١٠، الثقات، ابن حبان: ٧٧/٦، ٤٠٠/٧.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٧٨، وسائل الشيعة: ٢٨٤/١٢ ح١٦، باب تحريم اغتياب المؤمن، وينظر: السراج الوهاج، الفاضل القطيفي: ٢٥.

الأول: إن المستمع للغيبة أحد المغتابين، كما أُثر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (المستمع أحد المغتابين)[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (السامع للغيبة أحد المغتابين)[٢]، ومن ثم يكون المستمع آثاماً وعاصياً لله عز وجل.

الثاني: الواجب الأخلاقي بل حق العقائدي أن ينصر أخاه ويذب عنه، وهذا الأمر مأثور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (من ذب عن عرض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله عز وجل أن يعتقه من النار)[٣]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل ذكر عنده أخوه المسلم، وهو يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره الا أذله الله عز وجل في الدنيا والآخرة)[٤].

ونجد الإمام الحسين عليه السلام أيضاً يوصي وينصح المسلمين بحفظ اللسان لأنه قد يتحول إلى أداة للإساءة إلى الآخرين بينما الغاية العظمى منه هو الإرشاد والهداية والإصلاح وغيرها من الفوائد يقول عليه السلام عندما قيل له: ما الفضل؟ قال عليه السلام (ملك اللسان وبذل الإحسان قيل: فما النقص؟ قال عليه السلام: التكلف لما لا يعينك)[٥].

وقال عليه السلام في وصية له لابن عباس رضي الله عنه: (يابن عباس

---

(١) شرح أصول الكافي: ٤١/١٠.

(٢) المصدر نفسه والصفحة، وينظر: رسائل الشهيد الثاني: ٢٩١.

(٣) المجمع الكبير: ١٧٧/٢٤ عن أسماء بنت يزيد الأنصارية الجامع الصغير: ٦٠٠/٢ ح٨٦٧١.

(٤) كنز العمال: ٤٨١/٣ جزء منه، وينظر: جامع السعادات، النراقي ٧٩/٢ الحديث وأحاديث أخرى بهذا المضمون.

(٥) مستدرك الوسائل: ٢٤/٩، ح١٠٠٩٩، ميزان الحكمة: ٢٦٨٨٤/٣، جامع أحاديث الشيعة: ٥٠٠/١٣ باب حفظ اللسان.

لا تكلمن فيما لايعنيك فإنني أخاف عليك فيه الوزر، ولاتتكلمن فيما يعنيك حتى ترى للكلام موضعاً فرب متكلم قد تكلم بحق معيب ولاتمارين حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يقليك، والسفيه يرديك، ولاتقولن في أخيك المؤمن إذا توارى عنك- وهو نهي عن الغيبة-، إلا مثال ما تحب أن يقول فيك إذا تواريت عنه واعمل عمل رجل يعلم أنّه مأخوذ بالإجرام مجزيء بالإحسان والسلام) [(١)].

إنَّ مواعظ الإمام الحسين عليه السلام متعددة الأهداف، فقد يجتمع أكثر من جانب أخلاقي في حديث واحد، وكان ذلك حرصاً منه لإصلاح الأمة التي شاع فيها الفساد الأخلاقي وكانت هي الغاية العظمى والأسمى في نهضته المباركة.

ثانياً: النهي عن الكذب

قال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [(٢)].

روى زيد بن علي عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام - عن جده الحسين بن علي عليه السلام - قال: قال علي عليه السلام في قوله تعالى: {لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} قال: من الخيانة الكذب في البيع والشراء[(٣)].

---

(١) كنز الفوائد الكراكجي: ١٩٤، بحار الأنوار: ١٢٧/٧٥ ج١٠، أعلام الدين للديلمي: ١٤٥، نهج السعادة، الشيخ المحمودي ٣٧٣/٧٠.

(٢) الأنفال/ ٢٧.

(٣) مسند زيد بن علي: ٢٦٥.

تحليل النص: الكذب من الصفات الذميمة والقبيحة لمن كانت هذه صفته وهو من رذائل الأخلاق، كذلك أنّه من أقبح الذنوب وأخبث العيوب وأشنعها، وهو من المحرمات لما فيه ضرر على الآخرين وقد أكدت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على حرمته ووصفت الكاذب بأنه كافر أو مسرف ومن تكن صفته هكذا فإنّه من الملعونين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢).

ومن نتيجة الكذب النفاق قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٣)، ثم إن الكاذب لن يفلح في دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾(٤)، لذا لعن الله الكاذبين حيث قال عز وجل: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾(٥). الى غيره من الآيات الكريمة التي تصف الكاذبين بالقبح وتعدهم بعدم الفلاح وأنّ الله سيعذب الكاذبين.

وفي الروايات الشريفة نجد الكثير منها التي تنهى عن الكذب، وفي الحديث الشريف سئل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (يكون المؤمن جباناً؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم، قيل ويكون بخيلاً؟ قال صلى الله

(١) الزمر/٣.

(٢) غافر/ ٢٨.

(٣) التوبة/ ٧٧.

(٤) يونس/ ٦٩.

(٥) آل عمران/ ٦١.

عليه وآله وسلم نعم قيل يكون كذاباً قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا)(١)، والسبب لأن الكذب لاينسجم مع الإيمان إذ إنَّ من صفات المؤمن أن يكون صادقاً في قوله وفعله ووعده، أما الكاذب فلا يكون لأن غايته تحصيل المنافع الدنيوية أو التقرب إلى عناصر الشر ومثاله، بيوتات الظلمة ومراكزهم، فلا يتصف العبد المؤمن بهذه الصفة ولايكون الإنسان مؤمناً حتى يترك هذه الرذيلة، قال الإمام علي عليه السلام: (لا يجد العبد طعم الإيمان،حتى يترك الكذب هزله وجدّه) (٢) لأن جدّه مفتاح الذنوب، كما هو موروث في روايات أهل البيت (عليهم السلام) أُثر عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنَّه قال (إنّ الله عز وجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب)(٣).

وفي رواية أخرى عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام إنَّه قال: (جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحه الكذب) (٤).

يقول الشيرازي في تعليقة له على الرواية: (العلّة في ذلك جلية وهي أنّ الإنسان الكاذب عندما يجد نفسه في معرض الفضيحة فإنه يتحرك في عملية التغطية على نقائضه ومعايبه من موقع الكذب والخداع، وبعبارة أخرى أن

---

(١) جامع السعادات: ٢/٩٥ وينظر: الدر المنثور: ٣/٢٩٠ بألفاظ أخرى متقاربة، التمهيد لابن عبد البر: ١٦/٢٥٥ بألفاظ أخرى أيضاً.

(٢) الكافي: ٢/٣٢٩ ح٣ بإسناد محمد بن مسلم، ثواب الأعمال الصدوق: ٢٢٤.

(٣) معارج اليقين، السبزواري: ٤١٩، بحار الأنوار: ٦٩/٢٦٣. وينظر: جامع السعادات: ٢/٩٩، تفسير الأمثل، السبزواري: ٨/٣٣٦.

(٤) تنبيه الخواطر، الحلواني: ١٤٦ ح١٣، بحار الأنوار: ٦٩/٢٦٣ ح٤٦.

الكذب يبيح له ارتكاب الذنب والخوف من الفضيحة بسبب الصدق يدعوه إلى ترك الذنوب)[١].

ويمكن القول في التشبيه الوارد في الحديث الشريف جعل للشر أقفالاً، المعني بالأقفال هي الأفعال الحسنة المانعة من ارتكاب الشرور وما يتميز به الإنسان من العقل الراجح، فيمنعه عقله من ارتكاب تلك الشرور والمفاسد حياءً من الله سبحانه وتعالى بعد أن أدرك قبحها وأثرها السيئ على نفسيته، وأنّ الشراب - الخمر المسكر- يزيل العقل، فإذا زال العقل ارتفعت تلك الموانع والأفعال الحسنة بـ(أنَّ أثر الظلمة التي يوجدها الكذب في عقل الإنسان وروحه أشد بكثير من أثر الظلمة التي يوجدها شرب الخمر فالشخص المعتاد على الكذب أشد استهتاراً من شارب الخمر ولا يتورع من أي جريمة)[٢] ولهذا نصح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدهم عندما أخبره أنّه يرتكب المعاصي فطلب منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك الكذب[٣]، والسبب كونه - أي الكذب- (خراب الإيمان) كما مروي عن أهل البيت (عليهم السلام)[٤] ولذا جعل مفتاح جميع الخبائث هو الكذب والعياذ بالله ولذا جعل الكذب من الكبائر ومن المفطرات للصائم ولاسيما الكاذب على الله ورسوله[٥]، ويمكن القول أيضاً إن من أسباب الكذب:

---

(١) الأخلاق في القرآن: ١٩٥/٣.

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي: ٣٤/٣.

(٣) ظ: وسائل الشيعة: ٢٠٢/٣.

(٤) الكافي: ٣٤١/٢ ح٤ عن أبي جعفر (عليه السلام): (إنَّ الكذب هو خراب الإيمان).

(٥) مصباح الفقاهة، السيد الخوئي: ٥٩٣/١، فقه الصادق، الروحاني: ١٩٠/١٤.

١-ضعف الإيمان

٢-ضعف الشخصية إضافة إلى عقدة الحقارة كما أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لايكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه)[(١)].

٣-من أسباب الكذب: الحسد والبخل والتكبر والغرور والطمع والحرص.

٤-من أسباب الكذب: التمسك بالدنيا فيكذب لحفظ مقامه الشخصي والاجتماعي والسياسي فيتوسل إلى ذلك بالكذب على الله ورسوله، لذا قال الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه: (إنه سيأتي عليكم بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله)[(٢)].

لذا كان الإمام الحسين عليه السلام يحث الناس على الصدق والكون مع الصادقين لأنه نجاة لهم وخير سبيل، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[(٣)]، ومن أصدق حديثاً من أهل البيت (عليهم السلام) ومن الحسين عليه السلام إذ كان رمزاً للصدق والفضائل ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومن تلك المواعظ التي يحث بها على الصدق وينهى عن الكذب، حيث قال عليه السلام: (الصدق عز، والكذب عجز، والسر أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صداقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين،

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٣٢، كنز العمال: ٣/٦٢٥ ح٨٢٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٤٧.

(٣) التوبة/ ١١٩ والصادقون هم الأئمة وهو المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل البيت جميعاً وذلك مفصلاً: الروايات التفسيرية للإمام الرضا عليه السلام، الباحث: ٨١.

والشح فقر، والسخاء غنى، والرفق لب)[(١)]، إن هـذا الكـلام منظومـة أخلاقيـة متكاملـة الأطـراف سـامية المعـاني جمعـت فـضائل الأخـلاق في مجموعـة مـن الكلمات القصار، ما لو أخذها إنسان ذو لـبٍّ لاهتـدى وهـدى بها آخـرين، ومن كلماته الأخرى التي هي درس أخلاقي بل منظومة أخلاقية يدعو بها إلى تحري الصدق واجتناب الأسباب المؤدية إلى الكـذب إذ قـال عليـه الـسلام: (احذروا كثرة الحلف فإنه يحلف الرجل لخلال أربع: إما لمهانة يجدها في نفسه تحثه على الضراعة إلى تصديق الناس إياه، وإما لعيٍ في المنطق فيتخذ الإيمان حشواً وصلة لكلامه، وإما لتهمة عرفها من الناس له - وهو الكذب - فيرى أنّهم لا يقبلون قوله إلا باليمين، وإما لإرساله لسانه من غير تثبيت) [(٢)].

والقـارئ الكـريم يجـد في هـذه الروايـة الـشريفة مجموعـة مـن الأنظمـة الأخلاقية والتي يحذر فيها الإمام الحسين عليه السلام عن بعـض الآفـات الـتي تضر بالإنسان فيتحـول إلى وحـش مخـادع يرتكـب المنكـرات ويتـزي الرذائـل لتكون ثوباً له وذلك لكونـه فاقـد الكرامـة هزيـل الشخـصية ضعيف الإيمـان لايحمل إلا الصفات المنكرة، ينطق عن غير وعي، فلذا يجب علينـا كمـسلمين أن نتحرى الصدق في كـل أعمالنـا وسـيرتنا لكونـه علـى الأقـل مـن صـفات الإنسان العاقل، فضلاً عن كونه من مفاخر صـفات الإسـلام الخالـدة، وبهـذا القدر نكتفي من النماذج التفسيرية الأخلاقية مع وجود راويات كـثيرة في هـذا البـاب لكنـها تـشابهت المـضامين كـذلك رعايـة للاختـصار.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٤٦، قال أحدهم سمعت الحسين يقول، وينظر: موسوعة كلمـات الإمـام الحسين الشريفي: ٨٩٨، بعض خطب الإمام الحسين عليه السلام مركز المصطفى: ١/٥.

(٢) معدن الجواهر، أبو الفتح الكراكجي: ٤٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذه الأطروحة بعد تلك الرحلة الشيقة مع الإمام الحسين عليه السلام ورواياته التفسيرية، وقد قطعناها على خمسة فصول من البحث والتقصي عن الروايات التفسيرية وتحليلها، ولعل السؤال الذي يواجه المرء في اللحظة الأخيرة لإنجاز عمل ما ماالذي حققه من وراء كل ذلك الجهد والوقت المبذول في ذلك العمل؟ وحينما يكون العمل في حقل المعرفة والبحث الأكاديمي - كما هو الحال هنا- فإنّ السؤال ينصرف إلى البحث عن المغانم المحققة والفائدة المرجوة، والجدوى الفعلية المفترضة من الدراسة البحثية، وقدرة تلك الدراسة على إثارة الاهتمام حول المشكلة المبحوثة، وهذا ما ليس بمقدور المرء تقديره لنفسه بل هو من شأن الآخرين الذين يحق لهم تقويم العمل والحكم عليه سلباً أو إيجاباً.

وإذا كانت القيمة الحقيقية لأي عمل من أعمال البحث تتمثل بالنتائج التي يمكن استخلاصها في نهاية البحث وختام الطواف الفكري فإنّي قبل أن أضع القلم لابد لي من أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها على وجه الإجمال لا التخصيص فليس العبرة في أن يشار إلى كل شاردة وواردة، وربما كانت الفائدة

الشخصية التي غنمتها من العمل في هذه الأطروحة تتمثل في منحي بعضاً من الخبرة والمعرفة والفهم والنظر والتدبر في القرآن الكريم وعلومه ومعارفه التي لاتنتهي من زاوية نظر منهجية فكرية تحليلية وفيما يلي أهم النتائج:

١-إنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصية إنسانية إسلامية عملاقة لن تتكرر على وجه الأرض إطلاقاً لأنّ منهجه في الحياة الإنسانية لاينسخ أبداً مهما طال الزمان، لذا فهو عليه السلام فريد ليس له نظير في النوع الإنساني فلن يتكرر أبداً، كان عليه السلام يدعو إلى إنسانية الإنسان وإنسانية الإسلام، لذا قال البروفيسور السويدي بان ارفير هنيغسون (أنا لست مسلماً -لأنه مسيحي- ولكنني مسلم أنا مسلم للحسين عليه السلام مسلم للإمام العظيم الذي أرانا طريق الإنسانية، وأرشدنا الطريق الذي يوصلنا إلى منزل الحرية) (إنَّهُ محسن للإنسانية، ومادامت هذه الدنيا باقية، فسيبقى ذكر الإمام الحسين عليه السلام حياً ولايموت بل وكل إنسان في العالم البشري يؤمن بقيادته الغرة)[1]. فهذا العالم والمفكر المسيحي، انتمى للإسلام لأنه ينتمي إلى الحسين عليه السلام وكأنه يقول (لا إسلام بلا حسين) و(لا إنسانية بلا حسين).

٢-الإمام الحسين عليه السلام كان إنساناً صادقاً صالحاً وطاهر القلب، إنساناً كاملاً، رهن كل حياته للإنسانية له من الصفات الحميدة التي لايمكن حصرها كان عابداً زاهداً قارئاً للقرآن كثير البكاء من خشية الله عز وجل، يحنو على المساكين والفقراء فجاءت وصاياه ومواعظه دروساً في الأخلاق ومنهجاً للتربية الإسلامية الصحيحة كما تنطوي عليه من إجراءات وقائية وأخرى علاجية تقوِّم السلوك الإنساني وتجعل منه فياضاً بالخير والفضيلة، لذا

---

(١) مجلة صدى الروضتين، العدد ٢٠، ص٦.

قال الكاثوليكي أيان كيث أندرسون -من بريطانيا- (الإمام الحسين عليه السلام هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى والذي يريد طريق الخير فليسلك طريق الحسين عليه السلام)[١].

٣-كانت حياته عليه السلام حافلة بأعمال جليلة ومآثر عظيمة وقد كان يجلس في المسجد النبوي يلقي محاضراته على طلاب المعرفة لذا فله آثار في مختلف العلوم الشرعية كالفقه والتفسير وعلم الكلام والحديث الشريف والأخلاق وسائر العلوم الأخرى روى عن جده صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه وأخيه صلوات الله عليهم أجمعين وقد تجد مؤرخاً مسلماً ينكر أن يكون الحسين عليه السلام تراثاً فكرياً عن جده صلى الله عليه وآله وسلم قال خليفة (ولا نحفظ له حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٢]، وتجد هندوسياً هندياً د.رام روشن لاكجي كومار يقول: (إنَّ الوقائع والانجازات الفكرية التي نتجت من التراث الحسيني، تعود إلى الأصول المبكرة والبدايات الأولى للخليقة وتمتد إلى الأبد، وقد تركت آثارها على كل شيء بشكل عام)[٣].

٤-إنَّ روايات الإمام الحسين عليه السلام توزعت على مستويات عدة أهمها: علوم القران، الروايات العقائدية، الروايات الفقهية، الروايات الأخلاقية والتربوية، ويبدو من خلال استقراء الروايات أنّ أكثرها في الجانب العقائدي وذلك حرصاً منه عليه السلام في المحافظة على عقائد المسلمين من

(١) مجلة صدى الروضتين العدد (٢٠١)، ص٦ وينظر: الإمام الحسين عليه السلام شاغل الدنيا: ٥٩ كلمة الثائر الأمريكي الجنوبي جيفارا.

(٢) طبقات خليفة: ٣٠.

(٣) مجلة صدى الروضتين، العدد٢٠١، ص٦.

الانحراف. وفي الجانب الآخر تجد قلة الروايات التفسيرية وبشكل خاص بالجانب الفقهي، وهذا بسبب الظرف السياسي العصيب الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام.

٥-الإمام الحسين عليه السلام عاش أحلك الظروف وأقساها، لذا كان تفسيره واقعياً يحاكي الظروف الآنية الواقعية بأسلوب تطبيقي وعلى نحوين:

الأول: من خلال تفسيره الذي يذكر الآخرين بالفكر الأموي البعيد عن الفكر الإسلامي.

الثاني: من خلال تفسيره الذي يذكر الآخرين بالنعيم والجنة والخير والفضيلة، كذلك المكانة السامية لأهل البيت (عليهم السلام)وارتباطهم بالقرآن الكريم وأنهم القرآن الناطق.

فكان تفسيره واقعياً على الرغم من قلة الروايات التفسيرية - بسبب الواقع السياسي المؤلم الذي كان يعيشه عليه السلام خاصة - إذا ماقورنت بكمية الروايات المأثورة عن الإمامين الباقر والصادق وكذلك الإمام الرضا (سلام الله عليهم أجمعين).

٦-كان للإمام الحسين عليه السلام أثرٌ متميزٌ في علوم القران وبكل أبعاده.

٨-كان للأثر المنقول عن أبيه عليه السلام أو جده صلى الله عليه وآله وسلم حظٌ وافرٌ في اعتماده هذا المنهج مستدلاً تارة وموضحاً تارة أخرى.

٩-كان منهج الإمام عليه السلام منهجاً متميزاً يعطي بعداً دلالياً في تفسير الآيات، فمرةً يسلك المنهج العقلي لإثبات رأيه عليه السلام، ومرةً

يسلك المنهج النقلي، وتجد الرواية تحمل بعدين معاً كالعقائدي والأخلاقي.

١٠- إنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج لمحاربة الفساد السياسي والأخلاقي والاجتماعي ومحاربة الركون إلى الدنيا والبحث عن الامتيازات والمناصب وحب الدنيا، فنهضة الحسين عليه السلام فيها عمق سياسي كبير أثبتت إمكانية قيام نهضة إسلامية في أي عصر وفي كل مصر وهذا يأتي تبعاً لرغبة المجتمع في التخلص من الظلم والعودة إلى حضيرة دين الله في أرضه وشعار يا لثارات الحسين عليه السلام حي إلى آخر يوم من الدنيا وإذا أشير إلى حاكم ظالم أنّه يزيد، فالشعار دلالة على نفاذ أيام سطوته، فإنّ عاشوراء تساهم إلى حد كبير في إحياء العقيدة في النفوس.

في الختام أرجو أن أكون قد سجلت بأمانة بعض ملامح شخصية الإمام الحسين عليه السلام من غير تفريط أو إفراط وكذلك من غير تعصب أو هوى يخل بالبحث وصاحبه لعدم حاجة الإمام لهذا وأخيراً فمهما يكن من أمر هذا البحث فإنّي قد بحثت واجتهدت في استقصاء ما أُثر عن الإمام الحسين عليه السلام التفسيري ثم قمت بتحليله عبر الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة وكذلك اللغة، وقد استشرت بعض أساتذة الحوزة العلمية الشريفة كذلك أساتذة الدراسات العليا جامعة الكوفة وفي جامعة بغداد وجامعة ذي قار وجامعة سومر وجامعة كربلاء المتخصصين بقسم الدراسات القرآنية أو العلوم الإسلامية على وجه العموم ودعوت الله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار أن يأخذ بيدي إلى جادة الحق والصواب، فإن قصرت فلا عن عمد مني، بل حدود إمكانيتي ومعرفتي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتويات

الفصل الأول

حياة الإمام الحسين عليه السلام ورواته

الفصل الثاني

الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام في علوم القرآن

الفصل الثالث

الجهود التفسيرية في تفسير آيات العقائد

الفصل الرابع

الجهود التفسيرية الفقهية عند الإمام الحسين (عليه السلام)

الفصل الخامس

الجهود التفسيرية الأخلاقية والتربوية عند الإمام الحسين عليه السلام

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي

٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني

٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابك فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي

٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi'a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام - ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار - جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي

١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	موسوعة في ظلال شهداء الطف	الشيخ حيدر الصمياني
١٢٢	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic Life A Concise Knowledge Of History	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم